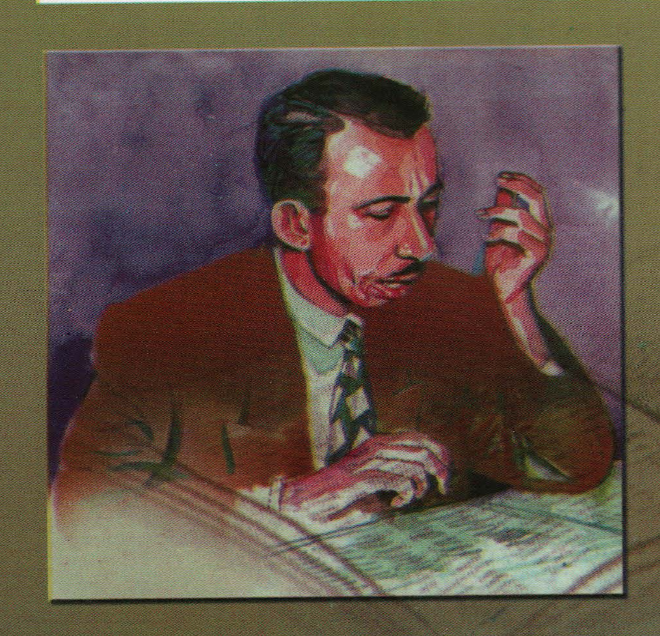
ديوان

بدر شاكر السيّاب

المجلد الأول





ديوان

بدر شاكر السيّاب

المجلّد الأول

دار العودة - بيروت

- **عنوان الكتاب: ديوان بدر شاكر السياب المجلد الأول**
- **المؤلف : بدر شاكر السياب**
- **الطبعة : 2016**

- يطلب من دار العودة - بيروت - لبنان
- كورنيش المزرعة بناية الريفييرا سنتر
- هاتف:006911818405
- فاكس:009611818406
- e-mail:Daralawda@hotmail.com

ISBN: 978-9953-593-72-2

السيّاب ... شيء من حياته

بقلم ناجي علوش

إن هذه الدراسة تكشف جوانب تفصيلية من حياة بدر. وقد استهدفت أن أقدم هذه التفاصيل دون تحليل، ودون التركيز على الناحية الأدبية.

اعتمدت هذه الدراسة عدداً من المراجع، سأشير إلى أهمها فيما بعد، ولكن ما أود أن أشير إليه هو أن المعلومات تتداخل، بحيث يكون صعباً أن يشـار إلى مصادرها بالتفصيل. لذلك فسأذكر المراجع عموماً دون إشارات مخصصة.

ولقد كنت عندما أجد اختلافاً في المعلومات أختار ما أرجحـه، بسـبب معرفتي الشخصية، أو بسبب تقديري لأهمية المراجع.

ثم إن عليّ أن أشير أن كتاب الدكتور عيسى بلاطة هو أوفى المراجع فيمـا يتعلق بتفاصيل حياة بدر. أما كتاب الدكتور إحسـان عبـاس، فإنـه أوفى الدراسات الأدبية. وإن كان يضم معلومات شخصية وسياسية هامة. تكمل أو توضح ما جاء في كتاب الدكتور عيسى بلاطة.

والواقع أنني مدين لهذين المرجعين بالكثير من المعلومات التي قدمتها.

وأن هذا الجهد، أخيراً، هو نتيجة عمل سنوات في جمع المعلومات والمقابلات والدراسة. وآمل أن يكون بالإمكان بلورة هذه المعلومات والمقابلات والدراسات في دراسة شاملة عن السياب، تغطي جميع حياته وأدبه.

مدخـــل

عرفته على صفحات الآداب. كنت معجباً بشعره إعجاباً عظيماً، وحـين تعرض لهجوم على صفحات الآداب انبريت للدفاع عنه[1]. ولقد ظللت أتـابع أخباره وأشعاره، ولكني لم ألتقِ به، ولا كاتبته، وإن كانت قد وصلتني منه تحية شفوية على ما كتبته دفاعاً عنه.

وذات يوم أخبرني الشاعر علي السبتي أن بدراً سيأتي إلى الكويت للعـلاج بعد مرض عضال أصابه، فاتفقنا على أن نستقبله في المطار.

وذهبنا في الموعد المحدد لوصوله على المطار: علي السبتي[2] وفاروق شوشة[3] وأنا. كان الوقت حوالي التاسعة صباحاً على ما أذكر. وصعدنا سلم الطـائرة وكان بدر ما يزال جالساً. وجه أسمر معروق، أنف طويل حادّ، عينان براقتان، جسم هزيل تلفه دشداشة حريرية، وسترة ميالة إلى الخضرة الفاهية.

كان اللقاء حاراً، ولكن بدراً الذي كان يبتسم، وكان يبدو مرحاً، لم يكن يستطيع المشي. ساعدناه على الوصول إلى الأرض حمـلاً. وانطلقنـا بـه إلى المستشفى.

---

[1] الاداب. عدد حزيران سنة ١٩٥٦ ص ٧٤.

[2] شاعر كويتي، برز في أواخر الستينات.

[3] الإذاعي الكبير واللغوي والشاعر.

وفي المستشفى عاش بدر أياماً محزنة... كانت صحته تتدهور وقروحه تتسع. وكان يعيش وحيداً على الرغم من عشرات الأصدقاء الذين كانوا يأتون إليه يومياً.

وهناك في المستشفى عرفت الكثير عن بدر.

كان يتكلم أحياناً، وفي أحيان أخرى يهذي. ولكنه خلال هذا كله كان يكشف تاريخه وذكرياته. وهناك عرفت منه شيئاً كثيراً عن جيكور وبويب وأبي الخصيب، وعن أبيه وأمه وزوجة أبيه والجن وبيت جده والنخيل... لقد كان يصارع الموت وهو يعرف أنه يموت. ولقد جئت إليه مرة فحدثني كيف أنه رأى عملاقين من الجن يتصارعان عند شباكه، فارتعب، وكان طيلة صراعهما يفكر بعضلاته الهزيلة وجسمه المنهار.

أصبح بدر خلال إقامته في المستشفى بالكويت جزءاً من حياتنا اليومية. وعلى الرغم من إحساسنا بأنه كان يذوي، فقد أخذنا نحس بأن علاقتنا به تزداد توثقاً.

وأُخبرنا يوم ٦٤/١٢/٢٤ أن الشاعر قد مات.

١- عودة إلى أول القصة

جيكور، التي حدثنا عنها بدر كثيراً، والتي خلدها في شعره، قرية صغيرة، من قرى جنوب العراق، تظلل بيوتها الطينية أشجار النخيل، وتتخللها جداول وقنوات تقطعها المعابر هنا وهناك. تبعد جيكور عن أبي الخصيب حوالي ثلاثة كيلو مترات، أو مسيرة ثلاثة أرباع الساعة مشياً على الأقدام، وتبعد أبو الخصيب عن البصرة مسيرة ثلاثة أرباع الساعة في السيارة في الاتجاه الجنوبي الشرقي. وعدد سكان جيكور مختلف عليه ولكنه يتراوح بين ٥٠٠ و ١٢٠٠.

وبويب هو أحد الجداول التي تمتلئ بالماء عندما يفيض شط العرب، ثم ما تلبث أن تعيد إليه ماءه عند الجزر. ويستمد بويب ماءه من جدول آخر اسمه جيكور. وجيكور القرية زاوية من زوايا تضم كوت بازل وبكيع (بقيع) التي يمر منها بويب.

وتسكن عائلة السياب جيكور وتمتد إلى بقيع، ولكنها لا تقيم في كوت بازل. وإذا كانت أمه تسكن جيكور، وفيها ماتت، فقد كان أبوه يسكن "بقيع".

وآل السياب من سكان جيكور، فيها يقيمون من أجيال. والسياب هي البلح الأخضر. ولكن يروى أن هذا الاسم التصق بالعائلة لأن الطاعون أصابها،

فلم يبقَ منها إلا سياب بن محمد بدران المير الذي فقد كل أقاربه الأقربين. وبدأ هذا الفرع من عائلة المير يسمى السياب.

وكان عبد الجبار بن مرزوق السياب، أحد أحفاد سياب، يملك من أشجار النخيل ما يجعله غنياً. وقد ابتنى لنفسه داراً من اللبن في بقيع، تضم خمس عشرة غرفة، وابتنى بجانبها داراً للعبيد العاملين في الأرض. وقد سمى بدر هذه الدار "مترل الأقنان" فيما بعد.

وكان في البيت ديوان يؤمه الناس، فيتسامرون ويتحاورون، وفي ليالي رمضان يسمعون قصص عنترة وفتوح الشام وغيرهما، أو يستمعون إلى مرزوق السياب جد الشاعر (مات مسناً سنة ١٩٣٦) وهو يتحدث عن نابليون والعرب في إيران الخ.

ولقد زينت جدران البيت صور كثيرة، أهمها صور أبي التمن وسعد زغلول وكمال أتاتورك، من زعماء الحركات التحريرية في ذلك الحين. وكانت هذه الصور تعكس الحديث الذي يدور بين جدران الديوان.

أنجب عبد الجبار ثلاثة أولاد، هم شاكر وعبد القادر وعبد المجيد. ومع أن الأب كان مهتماً بتعليمهم، إلا أنهم لم يتجاوزوا التعليم الابتدائي، بسبب عدم وجود مدارس عالية هناك.

وتمخض هذا الجو عن تحول في نفسية عبد القادر، قاده إلى أن يصبح عضواً في حزب سري اسمه الحزب اللاديني، كان يجتمع أعضاؤه في ذلك الديوان، وكانوا ينشرون آراءهم على صفحات جريدة لبنانية اسمها الشمس.

وعاش أبناء عبد الجبار مع والدهم، يشاركونه حياة القرية، ويساعدونه في الزراعة. وكان شاكر، والد شاعرنا، والابن الأكبر لعبد الجبار، أنشط أولاده

وأكثرهم فعالية. ذلك أنه كان يساعد والده كأخوته، ولكنه كان يقوم في الوقت ذاته بأعمال الدلالة في موسم التمر. كما كان يشرف على نخيل بعض كبار الملاكين.

وتزوج شاكر سنة ١٩٢٥. كانت عروسه كريمة ابنة عمه ذات سبعة عشر ربيعاً. انتقلت من جيكور إلى بقيع، وعاشت في بيت الجد الكبير.

٢- طفل جديد يولد

ولدت كريمة سنة ١٩٢٦ ابنها البكر. طار الوالد بالمولود فرحاً، وسجّل تاريخ ميلاده حتى يظل في ذاكرته، لكن التاريخ ضاع، وظل بدر لا يعرف تاريخ ميلاده الدقيق.

وعاش الطفل مع أطفال القرية، يلعب في ظل النخيل، ويغوص في المياه، ويراقب البواخر العابرة، كما كان في الأماسي يستمع إلى حكايات جده وجدته. ولكن الطفل الذي كان في السادسة ماتت أمه. لقد توفيت كريمة بعد ولادتها الرابعة، إذ أنجبت طفلة، ما فتئت أن ماتت أيضاً، في العام عينه ١٩٣٢. وكان الطفل شديد التعلق بأمه، فلما خطفها الموت، أثّر ذلك فيه تأثيراً كبيرا. وحين كان يسأل عنها كانوا يقولون له. "بعد غد تعود لا بد أن تعود".

وراح الطفل الذي فقد الحضن الدافئ يبحث عنه. و لم يكن عسيراً عليه أن يجده في شخص جدته لأبيه أمينة.

كانت جيكور آنذاك ما زالت بلا مدرسة. واختار الأب لابنه أن يذهب إلى المدرسة الحكومية في قرية باب سليمان المجاورة لجيكور. وكان الطفل يذهب كل يوم ماشياً إلى المدرسة.

ولما كانت الدراسة في المدرسة لا تتجاوز الأربع سنوات، اضطر الطفل أن ينتقل إلى مدرسة المحمودية في "أبي الخصيب"، حيث قضى سنتين أخريين.

وعرف بدر في أبي الخصيب الشناشيل وهي شرفة خشبية مزركشة ذات نوافذ زجاجية ملونة، لأن مدرسته كانت بيتاً من بيوت محمود باشا عبد الواحد، أحد أفراد عائلة ثرية من الملاكين الكبار، تبرع بها لتكون مدرسة. وكان المدير يجلس في الغرفة المجاورة للشناشيل، مما جعل شاعرنا يستعذب دعوته إلى غرفة المدير. وحول المدرسة كانت تقوم بيوت آل عبد الواحد.

وهناك أحس بدر بأن الوصول إلى هذه الشناشيل حلم. وبأن الوصول إلى الصبايا المنعمات فيها حلم أكبر. لقد عانى الفلاح الصغير كثيراً أمام هذه المفارقة، حتى أنه لم يستطع إلاّ أن يعبِّر عن مشاعره هذه بعد سنين طويلة في قصيدته شناشيل ابنة الجلبي، التي يردد فيها أبياتاً من الشعر الشعبي كان الأطفال يهزجونها في الأيام الممطرة:

يا مطراً يا حلبي

عبّر بنات الجلبي

يا مطراً يا شاشا

عبّر بنات الباشا

وفي هذه القصيدة يعبّر بدر عن الحلم الكبير الذي راوده كثيراً:

ثلاثون انقضت وكبرت، كم حبّ وكم وجد

توهج في فؤادي

غير أني كلما صفقت يدا الرعد

مددت الطرف أرقب ربّما ائتلق الشناشيلُ

فابصرت ابنة الجلبي مقبلة إلى وعدي

ولم يمض طويل وقت، على وفاة والدة بدر، حتى قرر والـــده أن يتـــزوج. ولقد تزوج فعلاً. وكان زواجه ثقيل الوطأة على نفس بدر، ذلك أن والـــده لم يأت بإمرأة بديلة لأمه فحسب، ولا أغضب والده، جد بدر، فقط، بل غادرهم ليعيش حياته الخاصة. كان ذلك سنة ١٩٣٥،

وعاش بدر في بيت جده، يلعب مع الأطفال في "منزل الاقنان" أو "كـــوت المراجيح" كما يسمونه.

وما لبث الطفل أن أخذ ينظم الشعر بالعامية، ثم باللغة الفصحى. وإذا كان قد بدأ يقول الشعر واصفاً الطبيعة أو ساخراً من أترابه، فإنه تقدم خطـــوة إلى الأمام وأخذ يكتب شعراً وطنياً. وكتب في هذه المرحلة قصيدة يصف فيهـــا معركة القادسية، فما كان من إعجاب المدرس به إلاّ أن حمله لكي يلقيها.

وأصدر بدر في هذه المرحلة جريدة مخطوطة أسماها جيكور. مقرها مـــنزل الاقنان، وموزعوها أترابه من الأطفال.

الطفل الصغير الذي فقد أمه وأضاع أباه. يتفتق عن شاعر كبير.

٣- الصبا والشباب

أنهى بدر دراسته الابتدائية في صيف ١٩٣٨، فما كان من جده إلا أن أرسله إلى البصرة لمواصلة تعليمه الثانوي. وسكن في البصرة مع جدته لأمه.

ومع أنه كان يدرس في البصرة، فقد كان قلبه في جيكور دائماً، فهناك ملاعب طفولته، وهناك وفيقة إحدى بنات عمومته. وكان بدر حين يعود إلى جيكور يساعد جده في رعاية قطيع صغير من الخراف.

ولقد كان حبّه وفيقة من الحوادث التي أثرت فيه تأثيراً عميقاً، ذلك أنها تزوجت، وظلّت تمثل الحلم الممتنع بالنسبة له وقد عكس ذلك في شعره فيما بعد.

كما أنه كان يعود ما بين الفينة والأخرى إلى ذكريات الريف والرعي، وإلى حبّه للراعية "هوّيل" كما سمّاها، واسمها الحقيقي هالة.

كان الصبي مبرزاً في اللغة العربية والأدب العربي. ولكنّه حين خُيرّ سنة ١٩٤١ اختار الفرع العلمي. لماذا؟ ليس هنالك تفسير لهذه الظاهرة، ولكن يبدو أنه قدّر بأنه سيختار فرعاً علمياً في الجامعة. ولكن اختياره الفرع العلمي لم يخفف من حدة اتجاهه نحو الأدب. وفي هذه السنة بالذات بدأ بدر يكتب الشعر بانتظام. وإذا كانت قصائده، قبل هذه السنة قد ضاعت أو مزقت، فإن

عدداً من القصائد التي كتبها في هذا العام ما زالت موجودة، نشرناها في البواكير، وأول هذه القصائد قصيدته "على الشاطئ".

وكان في المدرسة حلقة أدبية من زملاء بدر، وأبرزهم محمد علي اسماعيل وخالد الشواف ومحي الدين اسماعيل، وكان بعضهم يكتب الشعر وبعضهم الآخر يكتب القصة أو النقد، وكانت لهم نشاطات أدبية أبرزها الحفلات الأدبية التي يقيمونها بين الفينة والأخرى. وقد ظلت مناقشاته مع هؤلاء ومراسلاته معهم من مصادر نمو شاعريته، وخاصة زميله خالد الشواف الذي رحل إلى بغداد، بسبب انتقال والده، قبل أن يكمل السنة الثانوية الأخيرة.

وفي هذا العام حاول العراق أن ينتزع استقلاله من الانجليز، فكانت الحركة التي سميت حركة رشيد عالي الكيلاني، نيسان – أيار ١٩٤١. ولقد تدخل الإنجليز من أجل فرض سيطرتهم بقوة السلاح وإعادة عملائهم الهاربين. وكان من نتيجة ذلك أن حدثت الحرب العراقية البريطانية التي هزمت فيها قوات الثورة في العراق. ولما أعادت القوات الاستعمارية السيطرة، وأعادت العملاء، بدأوا بإعدام قادة الثورة. وكان أول الذين أعدموا يونس السبعاوي وفهمي سعيد ومحمود سلمان.

ولا يستطيع ابن الخمسة عشر ربيعاً إلاّ أن ينفعل بالواقعة. ان صور أبي التمن وسعد زغلول وكمال أتاتورك التي كانت تزين بها جدران ديوان جده، والمناقشات التي كانت تدور في البيت تركت آثارها العميقة في نفس الشاعر. كما أن الغليان الذي كانت تعيشه الجماهير، منذ الاحتلال، كان ينعكس على نفس شاعرنا.

ولقد عبّر بدر عن هذه الواقعة بالقصيدة التالية:

رجـــال أبـــاة عاهـــدوا الله أنهـــم

مضحون حتى يرجـع الحـق غاصـبه

أراق عبيـــــد الإنجليـــــز دمـــــاءهم

فيـــا ويلـــهم ممـــن تخـــاف جوالبـــه

أراق عبيـــــد الإنجليـــــز دمـــــاءهم

ولكـــن دون الثـــأر مـــن هـــو طالبـــه

أراق ربيـــــب الإنجليـــــز دمـــــاءهم

ولكـــن في بـــرلين ليثـــاً يراقبـــه

رشـــيد ويـــا نعـــم الـــزعيم لأمـــة

يعيـــث بهـــا عبـــد الإلـــه وصـــاحبه

وإذا كان العراق يفقد استقلاله، فإن جد بدر كان يعيش أزمة أيضاً. لقـد أخذت أحواله المالية تتدهور. وكان يستدين بفوائد عالية فتزداد مشاكله. وفي الوقت الذي كان فيه الأب يعاني من المشاكل المالية، كان ابنه عبد القادر يشن حملات قاسية على المرابين والمستغلين في جريدة الناس. ولكن هذه الحملات لم تستطع إنقاذ السفينة المثقوبة.

وتفتق وعي بدر في هذا المعمعان: معركة الوطن مع العدو الأجنبي ومعركة الطبقات الكادحة والبرجوازية الصغيرة مع كبار المستغلين والمرابين. ولقد شكل هذا كله ركناً هاماً من أركان وعي بدر. وظهر هذا واضحاً جلياً فيما بعد.

وكان العام الدراسي الأخير في الثانوية (٤١ — ٤٢): عـام التحـول إلى الدراسة العلمية عاماً غنياً حافلاً بالشعر. إن قريحة الصبي أخذت تتركز وتتبلور،

وموهبته أخذت تنضج. وبدأ الشعر يتحول إلى وسيلة للتعبير عن نفس جياشة قلقة، كما أصبح طريق إثبات الهوية.

ولكن بدر فجع بعد تخرجه بموت جدته. كان ذلك في ٤٢/٩/٩. لقد فقد امّه الحبيبة، وخسر أباه الحاني، وهو يفجع الآن بجدته الحنون. وأصبحت علاقته الآن مع جيكور وبقيع علاقة مع التراب والقبور والنخيل. وكان أن كتب قصيدة يرثي بها جدته وماذا يملك غير الرثاء؟

٤- الانتقال إلى بغداد

كان الشاب القروي، عندما تخرج سنة ١٩٤٢ لا يعرف سوى البصـــرة. والبصرة ليست إلا قرية كبيرة. أما بغداد فتلك عالم آخر. انه لا يعرفها وهو لا شك يطمح إلى التعرف إليها. ولكن كيف. لقد حلم مرة انـــه رأى دجلـــة في المنام. وهو يكتب رسالة إلى صديقه خالد الشواف ٤٢/٣/٢٦ يتساءل فيهـــا عما إذا كان دجلة كما رآه في المنام. وحين كتب إليه صديقه خالد يطلب منه أن يأتي إلى بغداد أجابه بدر بأن "الصبايا العذارى الريفيات يتشـــبثن ببقائـــه" ٤٢/٣/٢٦. و لم يكن هذا هو السبب الحقيقي، إذ أن الصبايا الريفيـــات كـــن أكثر بعداً عنه من بغداد. إلا أنه أراد أن يتعلل بالوهم، وأن يستر عجزه عـــن الذهاب بخدعة طفولية.

ولقد كان السفر إلى بغداد تجربة جديدة وغنية ذلك أن بغداد غير جيكور والبصرة. وفي بغداد كانت تصطرع تيارات أدبية واتجاهات سياسية من خلال مخاض المدينة، المثقلة بالأغلال، المتطلعة إلى الحرية. و لم يكن بدر يعـــرف مـــن بغداد إلا اسمها. ولكن صديقه خالد كان بانتظاره عند مجيئه، وكان عليـــه أن يعرِّفه بالمدينة الكبيرة، المرغوبة المرهوبة.

وأقبل الشاب القروي، المعروق الجسم على حياته الجديدة، إقبال الغريب. لقد وجد نفسه يضيع في المدينة، وإن كان الحنين إلى الريف يغمر قلبه.

كان قد أصبح طالباً في دار المعلمين في بغداد، مع بداية السنة الدراسية في خريف سنة ١٩٤٣. ولقد اختار دار المعلمين لأن الدراسة فيها كانت مجانية، ولم يكن باستطاعة عائلته أن تتكفل بدراسته في مكان آخر. واختار بدر في دار المعلمين فرع اللغة العربية، مع أنه اختار الفرع العلمي في الثانوي.

وتوزعت حياة الشاب الغريب في بغداد مشاغل جديدة واهتمامات طارئة، وجد نفسه مشدوداً إلى بعضها، ووجد نفسه غارقاً في بعضها الآخر. وأهم هذه المشاغل والاهتمامات:

أ- **الحياة الأدبية الحافلة:** كانت بغداد المولعة بالأدب منذ كانت، تعيش مرحلة جديدة. وكان المجتمع يمور بالنشاطات الأدبية. وكانت هنالك النوادي والمقاهي والصحف. ووجد بدر نفسه عضواً في جماعة أدبية، يشارك في الاحتفالات التي تقيمها، ويساهم في نشاطاتها. وخارج هذه الحلقة كان يتردد بدر بصحبة خالد الشواف إلى جمعية الشبان المسلمين، كما كان يتردد على مقر جريدة الاتحاد ومقهى الزهاوي.

ولقد تعرف بدر في مقهى الزهاوي على ناجي العبيدي، صاحب جريدة الاتحاد، فأعجب الأستاذ العبيدي ببدر، وكان أول من نشر شيئاً من شعره.

وعرفت بغداد شاعراً جديداً. كان بدر يقتحم قلوب الأدباء والمتأدبين بشعره الوجداني وإلقائه المؤثر. ولم يلبث أن انتزع إعجابهم وأصبح يحتل مكانة مرموقة بينهم.

ب- الحياة السياسية الصاخبة: عندما جاء بدر بغداد كانت الحرب العالمية الثانية على أشدها. وكان العراق، مثل كل البلاد العربية، يعيش انعكاسات الصراعات العالمية: الصراع بين النازية والديمقراطية الغربية، النزاع بين الاشتراكية والرأسمالية. وكان يعيش ذلك كله من خلال توق الجماهير إلى التحرر ونقمتها على السيطرة الاستعمارية. و لم يكن العراق بعيد عهد بغزو القوات البريطانية التي احتلت العراق سنة ١٩٤١.

وجاء بدر إلى بغداد شاباً وطنياً. لم يكن منتمياً إلى حزب، ولا كان منحازاً إلى فلسفة. وظل بدر كذلك مدة من الزمن يرجح أنها امتدت إلى سنة ١٩٤٥. ويصف الأستاذ محمود العبطة بدراً في سنته الدراسية الثانية (٤٤ - ٤٥) بما يلي: "كان هادئاً وديعاً و لم يرتفع صوته في هذه الأيام عندما كنا نتراشق ونتلاسن وننقسم إلى معسكرين: منا من يؤيد الحلفاء ومعسكر الديمقراطية، ومنا من يمجد النازية وهتلر. وإذا ما احتدم النزاع - وكثيراً ما يحتدم - يستأذن في الذهاب إلى القسم الداخلي من الدار تاركاً النزاع وأهله[1]".

ولكن بدراً لم يكن غير مبالٍ بما يجري. وكان عازماً على أن يتخذ قراراً. ولكنه لم يكن قد أصبح شيوعياً بعد. ويؤكد الأستاذ سليمان العيسى زميله في دار المعلمين أن بدراً كان يكتب قصائد يسارية في هذه المرحلة، ولكنه كان في بعض الأحيان يسب الشيوعيين. وكان في أحيان أخرى يعلن للأستاذ سليمان العيسى، وهو قومي، أنه يؤيد آراءه. أما الأستاذ محمد علي الزرقا، وهو زميل آخر لبدر، فإنه يؤكد أن بدراً لم يكن عضواً في الحزب الشيوعي، حتى سنة ١٩٤٥، عندما غادر الأستاذ الزرقا بغداد، وأن بدراً كان عضواً مؤازراً يحضر

---

[1] (بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق ص ٩)

الاجتماعات. ويضيف الأستاذ الزرقا أن بدراً كان يخلط بين الفكر والـرفض، وان علاقته كانت مع جماعة القاعدة من بين الشيوعيين.

فكيف أصبح بدر شيوعياً إذن؟

كانت له علاقاته مع الشيوعيين في الجامعة. وكانت له زميلة تدعى لميعـة تزوده بالمنشورات. وكان شيوعي إيراني يتصل ببدر في قريته ويحدثـه عـن الشيوعية والرفيق فهد. وقد أعجب بدر بصديقه الشيوعي وما لبـث أن قبـل التوقيع على استمارة الانتساب، هو وعمه عبد المجيد ورفيق ثالث لهما. يـذكر بدر هذه الحادثة، ولكنه لا يذكر متى حصل ذلك، ولا أية تفاصـيل أخـرى ويرجح أن ذلك حصل سنة ١٩٤٥ ويبدو أن عمادة الكلية كانت تعتقد أنـه عضو في الحزب الشيوعي عندما قررت فصله، في الثاني من كانون الثاني سـنة ١٩٤٦، بسبب تحريضه على إضراب. أما قوله عن نفسه: "وصرنا نبث الدعاية لروسيا وللشيوعية جنباً إلى جنب مع الدعاية للنازيين. سوف ينتصر المحور على الحلفاء وسوف تنتصر روسيا معه، وستعم الشيوعية العراق فبشرى للفقـراء، بشرى للفلاحين الجائعين...إلخ" فلا يدل على انتسابه قبل هذا التاريخ، بل يدل دلالة قاطعة على المرحلة التي سبقت الانتساب، والتي كانت تعبّر عن الـرفض والتمرد أكثر مما كانت تعبِّر عن الانتماء: إنها المرحلة السابقة على الانتماء.

عاد بدر إلى بغداد في أيار بحثاً عن عمل. وكانت بغـداد تمـور بنشـاط سياسي غير عادي. ذلك أن الحرب كانت قد انتهت، وعمـدت السـلطة في العراق إلى السماح ببعض الحريات السياسية مثل تكوين الأحـزاب وإنشـاء الصحف. وحاول الشيوعيون أن ينتزعوا اعترافاً رسمياً بهم فلم يفلحوا. وكـان أن لجأوا إلى إنشاء حزب التحرر الوطني برئاسة حسين الشبيبي، وأصبح بـدر

عضواً في هذا الحزب. ثم ما لبث أن انتخب رئيساً لاتحاد الطلبة في دار المعلمين.

وصادف في هذه الأثناء أن أخذت بغداد تغلي بمظاهرات ضد السياسة البريطانية في فلسطين، فشارك بدر في هذه المظاهرات (حزيران ١٩٤٦). وردّت السلطة على المد الجماهيري بسياسة قمعية، فاعتقلت الكثيرين، وأغلقت عدداً من الصحف. وكان بدر من بين المعتقلين.

وعاش بدر تجربة السجن المرة لأول مرة، في بغداد ثم في بعقوبة، حيث قضى حتى منتصف الصيف في زنزانة رطبة، ينام على صفائح البنزين التي تركها له السجين السابق.

وظل بدر حتى تخرج سنة ١٩٤٨، يشارك في المظاهرات الوطنية ويلقي القصائد في المهرجانات الجماهيرية.

جـ- عالم المرأة السحري: لقد أصبح موضوع المرأة معقداً في دخيلة بدر. ويعود ذلك إلى وفاة أمه من جهة، وهو بعد صغير، وإلى طبيعة وضع المرأة في ريف عربي متخلف كالريف في العراق، ومنذ بدأ يتكون كانت مشكلة المرأة تنمو مع نموه. ويبدو أن علاقاته بالمرأة في القرية كانت علاقة "خيالية". جدته كانت الإنسانة الوحيدة الحقيقية في حياته. وهو يكتب عن ذلك إلى صديقه خالد: "أحق ان الذي قلته في قصائدك خيال؟ أحق أن (...) و (...) عاشتا في بالك فقط؟ أأصدق أنك لم تعرف الحب. أأنت مثلي لم تعرف فتاة بعينها؟ أأنت مثلي محروم من العاطفة لا يرى قلباً يخفق بحبه؟ لا، فأنت وان صدقت في زعمك لست مثلي، فأرجو ألا تكون مثلي إن شاء الله... مرت السنون وأنا

أهفو إلى الحب ولكني لم أنل منه شيئاً و لم أعرفه، وما حاجتي إلى الحب ما دا
هناك قلب جدتي يخفق بحبي"؟ ٤٢/١١/٢٣ [1].

وحين جاء بدر بغداد حمل معه حكاياته عن المرأة، إلاّ أن عـالم المـرأة في بغداد عالم جديد، والمرأة موجودة مع بدر على مقاعد الدراسة. لقـد كـان التعليم مختلطاً منذ سنة (٣٦ – ٣٧)، ولكن وجود الفتيات على مقاعد الدراسة مع الشباب لم يكن يعني أن المجتمع كان يستطيع أن يتجاوز رواسبه وتقاليده. إلاّ أن الفتى الريفي الحالم بات على تماس مع امرأة من نوع جديـد، تـتكلم وتبتسم وتقرأ الشعر. وإذا كانت صلته بالمرأة الريفية صلة الرعي، فان مدخلـه إلى المرأة المدنية كان الشعر. وأصبح ديوانه ينتقل إلى مخادع العـذارى، وينـام تحت مخداهن. ثم ما لبث أن وجد إلى المرأة مدخلاً آخر هو السياسة.

ولكن المرأة في المدينة تظل بعيدة عنه. ان البنات البرجوازيات اللواتي كـن يحببن أن يتشبث بهن كنّ يردن ان يكون ذلك مجرد تسلية. أمّا لميعة التي كانت تنقل له المناشير فكان يسميها الإمبراطورة، معبّراً عن علاقتها الفوقية به.

كان وحيداً يحن إلى اللقاء ولكنه لا يصل. إن كل اللواتي أحبهن كان بينه وبينهن فواصل. كانت جدته حبيبته الأولى ولكنها ماتت في صيف ١٩٤٢ قبل أن يأتي إلى بغداد. وكانت لبيبة تكبره بسبع سنوات، لقد كانت أماً. وكانت علاقة لميا به علاقة برجوازية تريد أن تتسلى بشاعر مسحوق، أما لميعة فكانت صابئية ولقد أعجبت بشعره وأحبها ولكنهما كانا لا يستطيعان الزواج وكانت علاقة لميعة الأخرى به سياسية، ولذلك فقد سمّاها الإمبراطورة كما ذكرنـا.

---

[1] د. إحسان عباس: بدر شاكر السياب: دراسة في حياته وشعره، ص ٣٥.

كان بدر يبحث عن حلم ضائع، وكان يتصور السراب ماءً فما يلبث أن يكتشف الحقيقة.

لذلك ليس غريباً أن يصرخ بدر بعد سنوات طويلة من المعاناة:

وما من عادتي نكران ماضيّ الذي كانا
ولكن... كل من أحببت قبلك ما أحبوني
ولا عطفوا عليّ، عشقت سبعاً كن أحيانا
ترف شعورهن عليّ، تحملني إلى الصينِ
سفائن من عطور نهودهن، أغوص في بحر
من الأوهام والوجدِ
فألتقط المحار أظن فيه الدر ثم تظلني وحدي
جدائل نخلة فرعاء
فأبحث بين أكوام المحار لعلّ لؤلؤة ستبزغ
منه كالنجمة
وإذ تدمى يداي وتنزع الأظافر عنها لا يتر
هناك غير الماء
وغير الطين من صدف المحار فتقطر البسمة
على ثغري دموعاً من قرار القلب تنبثقُ
لأن جميع من أحببت قبلك ما أحبوني

كان الشاعر القروي الشاب الذي يجري وراء السراب، بحثا عن الماء عطشاً إلى الماء الحقيقي الواقعي. كان عطشاً إلى المرأة المحسوسة الملموسة. والمرأة

المحسوسة والملموسة في مثل هذا الجو ليست شيئاً غير الجنس. والجنس يباع في سوق المتاع بعيداً عن الحب والعاطفة. وكان بدر مستعداً أن يغرف من هذا المعين الذي لا معين غيره.

قال لي أحد زملائه في الكلية: "وكانت قضية الجنس تشغله أولاً وقبل كل شيء". ولِمَ لا؟ لقد كان الشاب القروي يريد أن يكتشفها، أن يغرف من معينها أكثر، ويريد أن يجعل من حلمه في امتلاك المرأة حقيقة حية معاشة.

كان بدر، خلال حياته في الكلية يعود إلى قريته ما بين الفينة والأخرى وكان في المدينة يقضي وقته متنقلاً بين المقاهي والنوادي أو متسكعاً في الشوارع، ومن المقاهي التي كان يتردد عليها: مقهى إبراهيم عرب، ومقهى البلدية ومقهى الزهاوي.

وكان بدر يقرأ في هذه الفترة، من الأدب العربي الحديث، شعر الياس أبي شبكة وعلي محمود طه. ولقد تأثر بدر بهذين الشاعرين تأثراً كبيراً. وكان أن كتب قصيدته بين الروح والجسد في ظل هذا التأثير. ولا غرو بعد ذلك ان أرسل القصيدة المذكورة لعلي محمود طه حتى يكتب مقدمة. وكان شديد الاهتمام بالأدب العربي الحديث يتابعه بحرص وعناية.

وبدأ بدر يحاول أن يوسع معلوماته عن الآداب الأجنبية. فقرر أن ينتقل من فرع اللغة العربية إلى فرع اللغة الإنجليزية. وأخذ يقرأ شكسبير وبايرون ووردزويرث وشلي وكيتس. وما لبث ان اكتشف إليوت، وأعجب به إعجابه بالشعراء المذكورين سابقا.

وحاول أن يوسع معرفته بالأدب الفرنسي، عن طريق قراءة الشعر المترجم. ولقد قرأ ترجمة لقصائد بودلير. وكان يطلب من زميله سليمان العيسى أن يترجم له بعض الشعر الفرنسي، ولاسيما شعر لامرتين وبودلير.

وظل بدر مع ذلك محافظاً على قراءته التراثية. قرأ ابن الرومي ومهيار الديلمي والمتنبي والبحتري وأبا تمام. وكان يحفظ من الشعر الذي أورده ابن قتيبة في "الشعر والشعراء".

يقول محيي الدين اسماعيل: "كان يقدس التراث، لم يخرج عليه. بدأ يقرأه واستمر على ذلك. أمّا أكثر من تأثر بهم من الشعراء بالعربية فهما: المتنبي وأبو تمام. أثر أبي تمام أوضح. وكان يلازم "حماسة" أبي تمام ويحفظ منها الكثير، تأثر بكثير من قصائدها. وكان يهتم بالشعر الجاهلي.

حاول ان ينفلت من التراث مدة. ولكن تلك المدة كانت قصيرة جداً وعقيمة نسبياً. هذه الفترة هي سنتا ١٩٤٥ — ١٩٤٦ ولكنه ما لبث ان عاد إلى الاهتمام بالتراث". ويبدو ان إقباله على الأدب الانجليزي شغله مؤقتاً عن مواصلة الاهتمام بالأدب العربي القديم.

ولقد سعى بدر إلى الينابيع الفكرية والفلسفية، فتعرف على الماركسية وقرأ الكتب المتوافرة منها، سيان التي كانت في السوق أو التي كان يوفرها الحزب. وقد أصدرت دار الحكمة عدداً من الكتب آنذاك منها "أصل العائلة" لإنجلز.

وهكذا نرى أنه خلال سنوات حياته في الكلية، وسّع مداركه، وزاد معلوماته في اتجاهات متعددة، تؤهله لأن يكون شاعراً كبيراً.

ولكن لماذا ترك فرع العربية، وتحوّل إلى فرع اللغة الانجليزية؟

هنالك عدد من التفسيرات، أهمها اثنان، الأول: أنه لم يعد يشعر بالاستفاد في فرع اللغة العربية. وربما أحس بمثل هذه المشاعر نتيجة اتساع قراءاته. ذلك أن من بين أساتذته نخبة من رجال الأدب لا في العراق فحسب، بل في الوطن العربي كله، مثل الدكتور مصطفى جواد والأستاذ طه الراوي والدكتور محمد مهدي البصير. والثاني: أنه أراد اتقان اللغة الانجليزية لتوسيع معرفته بالآداب الأجنبية وتعمقها.

تعرف بدر إلى نازك سنة ١٩٤٦. وكانت نازك قد تخرجت من دار المعلمين قبل سنتين. وأخذ بدر يزور نازك، فيتناقشان في القضايا الأدبية، وفي الشعر خاصة. وكان من نتيجة لقاءاتهما أن اتفقا على إصدار ديوان شعر مشترك، يضم شعرهما الجديد. وكانا يأملان أن يكون هذا الديوان مفاجأة ولكن الديوان لم يصدر.

وكان بدر مازال يواصل نشاطه السياسي. وعلى الرغم من أنه لم يطرد من الكلية مرة ثانية، فقد وجهت إليه عمادة الكلية إنذاراً مسجلاً في كانون الأول من سنة ١٩٤٦، نتيجة عملية تشويش قام بها في حفلة تعارف أقامها الطلاب القدماء في دار المعلمين للطلاب الجدد.

ولقد انتخب بدر ليمثل طلاب دار المعلمين في المؤتمر الأول للطلاب العراقيين الذي عقد في بغداد في ربيع سنة ١٩٤٨.

وكان بدر حتى هذه اللحظة قد وفّق إلى طباعة مجموعته الشعرية الأولى: "أزهار ذابلة" التي أرسلها إلى القاهرة مع بعض أصدقائه في خريف ١٩٤٧، والتي صدرت ووصلت بغداد قبل نهاية العام. ولكنه لم يوفق في إصدار ألفيته: بين الروح والجسد التي أرسلها إلى علي محمود طه، والتي ضاعت كما يبدو عنده.

٥- سنوات العمل والتشرد

المرحلة الأولى من التخرج إلى ثورة ١٤ تموز

تخرج بدر من الكلية سنة ١٩٤٨ وتقدم بطلب إلى وزارة المعارف، فعيِّن مدرساً للغة الإنجليزية في ثانوية الرمادي، اعتباراً من أول السنة الدراسية ١٩٤٨ - ١٩٤٩. بدأ بدر حياته الجديدة متحمساً، ذلك انه اعتبر عمله الجديد يهيئ له الفرصة لإقامة علاقة مع النشء الجديد.

كان بدر وحيداً في بلد لا يعرف أحداً فيه. وقد نزل في فندق هو أحسن فنادق البلدة كما وصفه. كان ما زال شيوعياً ولكن البلدة التي حل فيها لم يكن فيها شيوعيون ما عدا ثلاثة هم بدر شاكر السياب وزميل له تخرج من دار المعلمين وأحد الأطباء غير العراقيين.

وكان العراق ما زال يغلي، بسبب ظروف العراق الداخلية، وبسبب انعكاسات القضية الفلسطينية على الوضع الداخلي في العراق. وقد استقالت وزارة الباجهجي في ٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٩، بعد ستة أشهر تقريباً من توليها السلطة، وجاء نوري السعيد. كانت ذكرى الوثبة قريبة: ٢٧/١/٤٩، وكانت السلطة تريد أن تتفادى احتفال القوى الوطنية بالذكرى، فقررت التبكير بالعطلة؛ فقرر بدر أن يعود إلى قريته. وقد سمع وهو في المحطة همسات عن فصله من عمله، ولم يكن قد تسلم شيئاً رسمياً حول هذه القضية.

وصل بدر قريته فأخبره والده أن الشرطة سألت عنه، وطلب منه أن يختفي ولكن بدر ظن أن الشرطة لن تعود بسبب المطر فاطمأن إلى ذلك. وجاءت الشرطة في اليوم التالي، واقتادته إلى البصرة، ومنها إلى بغداد.

كانت حكومة نوري السعيد قد صعّدت حملتها ضد الشيوعية، مستغلة الأحكام العرفية التي كانت مفروضة على البلاد. وفي هذا الجو، قامت حكومة نوري السعيد باعتقال المئات من الشيوعيين والوطنيين وبالحكم على العديدين منهم، كما قامت بإعدام أربعة أشخاص من قادة الحزب الشيوعي، أعيدت محاكمتهم وهم في السجن، واعتبروا مسؤولين عن أحداث كانون سنة ١٩٤٨.

ما لبث بدر ان أخرج من السجن، وهو في حالة من المعاناة النفسية الممضة. لقد ضرب الحزب، وأعدم "فهد" والقادة الآخرون. وحين عاد إلى القرية وجد عمه عبد المجيد، مسؤول الحزب في أبي الخصيب مسجوناً، كما وجد نفسه قد فصل من العمل رسمياً يوم ٢٥/١/٤٩. ومنع من التدريس عشر سنوات.

قضى بدر بعض الوقت في جيكور، ثم ما لبث أن ذهب إلى البصرة يبحث عن عمل. ولم يكن وجود العمل سهلاً، فقضى بعض الوقت عاطلاً، ثم اشتغل ذواقة في شركة التمور العراقية.

وانتقل بعد ذلك إلى شركة النفط العراقية في البصرة.

كان ما زال على علاقة بالحزب. لقد ترك جيكور، وكان عمّه مسجوناً، فوقع الاختيار على علي عبد اللطيف ناصر ليكون مسؤولاً عن الحزب في أبي الخصيب، وكان بدر يحتقره جداً. وقد وصفه فيما بعد في مقالاته التي نشرها في الحرية، بأنه "فلاّح من ذوي قرباي سخيف غاية السخف، جاهل غاية الجهل،

وإن كان يدّعي العلم والمعرفة". وقد زعزع اختيار علي ثقة بدر بالحزب. ولكن الحزب ظلّ يتصل ببدر، وهو في شركة نفط البصرة. وكانت تصله "القاعدة" والمنشورات الأخرى؛ ولم يكن بدر سلبياً. كان يتصل ويعمل. وحدث ذات يوم أن أمر الحزب تنظيمه العمالي في الشركة بتنظيم الإضراب، وحدث الإضراب. كان تنظيم الحزب الشيوعي قوياً، ومبررات الإضراب قوية أيضاً. ولم يكن بدر عاملاً. كان من فئة الكتّاب. هل كان بدر يعرف بالإضراب؟ لا بدّ، فليس ممكناً أن يكون عضواً نشيطاً، ولا يعلم. ولكنه بدا يوم الإضراب، وكأنه لا يعلم. لقد ذهب هو وزملاؤه إلى العمل كالعادة. وعندما وصلوا وجدوا العمال قد ضربوا كاتباً لأنه يريد أن يواصل العمل. فقرر بدر ورفاقه أن يشاركوا العمال الإضراب. وتداعى الكتّاب إلى اجتماع في ذلك اليوم، وخطب بدر فيهم محرضاً ومشجعاً فاستجاب الجميع. واختيرت لجنة لذلك الغرض كان بدر أحد أعضائها. وامتد الإضراب، وبدأ العمال يعانون من وطأته، فما كان من الكتّاب إلا أن قرروا إنقاذ الموقف بالقيام بدور الوسيط. واستطاعوا، عن طريق ترهيب الشركة مما سيقوم به العمال من أعمال عنيفة، أن يقنعوا الشركة بتلبية مطالبهم. ولقد لبت الشركة مطالبهم.

لم يستقر بدر طويلا في شركة نفط البصرة. قضى عاماً وبعض عام، ورحل سنة ١٩٥٠ إلى بغداد، يبحث عن عمل آخر. ولا نعلم إن كان قد فصل من عمله بسبب نشاطه السياسي، أو أنه ضاق ذرعاً بالبصرة وتشوّق إلى بغداد وأجوائها الأدبية.

عاد إلى بغداد، إلى مقاهيها ونواديها وإلى أصدقائه: خالد الشواف ومحـي الدين اسماعيل وغيرهم. لقد وجدهم ولم يجد عملاً. وكان أن اضطر إلى أن يعمل مأموراً في مخزن شركة لتعبيد الطرق، ثم أخذ ينتقل من عمل إلى آخر.

وأصدر عام ١٩٥٠ مجموعته الشعرية الثانية "أساطير" التي تضم إنتاج سنته الأخيرة في دار المعلمين (٤٧ — ٤٨).

ولقد تنقل في هذه الفترة بين عدد من الصحف، "الثبات" و "الجبهة الشعبية" و "العالم العربي". وكان عمل بدر في الصحافة متقطعاً، لأن الحكومة كانت تغلق الصحف الوطنية، ولهذا بحث بدر عن عمل دائم. واستطاع أن يجد وظيفة في مديرية الأموال المستوردة في آب ١٩٥١، بعد أن رضي مديرها العام بعدم مطالبته بشهادة حسن سلوك. وكان راتبه خمسة عشر ديناراً لا غير.

عاد بدر إلى العمل الرتيب، ولكنه كان عملاً يوفر له حداً من الدخل الثابت، وظلّ بدر ينشط سياسياً وصحفياً وأدبياً.

* * *

وقام مصدق في هذه الأثناء بتأميم النفط في إيران، فهبت المعارضة في البرلمان العراقي مطالبة بتأميم شركة نفط العراق والشركات الأخرى. واستطاعت الحكومة العراقية أن تصل إلى اتفاقية جديدة، يحصل بموجبها العراق على نصف الأرباح. ولكن هذا الاتفاق لم يرض المعارضة، فنظمت إضرابات ومظاهرات، فلجأ نوري السعيد رئيس الوزراء إلى كل الإجراءات لقمع الحركة الشعبية. وحين استقال نوري السعيد في تموز ١٩٥٢ خلفه مصطفى العمري، فقدمت إلى الوصي مجموعة من المطالب، منها حق الانتخاب المباشر وتحديد ملكية الأراضي وإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٠.

ولم يكن متوقعاً أن تستجيب السلطة للمطالب التي قدمتها المعارضة. فقررت المعارضة أن تقاطع الانتخابات المقبلة إذا لم يقر قانون الانتخابات المباشرة.

وكان بدر يعيش هذه الأحداث فنشر قصيدة في جريدة الجبهة الشعبية تنبأ فيها بانتفاضة. وما إن حل تشرين الثاني حتى حصلت تلك الانتفاضة. لقد أضرب طلاب كلية الصيدلة في ١٩٥٢/١١/٢٢. ولم يكن سبب الإضراب سياسياً. ومع ذلك فقد انفجرت بغداد المعبأة.

شارك بدر في المظاهرات الصاخبة التي هزت بغداد. وكان من بين المظاهرات مظاهرة، فيها بدر، اتجهت إلى مخفر باب الشيخ، وقد قتل في الصدام عدد من الأشخاص، بما فيهم بعض رجال الشرطة، وأحرق المخفر.

كان من نتيجة هذه الأحداث أن استدعي الجيش لتسلم السلطة. وأصبح نور الدين محمود رئيساً للوزراء، فأعلن الأحكام العرفية، وبدأت حملة اعتقالات واسعة.

وفكر بدر فيما عليه أن يصنع، وقرر أن يهرب. إلى أين؟ إلى إيران. كيف؟ تنكر بدر في زي أعرابي، وذهب إلى المسيب، ومنها إلى البصرة، ومن البصرة على أبي الخصيب بالسيارة، ثم إلى جيكور، حيث لم يعرفه أحد إلا حين أخذ يتكلم . وساعده أحد المهربين على الوصول إلى المحمرة (خرّ مشهر).

ظل بدر في إيران مدة شهرين وعشرة أيام، كان خلالها على ما يبدو متضايقاً. وعزم على السفر إلى الكويت، وقد زوّده رفاقه من حزب توده بجواز سفر إيراني. ومع ذلك فقد كان عليه أن يدخل الكويت "مُهرَّبا".

نزل بدر الكويت في أوائل عام ١٩٥٣، بعد رحلة متعبة؛ وكان معه صديقه محمد حسين. والتقى بدر بجماعة من الشيوعيين فروا من العراق وحكم عليهم غيابياً. وقد سكن بدر ومحمد مع المجموعة التي بلغت ثمانية، تختلف مهنهم وأمزجتهم وثقافاتهم وكان من بين هؤلاء ثلاثة مصابون بالسل.

كانت مهمة بدر في حياته المنزلية الجديدة، أن يقوم بالأعمال المنزلية. وكم كانت المهمة صعبة بالنسبة للشاعر، خاصة إذا كانت المهمة الموكلة إليه تتطلب منه أن يهتم بهذا الحشد المتناقض من الناس. وعمل بدر خلال إقامته في الكويت موظفاً في شركة كهرباء الكويت.

وكان بدر خلال إقامته في الكويت يحن إلى العراق، ويفكر بالعودة. ولقد صوّر حالته النفسية هذه في قصيدته "غريب على الخليج" (الديوان ٣١٧).

"أعلى من العبّاب يهدر رغوه ومن الضجيج
صوت تفجّر في قرارة نفسي الثكلى عراق
كالمد يصعد، كالسحابة كالدموع إلى العيون
الريح تصرخ بي عراق.
والموج يعول بي عراق، عراق، ليس سوى عراق!
البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون
والبحر دونك يا عراق".

وما هي إلا ستة أشهر حتى عاد بدر إلى جيكور. كان فيصل الثاني قد أصبح ملكاً في أيار سنة ١٩٥٣ وفاضل الجمالي رئيساً للوزارة. ولكن العراق كان حيث هو. لم تطل إقامة بدر في جيكور، لأنه كان بحاجة إلى عمل، ولأنها كانت تضيق بمطامحه الأدبية. ولذلك توجه إلى بغداد.

نزل في بغداد، في فندق رخيص. وأخذ يتصل بأصدقائه، ويتردد على مقهى حسن العجمي، ويلتقي بمحيي الدين اسماعيل، وعبد الوهاب البياتي وخالد الشواف ومحمود العبطة وآخرين.

وسافر بعد قليل إلى بوخارست لحضور مهرجان الشبيبة، وحصل على رسالة من حزب توده الإيراني. وكان لزيارته الثانية أثر في مستقبل علاقته بالحزب.

عاد بدر مرة أخرى إلى بغداد وعمل في جريدة الدفاع لصادق البصام، ولكنه ما لبث ان عيّن في مديرية الاستيراد مرة أخرى بتاريخ ٥٣/١٢/٢٣. فاستأجر بيتاً في الأعظمية ودعا عمته آسية لتعيش معه وتدبر له شؤون البيت.

وعاد بدر إلى حياته السابقة: لقاءات في المقاهي، تردد على الحانات ونقاشات في السياسة والأدب، "ومسيرات" على شاطئ دجلة، وزيارات لمبغى بغداد.

كانت علاقة بدر بالحزب الشيوعي تتداعى في هذه الأثناء وكانت هنالك مجموعة من العوامل التي تحكم على هذه العلاقة بالإحباط. ومن هذه العوامل:

أ- ما يتعلق بشخصية بدر: ان بدراً شاعر، وهو ابن فلاح، ولقد كان فردياً مفرط الحساسية، قومياً مثل كل المثقفين من أبناء البرجوازية الصغيرة، "مثالياً" في تكوينه النظري و لم يكن يستطيع أن يكون شيوعياً، إلا إذا كانت الشيوعية اندفاعاً سياسياً وحماسة عاطفية. وكان نمو هذه المشاعر وهذه الاتجاهات عنده يزيد من اختلافه مع الشيوعيين.

ب- وكانت هناك أيضا معاناته الشخصية مع بعض الشيوعيين. من ذلك احتكاكاته ومهاتراته مع زملائه في الكويت، كما روي فيما بعد، واحتكاكاته مع أحد الشيوعيين الإيرانيين خلال زيارته الثانية لإيران.

ج- وكان هنالك اختلال في الخط العام، بعد مقتل فهد خاصة، وكان من ذلك، مثلاً الموقف في إيران من مصدق، والموقف في العراق من قضية فلسطين. ثم كان هنالك مواقف الشيوعيين من اتجاهات بدر الجديدة: قراءته للأدب البرجوازي، إعجابه الشديد بشكسبير، اتجاهه نحو ايليوت، وبداية اهتماماته "العربية".

يقول خالص عزمي: "كنا نتردد كل ليلة على المحلة. انقطع بدر فترة، بسبب السفر فيما أتصور، ثم عاد ولديه تحول جذري في أفكاره جعله ينفر من أي تجمع سياسي. كان منكمشاً آنذاك ولم يذكر الأسباب".

إنّ شاعرنا يعيش مرحلة جديدة، انه ينهي التزامه الشيوعي الذي استمر سنوات من حياته. وكانت سنوات شاقة وغنيّة.

وكان بدر يوقع كل عام نداء أنصار السلام، إلاّ أنه لم يوقعه سنة ١٩٥٤.

وكان من أهم ما أنتجه بدر خلال السنوات (١٩٥١ - ١٩٥٤) مطولاته الأربع: فجر السلام ١٩٥١، حفار القبور ١٩٥٢، المومس العمياء ١٩٥٤، الأسلحة والأطفال ١٩٥٤. وكانت هذه المطولات تجربة جديدة في الشعر العربي الحديث.

كان بدر قد بدأ يكشف عن اتجاهات قومية عربية. وقد أقام علاقات مع مناضلين قوميين، منها علاقته بفيصل حبيب الخيزران، أحد قادة حزب البعث

العربي الاشتراكي. ويقول صديقه محيي الدين إسماعيل أن أحد أكثر اثنين أثرا في حياة بدر هما: فيصل وعبد الجبار وهبي – شيوعي – . كما أنه أنشأ علاقة مع مجلة الآداب. وأخذ ينشر قصائد على صفحاتها، ذات اتجاه وطـني وتقـدمي وإنساني، ومنها قصيدته القومية "في المغرب العربي".

قرر بدر سنة ١٩٥٥ أن يتزوج. ولقد اختار أخت زوج عمه عبد القادر. كانت اقبال من أبي الخصيب، ولكنها لم تكن من عائلة بـدر. وكانـت قـد تخرجت من دار المعلمات الابتدائية قبل سنتين: واشتغلت بالتـدريس. كتـب العقد في ١٩/٦/٥٥ في البصرة. و لم يحضر العرس إلاّ الأقارب الأقربون. وقـد استأجر بدر بيتاً في بغداد، وأصبح لأول مرة رب بيت بالمعنى الحقيقي.

كانت الصراعات منذ سنة ١٩٥٣ تتصاعد في المنطقة العربية عامـة، وفي العراق من جملتها. ولكن بدراً كان في هذه الأثناء يقـرأ ويكتـب ويتـرجم، ويتحسس مشاكل الجماهير وآلامها ولكنه لا يشارك في النضال العملي كمـا كان.

وبدأت بعض القصائد في شعره تعبّر عن المنحى الجديد في حياتـه: مثـل قصيدته "تعتيم" التي نشرتها مجلة الآداب في عدد كـانون الأول سـنة ١٩٥٥. وحين نشر مجموعة مترجمة من القصائد في خريف سنة ١٩٥٥ سجن أسـبوعاً وغرّم خمسة دنانير لأنه لم يذكر اسم المطبعة على غلاف الكتاب.

ولقد تحمل بدر بالزواج مسؤوليات جديدة، زادت أعباءه الماديـة وزادت كما يقول مشاغله ومشاكله. وقادته على أن يقلل من الشراب، ويحد من ارتياد الحانات والتردد على المقاهي. ولكن زواجه لم يسعده كثيراً، لأنه كان يتوقع ان تعينه زوجه على تحقيق أحلامه ومطامحه فلم تستطع. وما كان ممكناً أن يسـعد

الزواج رجلاً مثله، فردي بلا حدود، مطامحه كبيرة، ولقد اعتاد أن يعيش وحيداً مشرداً بلا بيت ولا زوج ولا أم، بينما حاولت الزوج أن تكوّن بيتاً ونظاماً وأن توفّر حياة منظمة.

كان بدر في هذه الفترة يزداد شهرة داخل العراق وخارجه. ولقد ظل يواكب حركة الجماهير العربية بشعره. وحين وقع نفر من رجال الفكر والأدب بياناً بتأييد الثورة الجزائرية لم يتخلف بدر. إلاّ أن صدور البيان لفت انتباه السلطة، لاسيما أن عدداً من الموقعين كانوا من الشيوعيين. وقبل أن تسأل السلطة بدر أعلن أن لا علاقة له بالشيوعيين.

وحين كوّن الوفد العراقي الرسمي إلى مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في دمشق، من ٢٠ إلى ٢٧ أيلول سنة ١٩٥٦، كان بدر أحد أعضائه الثلاثة، وكان العضوان الآخران: نازك الملائكة ومحمد بهجت الأثري. ساهم بدر بمحاضرة في المؤتمر حول: "وسائل تعريف العرب بنتاجهم الأدبي الحديث"، كما اختير عضواً في لجنة صياغة المقررات. وكان المؤتمر مناسبة تعرف بدر من خلالها على عدد كبير من الأدباء العرب.

وحين حدثت حرب السويس، بعد أن عاد بدر إلى بغداد بقليل، أحس بدر بمثل ما أحس به الوطنيون العرب جميعاً. ولقد نظم قصيدة باسم "بور سعيد" ألقيت في مهرجان أقيم في دار المعلمين العالية ببغداد، حيث درس بدر وتخرج.

ولدت غيداء ابنة الشاعر البكر في ٥٦/١٢/٢٤. ولم يغير ميلاد الطفلة شيئا من حياته. ولكنه أخذ يعمل في جريدة الشعب لصاحبها يحيى قاسم. ومع أنه كان يترجم للجريدة ويكتب مقالات أدبية لملحقها الأسبوعي فقط، إلاّ أن

عمله في جريدة الشعب أثار عليه الأوساط الوطنية. ولقد كانت الحاجة هي دافعه الأساسي.

وصدرت مجلة شعر في هذه الأثناء، فتحول بدر عن الآداب إليها. وليست الحاجة هي السبب الوحيد في قناعتنا. وإنما التحول الكبير في مفاهيمه الأدبية هو السبب. ولقد دعته مجلة شعر إلى بيروت، ليُلقي شعراً في ندوتها المسماة: خميس مجلة شعر، فسَرّه ذلك، وقدّم لشعره بمقدمة تدل على التحول الذي ذكرناه في مفاهيمه الأدبية.

وما لبثت ثورة ١٤ تموز ان انفجرت.

دخل بدر في هذه الفترة أهم معاركه الأدبية: معركة إثبات الوجود الشعري. وشهدت مجلة الآداب صفحات من هذا الحوار المحتدم ١٩٥٣ – ١٩٥٦، كان بدر يريد أن يثبت أنه رائد الشعر الحديث بالشعر وبالنثر. ودار نقاش شارك فيه بدر وصلاح عبد الصبور وكاظم جواد وصالح عبد الغني كبه وآخرون. ونشر بدر في هذه المرحلة قصائد من أفضل شعره: يوم الطغاة الأخير (نيسان ١٩٥٤). أنشودة المطر (حزيران ١٩٥٤)، المخبر (تشرين أول ١٩٥٤).

ولكن بدراً في هذه المرحلة أيضاً كرّس افتراقه عن مفهومه السابق في الالتزام الأدبي. أنه ما يزال من دعاة الأدب الواقعي. "ولكن الواقعية التي أدعو إليها هي الواقعية الحديثة التي تحدث عنها الناقد الشاعر الإنكليزي الكبير ستيفن سبندر في محاضرته القيمة عن الواقعية الجديدة و"الفن". ويضيف بدر أن الفنان الحديث من وجهة نظر سبندر "... أصبح انطباعياً وسريالياً وتكعيبياً ورمزياً في محاولته الهادفة إلى إيجاد انسجام بين ذاته وذات المجتمع. ولكنه أبى لنفسه أن

يكون من زمرة الطبيعيين الذين ينقلون الواقع نقلاً فوتوغرافياً. و لم يلبث الفنان الحديث حتى اهتدى إلى مخرج – كما يقول سبندر – وقد وجد هذا المخرج في الواقعية الحديثة، وهي في رأيه تحليل الفنان للمجتمع الذي يعيش فيه تحليلاً عميقاً فيه أكبر عدد مستطاع من الحقائق التي يدركها بنفاذ صبره، ولا تهم بعد ذلك وجهة النظر التي ينظر منها ما دام تحليله كذلك" (الآداب، أكتوبر ١٩٥٦ ص ٢٢).

وسيترك هذا التحول آثاره على المرحلة المقبلة. وهو تحوّل سياسي أدبي وذاتي كبير. انه يمثل معالم مرحلة جديدة في حياة السياب.

المرحلة الثانية: من ثورة ١٤ تموز إلى المرض. بشّر بدر بالثورة كما لم يبشر بها شاعر آخر. ولعل قصيدته قارئ الدم من أوضح ما كتب في هذا المجال. وكنت أنا وقد نشرت هذه القصيدة بعد ١٤ تموز مباشرة لأدلل على الحدس الأصيل التي فيها (جريدة الشعب الكويتية – ١٩٥٨/٨/٧). ولكن لبدر قصائد أخرى أكثر أهمية مثل أنشودة المطر ومدينة بلا مطر. وهو في قصيدته: "رسالة من مقبرة" متذمر برم من بغداد التي لا تثور:

هذا مخاض الأرض لا تيأسي

بشراك يا أجداث حان النشورْ

بشراك في "وهران" أصداء صورْ

سيزيف ألقى عنه عبء الدهورْ

واستقبل الشمس على الأطلسي

....

آهٍ لوهران التي لا تثورْ

وجاءت الثورة، بعد أن بدأ بدر رحلة تغربه السياسي. إلاّ أن بدراً فرح بثورته كما فرح بها كل الوطنيين العرب. ولقد حيّاها بقصيدة لم ينشرها في مجموعاته التي صدرت بعد ١٩٥٨.

ما لبث بدر، بعد قرابة شهرين ان استقال من مديرية الاستيراد العامة، وعيِّن مدرساً للغة الإنجليزية في وزارة المعارف. ولقد قاده تحسن راتبه إلى الانتقال من محل سكناه إلى محلة هيبة خاتون بالأعظمية. ثم نقل بدر بعد قرابة شهرين أيضاً (٢٠/١١/٥٩) إلى مديرية التجارة العامة.

كانت الجبهة الشعبية الوطنية في هذا الوقت تتفسخ. ذلك أن أطراف الجبهة لم يستطيعوا الاتفاق على برنامج. وقاد الصراع حول قضية الوحدة والسلطة إلى صراعات حادة ونزاعات دموية. وكان عبد الكريم قاسم يلعب بالصراعات من أجل أن يبقى. وما لبثت هذه الصراعات السياسية أن تحوّلت إلى تيار دم، وإلى قطيعة ما بين أطراف الجبهة الوطنية.

كان بدر في هذا الصراع ضد الشيوعيين. ولقد كان مُعَدّاً لأن يكون كذلك. وحين حدثت حركة الشواف، وتصاعد العداء بين أطراف الجبهة الوطنية صفّ بدر إلى جانب القوميين. ولقد طلب منه أحد زملائه في العمل ذات يوم أن يوقع عريضة تدين حركة الشواف وتتهم الرئيس عبد الناصر بتدبيرها. ولكن بدراً رفض التوقيع، وحدثت مشادة كلامية، فما كان من بعض زملائه في العمل إلا أن شكوا بدراً إلى وزارة الاقتصاد، بتهم شتى. ولقد اقتيد إلى المخفر للتحقيق معه، فلم يثبت عليه شيء. وخرج من السجن بكفالة بعد أيام، إلا أنه فقد عمله.

ولقد كان فقدان عمله عامل ضيق كبير له. ذلك أنه أصبح معيلاً، كما أنه بات غير ملتزم سياسياً. ولذلك أحس بهول المشكلة. وحاول أن يجد عمـــلاً في الدولة فلم يستطع، لأن كل الأبواب كانت تسد في وجهه. ولذلك رضـــي أن يعمل مترجماً في السفارة الباكستانية براتب ضئيل.

ولقد تعرض في هذه الفترة لمضايقات أخرى. ذلك أن رفاقـــه الشـــيوعيين تعمدوا إيذاءه. وحدث مرة أن تعرضوا له في الشارع، فأجبروه، بعد أن أهانوه، على أن يعلق صورة الزعيم عبد الكريم قاسم على ياقة معطفـــه. كمـــا أنهـــم طاردوا زملاءه ومنهم محي الدين اسماعيل.

وحاول، مصطفى أخو بدر أن يقنعه بأن الحزب مازال يكن له الاحتـــرام، وان زملاء له مثل عزيز الحاج مازالوا يعزّونه، وأنهم يســـتطيعون مســـاعدته في العودة إلى عمله. ولقد ذهب فعلاً إلى "اتحاد الشعب" ليقابل عزيز الحاج فلـــم يجده. ووجد اثنين من أصدقائه هما جمال الحيدري وحمزة سلمان و لم يبحـــث الصديقان معه قضية فصله، بل بحثا قضية علاقته مع الحزب، وطلبـــا منـــه أن يكتب وجهة نظره في قضية خلافه هذا. قبل بدر ذلك، وكتب وجهة نظره في قضية الخلاف، وإنه لمن المؤسف حقاً أننا لم نستطع رؤية هـــذه الوثيقـــة، ولا استطعنا قراءة موجز لها.

المهم في الأمر أن الرفاق لم يفعلوا لبدر شيئاً، فلا هم أعادوه إلى عمله، ولا هم أصدروا قراراً بشأن علاقته بالحزب. ولقد أثّر ذلك في بدر كثيراً. ومـــا إن بدأ المد يميل ضد الشيوعيين حتى كتب بدر سلسلة مقالات في مجلـــة الحريـــة البغدادية بعنوان (كنت شيوعياً) نشرت في منتصف آب سنة ١٩٥٩، وكانت هجوماً حاقداً انفعالياً لم يبق و لم يذر.

كان بدر في هذا الوقت يتهاوى. لقد هاجم الشيوعيين، وتملق عهد قاسم مراراً، وإن كان قد ظل ضده. ولكنه كان قد بدأ يحس بالعبث والتعب والانهيار.

زار بيروت في صيف ١٩٦٠ لطبع ديوان له. ولما كانت مجلة شعر قد أعلنت عن مسابقة اشترك في مسابقتها؛ وأتاحت له زيارة بيروت فرصة التعرف على عدد كبير من الشعراء والأدباء، كما أتاحت الزيارة الفرصة لظهور بدر في عدد من الندوات والمقابلات.

وحين عاد إلى بغداد ألغي قرار فصله من العمل، فأعيد تعيينه في السادس عشر من آب سنة ١٩٦٠. وصدرت في أواخر هذا العام مجموعته الشعرية الثالثة: "أنشودة المطر" التي ضمت ثلاثاً من مطوّلاته: حفار القبور والمومس العمياء والأسلحة والأطفال.

ولكن بدر كان متعباً يحن إلى الراحة. انه يريد راحة النفس، بالابتعاد عن بغداد وذكرياتها المرة. ويريد راحة الجسد الذي بدأ يتداعى؛ حتى أنه أصيب بضعف عام، وبدأت رجله اليمنى تتثاقل عن الحركة. ولقد ظلت الفكرة تلح عليه حتى أنه كتب لادونيس في ٦٦/١٢/١٨: (سوف أنقل مقر عملي إلى مدينة البصرة، فقد هزَّني الشوق إلى جيكور وبويب وسواهما من ملاعب الطفولة). وما لبث بعد أربعة أيام أن استقال من عمله وانتقل مع عائلته إلى البصرة.

٦- أسفار مع المرض والعذاب

وصل بدر إلى البصرة، ولكنه لم يبحث عن العمل طويلاً هذه المرة. لقد دعاه المدير العام للموانئ العراقية اللواء الركن مزهر الشاوي للعمل في مصلحة الموانئ. و لم يتردد بدر، ذلك أنه بحاجة إلى العمل، واللواء مزهر رجل محب للآداب ينظم الشعر ومن المعجبين بشعر بدر.

أصبح بدر بعد اسبوعين موظفاً في مصلحة الموانى براتب مثل راتبه السابق، البالغ حوالي خمسين ديناراً. ولكن قرار تعيينه صدر وهو في السجن، ذلك أنه اتهم بأنه شارك في مظاهرة قامت في بغداد. والحقيقة أن بدراً لم يكن في بغداد. ولما استطاع اثبات ذلك أفرج عنه بعد أن قضى حوالي أسبوعين مسجوناً (٦١/٢/٤ حتى ٦١/٢/٢٠).

وكان أول تعيينه في مديرية الشؤون الثقافية، ثم نقل إلى مديرية النقليات بأرصفة الميناء، وأعيد ثانية إلى الشؤون الثقافية، ليكون مسؤولاً عن شؤون البعثات الطلابية التي ترسلها المديرية. كما عيّن عضواً في أسرة تحرير مجلة الموانئ التي تصدرها المديرية، وكانت عضويته في أسرة التحرير تضيف إلى دخله خمسة دنانير.

كانت صحة بدر في هذه الأثناء تتدهور. بات الألم في أسفل ظهره محسوساً، وتثاقلت حركة رجليه. وولدت له طفلة في السابع من تموز سنة

١٩٦١، سمّاها آلاء، وشاء سوء الطالع أن تقرر الحكومة العراقية في هذا الوقت إسترداد المكافأة التقاعدية التي تسلمها سنة ١٩٥٩، فأوقعه ذلك في ضائقة مالية. لقد كانت ولادة بنته ومرضه سببين كافيين لزيادة المصروفات، فكيف إذا استقطع ثلث الراتب؟

وقد اضطرته ضائقته المادية إلى التعاون مع مؤسسة فرانكلين لإنجاز بعض الترجمات.

وكان في ربيع هذا العام، ١٩٦١، قد زار جيكور، فأثارت زيارته في نفسه حشداً من الذكريات، وأنتجت عدداً من القصائد المسربلة بالموت.

لقد بدأ الموت الخاص الفردي يكون شاغله الوحيد.

وكانت صحته تزداد تدهوراً، ذلك أن نصفه الأسفل بدأ يستسلم للشلل، وأخذت قواه الجنسية تضعف، وسيطرته على البول والغائط تتناقص.

وجاءته في هذه الأثناء دعوة لحضور مؤتمر للأدب العربي المعاصر يعقد في روما ما بين ١٦ و ٢٠ تشرين الأول سنة ١٩٦١. فشارك بمحاضرة عنوانها: الالتزام واللا التزام في الأدب العربي الحديث.

وانتقل بدر من المشاركة في مجلة شعر إلى المشاركة في مجلة حوار، ثم قرر أن يعود إلى الآداب.

وكان يتنقل بين بيروت وبغداد وباريس ولندن من أجل العلاج، والموت نصب عينيه وبنات الجن تلاحقه. ولكن العلاج لم يجده فتيلاً. كان الجزء الأسفل من جسمه يضمر ويضمر، والقروح تأكل ظهره. وحين جربوا معه العلاج الطبيعي، كسرت عظمة الساق لهشاشتها.

ومات بدر يوم ١٩٦٤/١٢/٢٤. وكان ديوانه، شناشيل ابنة الجلبي قد صدر، ولكنه لم يصله قبل الوفاة. وكان قد صدر له قبل ذلك: المعبد الغريق ١٩٦٢، ومنزل الأقنان سنة ١٩٦٣.

يقول تقرير المستشفى الأميري في الكويت:

"... كان يعاني من مرض عضال ألمَّ به منذ سنة ١٩٦٠، حيث أصابه ضعف في حركة أطرافه السفلى، أدخل على أثره مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت و لم يتحسن. سافر بعدها إلى إنكلترا، بعد أن فقد القابلية على السير، حيث أجريت له الفحوصات وعولج و لم يحصل إلا على تحسن جزئي لا يذكر. وأخيراً حط به المطاف في الكويت حيث أدخل المستشفى الأميري بتاريخ ٦٤/٧/٦، حيث كان طريح الفراش يشكو من شلل تام في أطرافه السفلى وضمور شديد في جميع عضلات الجسم وفقدان السيطرة على التغوط، مع قروح جلدية عميقة في منطقة الورك. كذلك كان يعاني آخر أيامه من اضطرابات نفسية حادة. عرض على أخصائي الأمراض النفسية حيث أخبر الطبيب انه يعتقد ان سبب مرضه هو الظروف القاسية التي مر بها خلال السنوات العشر الماضية سياسياً وعائلياً. وكان الطبيب المعالج يعتقد ان العلاج النفسي سيساعده كثيراً في التغلب على المرض، بينما يعتقد الأخصائي بأنه يشكو من كآبة حادة: بالإضافة إلى مرضه الأول (شلل تام).

قضى فترة ما يقارب الستة أشهر في المستشفى الأميري أجريت له شتى الفحوصات المخبرية والشعاعية، أعطي بعدها العلاج الطبيعي الذي سبب له من سوء حظه كسراً باثولوجياً في عظم الفخذ الأيسر، وذلك لشدة ضعف العظم والعضلات. انتكست حالته الصحية أثناء مكوثه في المستشفى عدة مرات، بينما

كان المرض يتطور من سيء إلى أسوأ، مع كافة مضاعفاته، إلى أن وافاه الأجل الساعة ٢,٥٠ صباحاً من يوم ٦٤/١٢/٢٤، إثْر إصابته بذات الرئة الشعبي الحاد".

ولقد حمل صديقه علي السبتي جثمانه وسار به إلى البصرة. كان الجو ممطراً والشوارع مقفرة. وحين وصل بيته لم يجد أحداً، لأن الشرطة كانت قد أخرجت عائلته من البيت في ذلك اليوم نفسه، فالبيت لمصلحة الموانئ، ومصلحة الموانئ طردت بدراً، بعد أن استنفد الإجازات المرضية، ولأن عائلة بدر لم تدفع المتأخر من الإيجار ونفقات الكهرباء.

ودفن جثمان بدر، بعد الصلاة عليه في مقبرة الحسن البصري، و لم يحضر جنازته إلا عدد قليل من أصدقائه.

واليوم يقف لبدر تمثال شامخ في البصرة، على شطَ العرب، أقيم في احتفال بمناسبة ذكرى وفاته السادسة سنة ١٩٧١.

* * *

المراجع

د. إحسان عباس: بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره – دار الثقافة، بيروت ١٩٦٩.

د. عيسى بلاطه: بدر شاكر السياب، حياته وشعره – دار النهار للنشر، ١٩٧١.

عبد الجبار داوود البصري: بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد ١٩٦٦.

سيمون جورجي وآخرون: بدر شاكر السياب الرجل والشاعر – منشورات أضواء، ١٩٦٦.

محمود العبطه: بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق – مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٥.

مجلة الآداب: نيسان ١٩٥٤، حزيران ١٩٥٤ تموز ١٩٥٤، أكتوبر ١٩٥٤، كانون الأول ١٩٥٥، حزيران ١٩٥٦، أكتوبر ١٩٥٦.

مجلة شعر: العدد ٣ سنة ١٩٥٧.

مجلة حوار: العدد ٥، ٩، ١٠.

مقابـــلات مع: محيي الدين اسماعيل، سليمان العيسى، محمد علي الزرقـــا، خالص عزمي، علي السبتي.

عبد الجبار عباس: السياب – وزارة الإعلام، كتاب الجماهير ١٢، ١٩٧٢.

خالص عـــزمي: صفحات مطوية من أدب السياب – وزارة الإعلام، سلسلة الثقافة العامة ٧، ١٩٧١.

السياب ... شيء عن شعره وعصره

إن سنة ١٩٤٨ سنة حاسمة في التاريخ العربي الحديث، فهي لم تشهد نكبة فلسطين فقط، ولكنها شهدت بداية انهيار المجتمع العربي التقليدي، التي تمثلت فيما بعد بانهيار أنظمة الحكم في سوريا ومصر، وبالحركات الشعبية ضد السيطرة الاستعمارية في مصر والعراق... وليس غريباً أن تشهد هذه السنوات ذاتها بداية حركة "الشعر الحر" في الوطن العربي.

إن انهيار المجتمع العربي التقليدي لم يكن انهياراً فحسب، ذلك أن قِيَم هذا المجتمع المتخلف المحافظ أخذت تنهار أيضاً أمام الحركة النامية في أحشائه، تحت تأثير عوامل داخلية وخارجية. وكانت هذه الحركة من العمق إلى درجة لم يستطع معها الشعر العربي — وهو الذي لم يستطع التجديد الجذري أن يقتحمه منذ الجاهلية — أن يبقى حيث أراد له الخليل بن أحمد. لقد بلغت الهزة الشعر العربي، فعاد إلى مكانه من حركة التطور، وبدأ يتفاعل معها، لتبدأ تجربة "الشعر الحر".

ولقد هيأت لهذه التجربة عوامل مختلفة أهمها:

أولا: سقوط الوجود العربي التقليدي، وزوال صفة القداسة عنه، ذلك أنه سقط سياسياً، وسقط اجتماعياً، وسقط فكرياً.

ثانياً: دراسة تجارب الشعر الغربي، ولاسيما الفرنسي والإنجليزي، والتأثر بتياراته المختلفة.

ثالثاً: تسرب الفكر الاشتراكي عامة، والماركسي خاصة، إلى بلادنا وكفاحه من أجل التحرر والتجديد وربطه بينهما.

ولقد حدثت قبل سنة ١٩٤٨ إرهاصات في مجال التجديد الشعري أهمها محاولات الدكتور لويس عوض في "بلوتولاند وقصائد أخرى"، وترجمة علي أحمد باكثير لمسرحية شكبير. والجدير بالذكر أن هذه المحاولات ظلت سنوات دون نشر، حتى قيّض لها أن تصدر سنة ١٩٤٧. وتعتبر محاولات الدكتور لويس عوض جادة وهامة لأنها تخطت مفاهيم الشعر العربي تخطياً نهائياً، إذ أنه حاول أن يبتكر أوزاناً جديدة سواء بالاستفادة من العروض العربي، أو بالاستفادة من العروض الإنجليزي، كما حاول أن يحرر الشعر من اللغة الجامدة، لغة المعاجم والفقهاء. وتضم هذه المجموعة قصائد فصيحة وقصائد عامية، قصائد موزونة وقصائد غير موزونة[1].. إنها مجموعة تجارب واعية. ولكن صدورها سنة ١٩٤٧، جعلها ذات أثر محدود في تجربة الشعر الحديث. لقد ضاعت في الموجة التي أخذت تتسارع في السنة التالية غير ملتفتة إلى شيء.

بدر والقصيدة الحديثة

كانت بغداد تشهد مداً يسارياً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وكان في دار المعلمين العالية في بغداد طالب قَدِم من جيكور في جنوب العراق، يدعى بدر

[1] – مجلة حوار – العدد ٢٠، صراع المتناقضات في الشعر الحديث – غالي شكري.

شاكر السياب، يدرس الأدب الإنجليزي، وينتمي للحزب الشيوعي العراقي كان بدر غريباً في المدينة، وغريباً في نفسه، ولكنه كان – وهو ابن الفلاح – ضد المدينة... إنه يرفضها سياسياً لأنها تضطهده، وتحوله إلى تابع مهين ويرفضها اجتماعياً لأنها تحوله إلى عبد محروم.. فلم يكن بدعاً أن يرفضها ثقافياً خاصة والدعوة الشيوعية "دليله"، والثقافة الغربية مادة دراسته.

كان الفتى الغريب بطبعه ووضعه رومانسياً، ولكن رومانسيته لم تكن رومانسية وطن يتقدم نحو الازدهار، بل كانت رومانسية وطن يعيش مرحلة تخلخل سياسي واجتماعي، وتعاني أكثرية الشعب فيه أقسى أنواع الاضطهاد والحرمان. الرومانسية هنا ليست مترفة، ليست تهويمات برجوازية "صناعية" صاعدة، ولا تأوهات برجوازية وسطى تضيق بأطرحياتها وتقاليدها.. إنها رومانسية برجوازية صغيرة مذلة مهينة محرومة، ترزح تحت وطأة تقاليد اجتماعية قاتلة، وتجابه تخلف مجتمع شبه إقطاعي شبه مستعمر، وهي هزيلة التكوين والفكر. من هنا كانت الرومانسية جزءاً من الثورة السياسية الاجتماعية فتحولت من "تبرم" إلى "رفض" وتجاوزت الضبابية والغموض – إلى حد – لتطرح قضية التغيير الجذري للمجتمع.

وحين بحثت رومانسية البرجوازية الصغيرة هذه عن دليل للثورة، وجدت الماركسية فتبنتها، واتحدتا معاً... كان بدر ابن هذا الاتحاد القلق، فآمن بالتغيير ولكنه ظل محافظاً على حرمة التراث، وسمح لنفسه أن يتجاوز تقاليد العمود الشعري العربي، ولكنه ظل وفياً للتراث، فلم يتجاوزه أبداً[1]. لم يكتب قصيدة

---

[1] أكد لي صديقه محيي الدين اسماعيل هذه الحقيقة، كما أكدها لي الشاعر شخصيا.

النثر، و لم يستعمل العامية، و لم يتجاوز الأسس المتعارف عليها في العروض العربي، إلا في أقل القضايا أهمية، وهي عدد التفاعيل.

ومع ذلك فقد كان بدر رائداً من روّاد التجديد.

هل كان أول الرواد؟...

إنها قضية مختلف عليها. وهنالك ما يدعو إلى الالتباس. ذلك أن القضية ليست واضحة تماماً. فمن الناحية التاريخية سهل علينا أن نحدد تواريخ كثير من القصائد التي تعتبر القصائد الأولى في تجربة "الشعر الحر"، ولكنه ليس من السهل أبداً أن نحكم" أي من هذه القصائد هي النموذج الأول لتجربة الشعر الحديث. ومع هذا فسنحاول أن نطرح القضية زمنياً، وشعرياً.

هنالك اتفاق من الناحية الزمنية على أن محاولات الدكتور لويس عوض وعلي أحمد باكثير هي الحائزة قصب السبق في هذا المجال. ولكن هذه المحاولات كانت كالصيحة في الوادي، فالدكتور لويس عوض وعلي أحمد باكثير لم يخوضا معركة التجديد.. و لم يدخلا معركة التجربة الشعرية الجديدة بالشعر... لقد توقفا من حيث كان البدء. ويبدو أن محاولاتهما لم تكن ذات أثر في العراق. نستدل على ذلك من المناقشات التي دارت على صفحات الآداب حول "الشعر الحر"، والتي اشترك فيها السياب نفسه. فما من أحد أشار إلى محاولات لويس عوض وباكثير، من المتناقشين، إلا صلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب. أما السياب فقد مر مروراً عابراً بعلي أحمد باكثير معتبراً إيّاه أول من كتب "الشعر الحر"، و لم يشر أبداً للويس عوض. وأما صلاح فقد ذكر لويس دون باكثير[1] يبدو أن بدراً لم يقرأ محاولات لويس عوض، وإلا فما كان من

[1] الآداب، حزيران – تموز ١٩٥٤ ويناير ١٩٥٥.

سبب يدعوه لعدم ذكره، ما دام يعترف بالأولوية لباكثير[1]. ثم إن صدور محاولات عوض وباكثير سنة ١٩٤٧، وان كانت قد كتبت قبل هذا التاريخ بسنوات يجعل تأثيرها محدوداً – إن كان لها تأثير خارج مصر – ذلك أن التجربة في العراق كانت تعطي أولى ثمارها في هذا التاريخ.

تروي السيدة نازك الملائكة أنها نظمت قصيدتها الكوليرا يوم ٢٧/١٠/١٩٤٧، التي نشرت في أول كانون الأول من العام نفسه، كما تذكر أن الشاعر بدر شاكر السياب أصدر ديوانه "أزهار ذابلة" في بغداد في منتصف كانون الأول من ذات العام، وكانت فيه قصيدة بعنوان "هل كان حباً" "علق عليها في الحاشية بأنها من الشعر المختلف الأوزان والقوافي"[2]. وهنالك اتفاق بين من كتبوا حول الموضوع على أن ديوان بدر "أزهار ذابلة" صدر في كانون الأول[3]. ويذكر صالح عبد الغني كبه أن "رفائيل بطي" علق في مقدمة "أزهار ذابلة" على قصيدة متحررة فيه[4]، ولكن بدر نفسه يذكر أن ديوانه "أزهار ذابلة" طبع في مصر، وأنه وصل إلى العراق في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٧، وان قصيدة "هل كان حباً" "المكتوبة على طريقة الشعر الحر قد كتبت قبل طبعه بما لا يقل عن شهرين – إذا كانت المسألة مسألة حساب فقط – وبأكثر من عام كما هي الحقيقة"[5]. وقد نشرت قصيدة "هل كان حباً" في مجموعة "أزهار وأساطير"[6] التي طبعت سنة ١٩٦٠ عندما كان بدر يعالج في بيروت، وقد وضع

---

[1] يذكر بدر في مقدمة "أساطير" اسمي الياس أبو شبكة وخليل شيبوب.

[2] قضايا الشعر المعاصر – ص ٢٣ – ٢٤، ط ٢ مكتبة النهضة بغداد.

[3] الأداب – شباط ١٩٥٤، حول الشعر المتحرر في العراق، صالح عبد الغني كبه ص ٥٠ – ٥١.

[4] المصدر السابق.

[5] الأداب – حزيران ١٩٥٤ ص ٦٩.

[6] إصدار مكتبة الحياة.

تحتها التاريخ التالي: ١٩٤٦/١١/٢٩. وينسجم هذا التاريخ مع ما ذكره بدر أعلاه. ويذكر بدر أيضا أنه نشر خمس قصائد من "الشعر الحر" في الفترة الواقعة بين ظهور "أزهار ذابلة" و "الكوليرا". ولكن بدراً لا يذكر أسماء هذه القصائد، ولا أين نشرت. ومن المفروض أن تكون قد نشرت في الفترة الواقعة بين كانون الثاني ١٩٤٧، يعود تاريخها إلى سنة ١٩٤٨. أما القصائد المنشورة فيعود تاريخها بالترتيب كما يلي: أساطير ٤٨/٣/٢٤، سراب ٤٨/٣/٢٧، اتبعيني ٤٨/٤/٢١، نهاية ٤٨/٥/٢٦، في القرية الظلماء ٤٨/٦/٢٠، سوف أمضي ٤٨/٢/٣٠، أغنية قديمة ٤٨/٧/٢٠، في ليالي الخريف، ٤٨/٩/١٧، في السوق القديم ٤٨/١١/٣، اللقاء الأخير ١٩٤٨ دون تاريخ محدد.

ومن الجدير بالذكر أن بدراً لم يجد - حين نشر رده، وبعد ذلك - من يناقشه في صحة المعلومات التي أوردها، والغريب أن نازك الملائكة أصدرت كتابها "قضايا الشعر المعاصر"، وأوردت وجهة النظر الواردة آنفاً، والمخالفة لوجهة نظر بدر، ولكنها لم تكلف نفسها عناء مناقشة ما أورده بدر، مع أني أستبعد أن تكون غير مطلعة عليه.

هنالك فرق زمني يبلغ عشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً بين تاريخ قصيدة بدر "هل كان حباً"، وتاريخ قصيدة نازك "الكوليرا". وهذا يعني أن بدراً كتب هذه القصيدة قبل صدور ترجمة باكثير لمسرحية شكسبير[1]، وقبل صدور مجموعة الدكتور لويس عوض، ولكن هذا السبق الزمني لا قيمة له عملياً ذلك أنه وإن كان يسجل لبدر سبقه في هذا المضمار، إلا أنه لا يجعله معلماً رائداً لأبناء جيله.. لنازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور وغيرهم. لقد

[1] كان بدر يعلم ان ترجمة باكثير التي نشرت سنة ١٩٤٧ كانت مهيأة للنشر منذ سنوات.

أعلن بدر إشارة البدء – بعد أن أعلنها الدكتور لويس عوض ولكنه لم يـدخل الميدان – وما كاد يدخل الميدان حتى وجد عدداً من الشعراء يخوض الشـوط معه. وكان كل شاعر من هؤلاء ذا تجربة خاصة، وله من الإمكانيات ما لبـدر أو بعض ما لبدر، وخلال الشوط الطويل تكوّن هؤلاء الشـعراء، ونضـجت تجربة "الشعر الحر" كان كل واحد منهم يأخذ مـن النـهر، منميـاً طاقاتـه وإمكانياته. وإن كان كل منهم يحتفظ بمصادر طاقته الخاصة. ولكن كل واحد منهم كان يحاول اللحاق ببدر، ويتأثر به بشكل أو آخر.

* * *

لنعد إلى قصيدة بدر الأولى "هل كان حباً"، لنرى ما فيها من التجديد. إنها تتكون من أربعة مقاطع من بحر الرمل (فاعلاتن مكررة ثلاث مرات بالأصل). ولقد خرج بدر على قاعدة الخليل بن أحمد التي تقضي بالتزام ثلاث تفعـيلات في الشطر الواحد إذا كان البحر تاماً، وباثنتين إذا كان مجزوءاً، فجاءت بعـض الأبيات من تفعيلتين وبعضها من ثلاث وبعضها من أربع دون نظام معين. وإن كان يبدو من دراسة القصيدة أن بدراً حاول الالتزام بنظام معين فيها، ولكـن الزمام أفلت من يده. يدل على ذلك المقطع الأول الذي يتكـون مـن سـبعة أبيات[1]. الثلاثة الأولى منها ذات ثلاث تفعيلات، والبيتان التاليان أربـع أمـا السادس والسابع فمثل الأبيات الثلاثة الأولى. ونلاحظ أن قافية الأبيات الثلاثة الأولى منسجمة مع قافية البيتين الأخيرين. إلا أن المقاطع الأخـرى لا تخضـع لنفس الترتيب في التفعيلات، وإن كان الثاني يخضع لنفس الترتيب في القافيـة.

---

[1] سميتها أبياتاً مع أن بعضها أشطر حسب الاصطلاح التقليدي أما في هذه الدراسة فالبيـت والشـطر شيء واحد.

أما الثالث فقد كان مقدراً له أن يكون مثل سابقيه من حيث القافية. ولكن الأبيات الأربعة الأخيرة التقت في قافية واحدة. ويخرج المقطع الرابع – من حيث القافية – عن إطار ما التزم في المقاطع السابقة، إذ تتوالى القافية الواحدة في شطرين متتابعين، ما عدا الشطر الثالث الذي ظل وحيداً.

ونلاحظ في هذه القصيدة:

١- استعمال تفعيلات الرمل – كاملاً ومجزوءاً – دون نظام معين.

٢- محاولة التخلص من التزام قافية واحدة التزاماً محدداً.

ويبدو أن التطور الذي حدث في هذه القصيدة جاء عفوياً، لأنها ابتدأت بنظام معين – وزناً وقافية – ولكنها تجاوزت ما بدأت به، وإن كانت لم تنته إلى استعمال التفعيلة الواحدة في الشطر الواحد، ولا إلى تجاوز أي نظام للقافية. إن ما فعله بدر في هذه القصيدة هو أنه أجاز لنفسه الانتقال من تفعيلتين إلى ثلاث فأربع انتقالاً غير منتظم.

وقد حقق بدر الانتقال إلى استعمال التفعيلة الواحدة في قصيدته "سوف أمضي"[١] لأول مرة، فيما نعرفه من قصائده. إلا أن هذه القصيدة تلتزم نظاماً معيناً في الوزن والقافية، ما عدا شطراً واحداً في المقطع الأخير. ولعل قصيدته أساطير[٢] تحقق قفزة إلى الأمام في مجال التخلص من عمود الشعر التقليدي. فالقصيدة من المتقارب (فعولن مكررة أربع مرات في كل مرة) ولم يعرف الشعر العربي لهذا البحر مجزوءاً، ولا مخلوعاً (استعمال ثلاث تفعيلات)[٣]. وقد

---

[1] أزهار وأساطير ص ٤٧ من هذه المجموعة وتعتمد هذه المجموعة كمرجع إلا حيث نكر ذلك.
[2] المصدر السابق ص ٣٣.
[3] تسمية اصطلاحية ليست له.

جاء بدر فحرر هذه التفعيلة من عمود الخليل، لترد فرادى أو مثنى أو ثلاث أو رباع دون انتظام.

تعالي فما زال لون السحاب

حزيناً يذكرني بالرحيل

رحيل؟...!

.تعالي، تعالي. نذيب الزمان

وساعاته في عناق طويل

ونصبغ بالأرجوان

شراعاً وراء المدى

وننسى الغدا

على صدرك الدافئ العاطر

فتهويمة الشاعر

تعالي فملء الفضاء

صدى هامس باللقاء

يوسوس دون انتهاء

ونستطيع أن نلاحظ هنا أن بدراً تحرر من اتباع نظام معين في تواتر القوافي، وان كان يميل للإتيان بالقوافي المتماثلة في الأشطر المتتالية، وكثيراً ما تتابع القوافي أو تتوالى.

ولقد تقدم بدر خطوات خلال سنة ١٩٤٨، وكانت "أغنية قديمة" و "السوق القديم" أفضل شعره "الحر". أخذت قصيدة بدر تتحرر من مظاهر القصيدة التقليدية، وتسير نحو الوحدة والجريان، وهي خلال ذلك تبحث عن

أساليب التعبير المناسبة، مثل التعبير بالصور بدل التعبير المباشر. ومع أن قصيدة نازك "الكوليرا" أقرب للشعر "الحر" من قصيدة بدر "هل كان حباً"، إلا أن قصائد بدر التي يعود تاريخها لسنة ١٩٤٨ أكثر تفتحاً وانطلاقاً من قصائد نازك، وأكثر جدارة باعتبارها لبنات أساسية في أساس تجربة الشعر "الحر". وإنه لضروري أن نسجل لنازك الملائكة قدرتها على إيضاح أسس التجربة الجديدة في مقدمة "شظايا ورماد" الذي صدر سنة ١٩٤٩ بينما عجز بدر عن أن يفعل ذلك في مقدمة مجموعته "أساطير" الصادرة سنة ١٩٥٠. وما ذلك في رأيي إلاّ نتيجة تفوق نازك في ميدان الدراسة. وهذا ما جعل نازك تتفوق، فيما بعد في ميدان الدراسات الأدبية، بينما تفوّق بدر شاعراً.

وهنالك ثغرة ما زالت تعترض سبيل الذين يدرسون شعر بدر. فشعره ليس كله منشوراً، وليس – فيما قرأنا – أية قصيدة تعود لسنوات (٤٩ – ٥٢). وهذه السنوات الأربع هامة لأنها السنوات التي تلت تخرجه من جهة، ولأنها سنوات نشاطه الشيوعي من جهة ثانية. ومع أني ما زلت أحاول أن أسد هذه الثغرة إلا أني أتساءل لماذا لم ينشر بدر شيئاً من قصائد هذه الفترة؟.[1]

ونستطيع أن نميز أربع مراحل في حياة بدر وفي شعره:

الأولى: الرومانسية ١٩٤٣ – ١٩٤٨.

الثانية: الواقعية ١٩٤٩ – ١٩٥٥.

الثالثة: التموزية أو الواقعية الجديدة ١٩٥٦ – ١٩٦٠.

الرابعة: الذاتية ١٩٦١ – ١٩٦٤.

---

[1] نشر إعلان في مجموعته "أساطير" عن قرب صدور ديوانه السياسي والاجتماعي بعنوان "زئير العاصفة" ولكن هذه المجموعة لم تصدر. ولا يعرف أين ذهبت موادها.

بدر الرومانسي

بدأت الحرب العالمية الثانية، وبدر في أول بلوغه. وهكذا فتح الفتى عينيه على عالم يهتز. وكان الوطن العربي في هذا الوقت، يغلي بمختلف مشاعر التمرد والرفض، التي لا تتجه نحو الاستعمار فقط، بل نحو التقاليد البالية أيضاً. وكانت الحركة الرومانسية في الوطن العربي، قد بلغت ذروة مجدها، ممثلة في مدرسة أبولو... وكان بدر في الوقت ذاته، يعاني مأساة خاصة. لقد توفيت أمه، وتزوج أبوه. ويبدو أن الحادثتين أثرتا كثيراً في نفسه، لنسمعه يقول من قصيدة عنوانها "خيالك":

خيالك من أهلي الأقربين
أبرُّ وإن كان لا يعقل
أبي منه قد جردتني النساء
وأمي طواها الردى المعجلُ
وما لي من الدهر إلاّ رضاك
فرحماك فالدهر لا يعدلُ..[1]

[1] إقبال ط. اولى، حزيران ١٩٦٥، ص ٨١.

وكانت جدته قد توفيت أيضاً، ويبدو أنها حلت في ذهنه محـل والدتـه، فصدمه موتها صدمة عنيفة: وكان أن كتب قصيدة بعنوان "رثاء" جدتي بتاريخ ٤٢/٩/٩ جاء فيها:

جدتي من أبث بعدك شكواي طواني الأسى وقلّ معيني أنت يا من فتحت قلبك بالأمس لحبي أوصدت قبرك دوني فقليل عليَّ أن أذرف الدمع ويقضي علـيَّ طول أنيني ليتني لم أكن رأيتك من قبل و لم ألقَ منك عطف حنـون آه لـو لم تعوديني على العطف وآه لو لم أكن أو تكوني...[1]

كانت مأساة بدر تكمن في غربته... غربته الأبدية عن أمه، وعن أبيه، وعن جدته. وكان يعيش في مرحلة اشتد الصدام فيها بين القيم والواقع، بين الماضي والحاضر. وكان هذا كله، يجعله دائما يبحث عن مَثَل أعلى، ليس موجوداً. إنه يرفض أن يقبل الواقعي، لأنه مؤلم.. لأنه الموت، لأنه فراق أمه وأبيه وجدته.. ولأنه خيانة وغدر وبؤس. لقد أحب "لبيبة" وهي تكبره بسبع سنوات، كمـا جاء في هامش كتبه بخط يده[2]، ولكنه لا يخاطب لبيبة كما يخاطـب الحبيـب حبيبته، بل كما يخاطب الطفل أمه، وهو لا يخاطب لبيبة نفسها، لأنه لا يريـد أن يجعل من حبه واقعياً، بل يخاطب خيالها:

خيـالك من أهلـي الأقـربين ابَـرّ وإن كـان لا يعـقل

وليس هذا غريباً، فهو لا يحب إنسانة حية... إنه يحب خيال إنسان. فـلا غرو إذا رأيناه بعد هذا كله، يرفض أن يدنس نفسه بحب فتاة "الهوى والثرى".

أعفرت مـن كبريـائي النـداء؟ ورجّعـت آمـادي القهقـرى

---

[1] المرجع السابق ص ٧٨.

[2] في دفتر مخطوط بحوزتي.

نسيت التي صورها مناي ... وناديت أنثى ككل الورى

وأعرضت عن مسمع في السماء ... إلى مسمع في تراب القرى

أتصغي فتاة الهوى والخيال ... وأدعو فتاة الهوى والثرى

في مثل هذه الحالة، يصبح الحب ضائعاً، وتصبح "الحبيبة" سراباً، تصبح مثل ذلك الطائر الخداع الذي يسمى "ملاهي اراعي"[1]. ويبدي بدر في قصيدته "ضلال الحب[2]" نقمته على المرأة، فلا يجد أفضل من قصة آدم وحواء، دليلاً على ما تصنعه بالرجل، وكيف تقوده إلى الهاوية.

وزاد من شعور بدر بالغربة هجرته من الريف إلى المدينة. هنا يبدأ الضياع الكبير الذي ترك آثاره العميقة في مستقبله كله. وعلى الرغم من أن قصيدته "المساء الأخير[3]" التي كتبها ليلة مغادرة الريف، وكتب تحت عنوانها "آخر مساء قبل مغادرة الريف"، ليست حارة حادة، فإنها تمثل ارتباطه بالريف، وارتباط الريف بالحب. وهو قبل أن يغادر لا يطمع بلقاء، لأن هذا مستحيل بل يطمح إلى نظرة...

وهو في المدينة غريب، هذا ما يحس به، فيحلم "بالليالي المقمرات وبالنخيل"... يحلم بالرحيل إلى الريف.

* * *

ليس في شعر هذه المرحلة ما يلفت النظر إلى أن بدر سيصبح شاعراً كبيراً، إنه شعر عادي تقليدي فيما عدا القصائد التي ذكرناها. وقصائد هذه المرحلة غزلية على الأغلب أو من شعر الحنين. لقد كتبها بدر وهو في سن تتراوح بين

---

[1] قصيدة همسك الهاني – إقبال صفحة ٦٩.

[2] المرجع السابق، ص ٦٥.

[3] المرجع السابق، ص ٩٨.

السادسة عشرة والثالثة والعشرين. وليس في هذه القصائد ما يدل على أنه تأثر خطى أحد من الشعراء الرومانسيين العرب، وذلك لأن رومانسيته من طراز فريد أولاً، ولأن الرومانسية العربية رومانسية مترفة، وكانت قد بلغت ذروة مجدها، وأخذت في الأفول عندما بدأ بدر يتنفس شعراً. فبدر شاعر "مأزوم"، وقد عانى الأزمة على صعيد المُثُل، وعلى صعيد وجوده الفردي، بينما كانت الرومانسية العربية حالمة سابحة في خيالات حسية ومترفة. لقد وقف هذا الحاجز بين بدر والرومانسية العربية، وإن كان على ما يبدو معجباً بعلي محمود طه، وقد طلب منه تقديم قصيدته "بين الروح والجسد"، ولكن علي محمود طه مات قبل أن يلبي رغبة بدر. ويبدو هذا التأثر أحياناً باستعمال الصور الحسية والصفات الحسية المترفة المتتالية مثل:

أمنيات دغدغدت حسي بإغماء طروب
وانتشاء فاتر الآماد نعسان الطيوب
الأريج الدافئ المغناج منغوم الهبوب
أسكرته الليلة القمراء في سهل رطيب[1]

غير أن عدم وقوع بدر تحت تأثير الرومانسيين العرب ناتج عن أنه اطلع على الآداب الأجنبية، والإنجليزية خاصة، خلال دراسته في دار المعلمين العالية في بغداد التي تخرج منها سنة ١٩٤٨. كان بدر يدرس الأدب الانجليزي، وقد أتاحت له دراسته التعرف إلى الأدب الإنجليزي، فتأثر به كثيراً، وخاصة بشلي وكينس. ويبدو تأثره واضحاً في بعض القصائد. فهو مثلاً في "ذكرى لقاء" يترجم مقطعاً لجون كيتس، مشيراً إلى ذلك في الهامش. وهذا هو المقطع:

---

[1] محيي الدين اسماعيل – ملامح من الشعر العراقي الحديث – مجلة الآداب – يناير ١٩٥٥.

وتمتــد يمناك نحــو الكتاب كمن ينشد السلوة الضائعة

فتبكي مع العبقري المريض وقد خاطب النجمة الساطعة

تمنيــت يــا كــوكب

ثبـــاتا كهـــذا – أنـــام

علـــى صدرها في الظلام

وأفنـــى كمـــا تغـــرب

والعبقري المريض – كما يشير الهامش المذكور – هو "الشاعر الإنجليــزي جون كيتس" الذي "مات مسلولاً في الخامسة والعشرين من عمره، وآخر مــا كتبه قصيدته التي يخاطب بها كوكباً في السماء"[1].

ويرى الدكتور لويس عوض أن قصيدة "رئة تتمزق"[2] تعتبر تنويعــاً علــى قصيدة كيتس "أنشودة إلى بلبل"، كما أن قصيدة "اتبعيني"[3] تعتبر تنويعاً علــى قصيدة شلي "اتبعيني... اتبعيني" من بروميثوس طليقاً[4]. ولكن السياب لم يقل أحداً، وكما لم يستطع أن يسير تحت راية الرومانسيين العرب، لم يســتطع أن يحمل راية الرومانسيين الإنجليز. فالسياب لم يكن يحلم فقط، ولم يكن قانعــا بالخدر... إنما كان يحلم بالثورة... العاصفة الهوجاء التي تمنحه الحرية والحب.

---

[1] ازهار واساطير ص ٨٢ – ط أولى.

[2] ازهار واساطير ص ٤٢.

[3] ازهار واساطير ص ٣٨.

[4] ملحق الأهرام الأسبوعي ١٩٦٥/٣/٥.

بدر الواقعي

أصبح بدر في أوائل الأربعينيات عضواً في الحزب الشيوعي. متى أصبح شيوعياً؟ ليس معروفاً حتى الآن بالضبط. انه يؤكد أنه أصبح شيوعياً، هو وعمه الأصغر عبد المجيد عن طريق شخص إيراني، ولكنه لا يذكر متى. وهو يؤكد أنه خلال الحرب العالمية الثانية كان يقوم بالدعاية للشيوعية والنازية[١]. وقد اتصلت بالأستاذ محمد علي الزرقا أحد زملائه في الجامعة، فذكر لي أن بدراً كان عضواً مؤازراً للحزب، من السنة الأولى لدخوله الجامعة، وأنه ظل كذلك حتى ترك الأستاذ الزرقا بغداد سنة ١٩٤٥. ويذكر الأستاذ الزرقا أيضاً أن بدراً كان من جماعة القاعدة، أي حزب فهد، وأنه كان حتى آنذاك يخلط بين الوعي والرفض. وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه بدر نفسه.

ومما يرويه الأستاذ محمد علي الزرقا أن بدراً نظم سنة ١٩٤٤ قصيدة طويلة نشرت في مجلة "واسط"، قارن فيها بين ثورة دجلة الذي فاض وثورة الجماهير.

ويؤكد ما يذكره الأستاذ الزرقا أن بدراً انتسب للحزب سنة ١٩٤٥[٢] ولقد بقي بدر في الحزب الشيوعي مدة ثماني سنوات.

---

[1] الحرية، العراقية العدد ١٤٤١.

[2] عباس، إحسان: بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، صفحة ٨٩. دار الثقافة بيروت.

ولقد كلفت بدراً هذه التجربة كثيراً، إذ انه اضطهد وشرّد، ولكنها أفادته كثيراً، إذ حوّلت إحساسه الفردي بالفاجعة إلى إحساس بفاجعة الجماعة مؤقتاً. كان الموت، فيما مضى، موت أمه فقط، أما الآن فقد أصبح الموت عامة موت الآخرين. وكان في الماضي يبحث عن خلاصه وحده، أما الآن فقد أصبح يبحث عن خلاصه بخلاص الآخرين. أدرك في هذه المرحلة بأن فاجعته ليست فاجعته الخاصة بل فاجعة شعبه. ونستطيع أن نتبين موقفه هذا من خلال قصائده: ١- فجر السلام، ٢- حفار القبور، ٣- الأسلحة والأطفال، ٤- المومس العمياء.

ونلمس في كل قصيدة، من هذه القصائد على اختلافها أن مصير الإنسان ليس مصيراً فردياً منعزلاً، إنه جزء من المجتمع والتاريخ. وأن في المجتمع قوى ظلم واضطهاد ودمار، ولكن فيه أيضاً قوى خير ومحبة. في "المومس العمياء" تتحرك الأمور ضمن إطارها الموضوعي. الفرد هنا يعيش ضمن هذا الإطار، وفاجعته ليست خارجة عنه، إنما هي جزء منه. ما من شيء هنا يحدث اعتباطاً وصدفة. الموت ليس قدراً بلا علة، كموت الأم إنه هنا نتيجة ظرف اجتماعي معين. والدعارة ليست نزوة إنها ظاهرة اجتماعية. وقد استطاع السياب ان يحشد في قصيدته هذه مجموعة من المتناقضات التي تحفل بها الحياة العربية والتي تمثل الفساد والضعف والانحلال. ويقدم السياب حفار القبور مثلاً لذاك الإنسان الأناني، الذي يتمنى أن يموت الآخرون لكي يحصل على ما يوفر له المتعة: وحفار القبور هذا رمز لكل "طفيلي" لا يفكر إلا بنفسه. وبدر عندما يقدم حفار القبور، لا يقدمه على انه "حالة فردية" بل على انه حالة اجتماعية ففي المجتمع المفكك المنحل، تولد طبقة تعيش من موت الآخرين: وشأن هذه الطبقة

شأن حفار القبور الذي يتمنى أن يموت الآخرون لينعم بملذات الدنيا. أما الأسلحة والأطفال وفجر السلام، فإنهما تؤكدان الانتصار على تجار الموت وغيلان الدمار.

تجاوز بدر في هذه المرحلة شلي وكيتس إلى ستيفن سبندر وروبرت بروك ووليم هنري دافيس وادغار الن بو ما بين ١٩٤٨ - ١٩٥٠، ثم تجاوز هؤلاء إلى ت.س. اليوت وأديث ستويل. وكان في الوقت ذاته يكافح مع الحزب الشيوعي العراقي ضد الطغيان والمؤامرات الاستعمارية، وينهل من الثقافة الشيوعية.

تضم هذه المرحلة قصائد متباينة، لا يمكن أن تخضع لمقياس نقدي واحد، سواء من حيث تركيبها أو مضمونها. ويكفي أن نذكر في هذا المجال "فجر السلام" و "حفار القبور" و "المومس العمياء" و "الأسلحة والأطفال" و "أنشودة المطر". فمن حيث البناء الفني تقف القصائد الأربع في جهة، وأنشودة المطر في جهة أخرى. "أنشودة المطر" نموذج من نماذج شعرنا "الحر"، بينما "المومس العمياء" مثلاً يمكن إرجاعها إلى نهاية المرحلة السابقة من حيث تركيبها... إنها بسيطة جداً تعتمد على تنويع بسيط في استعمال التفاعيل، ولكنها في الغالب تتكون من أبيات متساوية تتواتر قوافيها أو تتوالى، وتعتمد أسلوب التعبير المباشر، وإن كانت في مجموعها تقوم على "رمز" ولا تختلف عنها "حفار القبور" أو "الأسلحة والأطفال" في شيء. وإن كانت "الأسلحة والأطفال" أكثر تعبيراً عن الواقعية الاشتراكية في مضمونها. أما "فجر السلام"

فهي أقرب ما تكون إلى الشكل التقليدي، وتذكرنا بالمواكب لجبران خليل جبران، لأنه يستخدم التنويع عينه[1].

في هذه المرحلة أصبحت الأسطورة جزءاً من قصيدة بدر. ولعل "المومس العمياء" أكثر قصائده تخمة بالأساطير التي تبدأ بياجوج وماجوج وتنتهي بميدوزا. إنك وأنت تقرأ بعض قصائده تشعر أنه صرف أياماً وليالي وهو يجمع الأساطير من كل كتاب، حتى يقدمها لك في قصيدة، ترابط الهوامش حولها من كل جانب.

وقد أعاد السياب للقصيدة العربية ارتباطها بقضية الجماهير عن طريق كثير من تفاصيل الحياة اليومية، التي تتحول إلى رموز ذات أبعاد ودلالات. "فالمومس العمياء" و "حفار القبور"، والبائع المتجول الذي يشتري الحديد العتيق، تحول من بعض جزئيات في الحياة اليومية إلى رموز لقوة الحياة وحرمانها، وأنانية الفرد الذي يتمنى أن يموت الآخرون ليعيش، إلخ...

ولكن بدراً لم يكن واقعياً بالمعنى الحرفي للكلمة، ولا واقعياً اشتراكياً بالمعنى الضيق، إن شعره في هذه المرحلة ليس كله تصويراً خارجياً لبعض مظاهر الحياة، وليس كله هتافات وشعارات، ولكنه شعر يلتزم بقضية كبرى، ويعبر عن أهداف سياسية. إن أنشودة المطر هي خير مثال على ما أقول:

"أكاد أسمع العراق يذخر بالرعود

ويخزن البروق في السهول والجبال

حتى إذا ما فض عنها ختمها الرجال

لم تترك الرياح من ثمود

---

[1] استخدم جبران البسيط ومجزوء الرمل، واستخدم بدر البسيط وبحورا ومجزوآت بحور أخرى.

في الواد من أثر

أكاد أسمع النخيل يشرب المطر

وأسمع القرى تئن والمهاجرين

يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع

عواصف الخليج والرعود منشدين

مطر...

مطر...

مطر...

وفي العراق جوع

وينثر الغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغربان والجراد

رحى تدور في الحقول حولها بشر.

مطر...

مطر...

مطر...

وكم ذرفنا ليلة الرحيل من دموع

ثم اعتللنا – خوف أن نلام – بالمطر

مطر...

مطر...

ومنذ أن كنا صغاراً، كانت السماء

تغيم في الشتاء

ويهطل المطر

وكل عام – حين يعشب الثرى – نجوع

ما مر عام ليس في العراق جوع

مطر...

مطر...[1]

إنه يحس هنا بحركة التاريخ التي سيفض عنها ختمها الرجال يوماً، فلا يبقى من ثمود في الوادي من أثر. وإن كانت قصيدتاه "فجر السلام" و "الأسلحة والأطفال" أقرب إلى الالتزام الشيوعي التقليدي، وهذا ما يعترف به.

---

[1] أنشودة المطر صفحة ١٦٠.

بدر التموزي

كما تجاوز بدر الرومانسية، تجاوز الواقعية الاشتراكية. وكان تجاوزه لهـــا ناتجاً عن أنه كان أعجز من أن يلتزم بخط سياسي مباشر. وهو في تكوينـــه لم يكن واقعياً اشتراكياً، لقد كان مثالياً... يقوم المثال عنده فوق الواقع ونقيضـــاً له. وحين أصبح شيوعياً كانت الشيوعية بالنسبة له شكلاً من هذه الثنائية.. إنها المثال وهي نقيض الواقع. غير أن الشيوعية قابلة للتحقق، ومثال بدر غير قابل للتحقق.. انه وجه أمه التي "تنام نومة اللحود". وكان بدر ريفياً يحمل تـــراث الريف العربي ورواسبه، عاطفياً يتأثر سلباً أو إيجاباً بأبسط المثيرات. ولقد كانت قصيدته "المومس العمياء" الشعرة التي قصمت ظهر البعير. ففي هذه القصـــيدة كان بدر "قومياً عربياً" بالمعنى السلفي فهو يقول:

ما زلت أعرف كل ذاك، فجربوني يا سكارى

من ضاجع العربية السمراء لا يلقى خسارا

كالقمح لونك يا ابنة العرب

كالفجر بين عرائش العنب

أو كالفرات على ملامحه

دعة الثرى وضراوة الذهب

لا تتركوني ... فالضحى نسبي:

من فاتح ومجاهد ونبي
عربية أنا: أمتي دمها
خير الدماء كما يقول أبي

ونجد بجانب كلمة "العرب" إشارة، ونعود للهامش فنجد التعليق التالي: "ضاع مفهوم القومية عندنا بين الشعوبيين والشوفينيين. يجب أن تكون القومية الشعبية والشعبية قومية. يجب جعل أحفاد محمد وعمر وعلي وأبي ذر والخوارج والشيعة الأوائل والمعتزلة يعيشون عيشة تليق بهم كبشر، وكورثة لأمجاد الأمة العربية. أفليس عاراً علينا نحن العرب أن تكون بناتنا بغايا يضاجعهن الناس من كل جنس ولون؟؟"[1]. ولقد أدى نشر هذه القصيدة إلى انفصاله عن الشيوعيين، واستقلاله سياسياً؛ ولقد كانت القصيدة القشة التي قصمت ظهر البعير.

قادَهُ انفصاله عن الشيوعيين إلى الاتجاه القومي سياسياً، فأنتج قصائد قومية عديدة، بعضها عادي مثل بور سعيد، وبعضها الآخر يتدفق حيوية وقوة مثل في "المغرب العربي". كما قاده انفصاله عن الشيوعيين إلى العودة للمطلق. بات المطلق – بمعناه الفلسفي المجرد – محط نزوع بدر، فانتقل من العادي واليومي، إلى الأسطوري والرمزي، كان الموت في المرحلة السابقة – حادثة، وكان الجوع ظاهرة، وكان النضال رجولة، أما في هذه المرحلة فقد تحول الموت إلى أسطورة... أصبح فداء أسطورياً، يمثله تموز أو المسيح. إن تحول الموت إلى أسطورة، ليس تصوراً شعرياً فقط، إنه ذو مضمون أيديولوجي أيضاً.. فالسياب عندما كان يناضل كان يرى الخلاص في النضال. في الدم الحقيقي الذي يسيل. ولهذا كانت "كل قطرة تراق من دم العبيد"، "ابتسام في انتظار مبسم جديد".

---

[1] المومس العمياء – مطبعة دار المعرفة بغداد – صفحة ٣١.

أما الآن فالدم ليس دم العبيد، إنه دم المسيح. الموت الفردي أصبح معجزة. كان هذا ناتجاً عن أنه لا يشترك في حركة التاريخ، وإنه يشعر بالعجز عن الاشتراك فيها. إنه واقف يشاهدها، ويود لو استطاع أن يساهم فيها:

فيدلهم في دمي حنين
إلى رصاصة يشق ثلجها الزؤام
أعماق صدري، كالجحيم يشعل العظام
أود لو عدوت أعضد المكافحين
أشد قبضتّي ثم أصفع القدر
أود لو غرقت في دمي إلى القرار
لأحمل العبء مع البشر
وأبعث الحياة أن موتي انتصار[1].

هكذا يحل التمني محل النضال، ويصبح بديلاً له. وقد اتضح هذا منذ بدء هذه المرحلة حين أصبح الرجوع إلى الماضي معزياً عن نضوب الحاضر، أو مغذياً لما فيه من أمل كما حصل في قصيدة "في المغرب العربي". إلا أنه ازداد وضوحاً منذ نهاية سنة ١٩٥٦ ولعل قصيدة "جيكور والمدينة" خير تعبير عن الفرار وإعلان العجز الكامل:

وجيكور خضراء،
مس الأصيل
ذرى النخل فيها بشمس حزينة
ودربي إليها كومض البروق

---

[1] أنشودة المطر – ط أولى صفحة ١٤١.

بدا واختفى ثم عاد الضياء فأذكاه حتى أثار المدينــة
وعرّى يدي من وراء الضماد كأن الجراحات فيهــا
حــروق
وجيكور من دونها قام سور وبوابة واحتوتها ســكينه
فمن يخرق السور؟ من يفتح الباب ؟ يدمــى علــى
كل قفل يمينه؟
ويمناي لا مخلب للصراع فأسعى بها في دروب المدينة
ولا قبضة لابتعاث الحياة مــن الطــين... لكنــها
محض طينه
وجيكور من دونها قام ســور وبوابــة.. واحتوتهــا
سكــينه

وكانت جيكور هي حلم هذه المرحلة، ولكن بعث جيكور هو مطلق بدر غير القابل للتحقيق، وهو يتعلق به على الرغم من أنه يعرف بأنه حلــم لــن يتحقق. وكان هذا الحلم... بعث جيكور يصبح رمزاً لبعث الأمــة وتحريــر الوطن. فجيكور في اندثارها رمز للموات، وجيكور في اخضرارها رمز للحياة. وكان بدر يعلن أحياناً عن خيبته بحلمه:

يــا شمــس أيــامي أمــا مــن رجــوع؟
....
جيــكور نــامي فــي ظــلام السنيــن[1]

[1] المرجع السابق – العودة لجيكور صفحة ١٠٨.

خلال هذه المرحلة التقى بدر مع مجلة شعر فأصبح شاعراً من شعرائها، حتى أنه غاب عن صفحات الآداب خلال عام ١٩٥٧ كلها. وكان هذا يقوده إلى مزيد من "التغرب".

هذا الاتجاه الجديد بما فيه من غربة ووحشة وحلم ويأس سماه بدر "الواقعية الجديدة". والواقعية الجديدة هذه في نظر بدر هي الواقعية الحديثة التي تحدث عنها الناقد الشاعر الإنكليزي الكبير ستيفن سبندر في محاضرته القيمة عن "الواقعية الجديدة والفن" وتتلخص واقعية سبندر الحديثة في ان "الفنان الحديث أصبح انطباعياً وسريالياً وتكعيبياً ورمزياً في محاولته الهادفة إلى إيجاد انسجام بين ذاته وذات المجتمع. ولكنه أبى لنفسه أن يكون من زمرة الطبيعيين الذين ينقلون الواقع نقلاً فوتوغرافياً و لم يلبث الفنان الحديث حتى اهتدى إلى مخرج – كما يقول سبندر – وقد وجد هذا المخرج في الواقعية الحديثة. وهي في رأيه تحليل الفنان للمجتمع الذي يعيش فيه تحليلاً عميقاً فيه أكبر عدد مستطاع من الحقائق التي يدركها بنفاذ بصره، ولا تهم بعد ذلك وجهة النظر التي ينظر منها ما دام تحليله كذلك.

وحين يطبق بدز الواقعية الحديثة على انتاجنا الأدبي يقول: "أما إنتاجنا الواقعي أو الملتزم فهو في كثير من الأحيان خلو من الفن أو بعيد عن المعنى الصحيح للواقعية والالتزام. والمنظومات السياسية والقصص التي كانت جديرة بأن تكون مقالاً افتتاحياً في جريدة تملأ مجلاتنا ومكتباتنا وإذاعاتنا. ويرى أن إنتاج نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله وعبد الملك نوري إنتاج واقعي بلغ حد الروعة[1].

---

[1] مجلة الآداب – "وسائل تعريف العرب بنتاجهم الأدبي الحديث" اكتوبر ١٩٥٦ – صفحة ٢٢.

لقد أصبح مقياس سبندر الذاتي مقياساً لبدر. فالشاعر هو محور العالم، ونفاذ بصره هو بديل الإيديولوجية العلمية، ومهمته أن يحلل المجتمع "تحليلاً عميقاً" مهما كانت أداته. ان سبندر "مثالي" ولقد انزلق بدر إلى هوته، كانت النتيجة قصائده الموحشة التي نشر أكثرها في "مجلة شعر". ولقد كان تعاونه مع "مجلة شعر" انطلاقاً من هذا المبدأ.

ومع ذلك فقد أنتج بدر في هذه المرحلة قصائده: مدينة بلا مطر، جيكور والمدينة، النهر والموت، رسالة من مقبرة، في المغرب العربي، المسيح بعد الصلب والمبغى إلخ...

وصدف – خلال هذه المرحلة – أن حدث الصدام الدموي بين الشيوعيين و "القوميين العرب" في العراق، فأدخل بدر قلمه حلبة الصراع، ووقف ضد الشيوعيين. وكانت من نتيجة ذلك بعض القصائد نذكر منها المبغى[١] و"رؤيا في عام ١٩٥٦[٢]" و "العودة لجيكور[٣]" هذا بالإضافة إلى مقالاته السياسية التي نشرت في الحرية البغدادية وغيرها. ولم يكن موقفه من الشيوعية موقفاً سياسياً فحسب، بل كان موقفاً فكرياً. فبدر لا يحارب دعوة سياسية، إنه يحارب إيديولوجية. صحيح أن بدراً كان قومياً عربياً، وكان مع الوحدة ولكن هذا العامل كان العامل الثانوي في صراعه مع الشيوعيين. العامل الأول والأساسي هو "مثاليته" فبدر الذي كان شيوعياً حقيقياً. كان "مثالياً" يرفع شعارات الحزب الشيوعي العراقي، لا رغبة في التضليل وإنما لأن الشيوعية في مرحلة

[1] أنشودة المطر – ص ١٣٥ ط أولى. وقد كتب تحتها في الهامش: "كتبت في العهد المباد" ولكن هذا ليس صحيحا. فقد كتبت في عهد عبد الكريم قاسم.

[2] المصدر السابق – ١١٦.

[3] المصدر السابق – ١٠٨.

كانت "مطلقة". ولقد دخل هذا الصراع ضعيفاً مهزوزاً، فكانت النتيجة ان مات بتأثير منه كما أثبتت تقارير الأطباء النفسيين.

وهذه المرحلة هي عهد بدر الذهبي. لقد بلغ ذروة مجده، وأثبت ريادته للشعر الحر بجدارة، بعد أن تراجعت نازك.

ولقد أثبت في هذه المرحلة تمثله لتجربة إليوت تمثلاً حياً ويبدو ذلك واضحاً في عدد من قصائده.

ومع أن في شعر هذه المرحلة غثاثة أحياناً، فغثها قليل بالنسبة للمراحل السابقة، والمرحلة الأخيرة اللاحقة.

المرحلة الأخيرة من حياة بدر فقيرة ومحزنة. لقد واجه بدر قدره، وأصبح يدافع عن "مجرد بقائه". الموت لم يعد رجولة ولا حباً ولا فداء.. بل أصبح عبثاً.. ولكنه عبث لا يرد ولا يعالج، ولا يقتنع من الغنيمة بالأياب.

خيّم شبح الموت على بدر، فأخذ ينظر إلى كل شيء من خلاله. ان قارئ شعره في هذه المرحلة (المعبد الغريق ومنزل الأقنان، وشناشيل ابنة الجلبي واقبال) يلمس كيف أصبحت الحياة في نظره موتاً فقط. لقد تضاءل كل شيء في عينيه، إلا شبح الموت الذي أخذ يكبر ويكبر. الموت الذي خطف وفيقة واخترق بودلير، وجعل جيكور خرائب. الموت الحقيقة الوحيدة في الوجود.

وكان – والألم ينهش جسمه – يحس بدبيب الموت في أوصاله، فيطلق من أعماقه احتجاجاً مخنوقاً ولكنه عنيف:

"أهكذا السنون تذهب

أهكذا الحياة تنضب

أحس أنني أذوب.. أتعب

أموت كالشجر"[1].

ولكنه كان يصرخ أحياناً:

---

[1] المعبد الغريق – دار جدي – ١٤٣.

"منطرحاً أصيح ... أنهش الحجار

أريد أن أموت يا اله"

أو "رصاصة الرحمة يا إلهي"

إن بدراً يعانق موته ... ويصارع موته ... الموت موته الخاص، لا شريك له فيه ولا نصير. ومن يستطيع أن يناصره؟ من يستطيع أن يحرره من قدره؟ لا أحد... ليواجه إذن موته الخاص العابث الذي لا يحمل أي مضمون اجتماعي. انه يلقاه متذمراً، ولكنه يود معانقته لأن فيه الخلاص. انه يكرهه لأنه خطف أمه، ولكنه يريده لأنه يحرره من الشعور بالفقدان، وهو يكرهه لأنه يهدده في مجرد بقائه، ولكن أي معنى ظل لبقائه بعد أن انهارت عوالمه واحداً بعد الآخر.

مرحلته الأخيرة حرمته من كل شيء حتى القدرة على المشي، فأصبح الشعر رفيقه الوحيد. كان يتحدث مع الزوار ويصارع الجن أو يكتب شعراً. شعر هذه المرحلة لا جديد فيه. إنه شعر ذاتي وانفعالي وغث في أحيان كثيرة، نستثني من ذلك بعض القصائد، ومنها "سفر أيوب[1]". لقد أقعد المرض بدراً عن المشي، وأقعده عن المضي في متابعة تجربته الشعرية. انه توقف قبل أن يستنفد.

---

[1] منزل الأقنان ص ٢٤٨.

شعر بدر

أعطى بدر خلال حياته القصيرة عطاء جزيلا، يفوق من حيث الكم والكيف ما أعطاه أي من معاصريه خلال الفترة ذاتها. فلبدر:

١- أزهار ذابلة صدر سنة ١٩٤٧.

٢- أساطير صدر سنة ١٩٥٠.

٣- المومس العمياء صدر سنة ١٩٥٤.

٤- الأسلحة والأطفال صدر سنة ١٩٥٥.

٥- حفار القبور.

٦- أنشودة المطر صدر سنة ١٩٦٠ عن دار مجلة شعر.

٧- المعبد الغريق صدر سنة ١٩٦٢ عن دار العلم للملايين.

٨- منزل الأقنان صدر سنة ١٩٦٣ عن دار العلم للملايين.

٩- شناشيل ابنة الجلبي صدر سنة ١٩٦٤ عن دار الطليعة.

١٠- إقبال صدر سنة ١٩٦٥ عن دار الطليعة وقد جمعت الآن في هذا الديوان بالإضافة إلى قصائد لم تنشر بعد، وسوف تصدر في جزء آخر.

ولبدر أيضاً شعر كثير غير منشور، يعود قسم منه إلى سنوات ٤٢، ٤٣، ٥٤، ولديّ شيء منه. وهنالك قصيدته الطويلة "بين الروح والجسد" التي

أرسلها للشاعر علي محمود طه، ولكنه مات قبل أن يكتب لها مقدمة. وتناهز هذه القصيدة الألف بيت. ثم هنالك مجموعة من قصائده مع السيد محمد علي إسماعيل، لم نستطع الحصول عليها حتى الآن. وله قصائد نشرت في جرائد عراقية قبل سنة ١٩٥٣، ولكنها لم تنشر بعد.

والآن ما هي أبعاد تجربة بدر الشعرية؟

إن تجربة بدر الشعرية فذة ومعقدة. وهي تجمع ثنائيات متناقضة. ويمكن أن نحدد أبعاد هذه التجربة بما يلي:

أولا: معاناة بدر ذهنية، وتقوم المعاناة فيها بناء على تصور الأمور تصوراً ذهنياً. ففي العالم طرفان، المطلق والواقع، الحب والموت، الحادثة والأسطورة، والحياة صراع بين قطبين دائماً. هذا ما يبدو في شعره، وما عبر عنه في إحدى مقالاته. قال "وقد كانت وظيفة الأدب، أو بالحري وظيفة الرائع منه تصوير هذا الصراع القائم بين الشر وبين الإنسان، وما زالت وظيفته حتى يومنا هذا"[1]. ويبدو هذا أيضا من الشعراء الذين أعجب بهم، وعكف على انتاجهم يتمثله ويتمثله. ومن هؤلاء المتنبي والجاحظ وأبو العلاء المعري[2] الذين يسميهم العمالقة الثلاثة، و ت. س. إليوت واديث ستويل. ولكن انفعالية بدر، وعدم توفر موقف علمي لديه، كان يجعل هذه الثنائية مهزوزة، فلم تنعكس في موقف ديالكتيكي من التاريخ والكون، ولم تعبر عن نفسها بموقف "أخلاقي". وكان من نتيجة هذا أن تحولت هذه "الثنائية" إلى امتدادات نحو الخارج، وانكماشات نحو الذات، ولكنها لم تجد غناها في الخارج كما لم تجده في الذات.

---

[1] مجلة الآداب – أكتوبر ١٩٥٦ – ص ٢٢.

[2] المرجع السابق.

معاناة بدر هذه قادته إلى قضايا كبيرة كالحرب والسلم، الكفاح ضد الاستغلال والاستعمار، والانحلال الاجتماعي إلخ وقصائده من بداية المرحلة الثانية حتى منتصف الثالثة تعبير عن مثل هذه القضايا. وقد تحول في المرحلة الثالثة إلى قضايا كبرى أخرى كالحب والموت، الحب والفداء، الحياة والموت إلخ وقصائده من منتصف المرحلة الثالثة حتى موته تدور حول مثل هذه القضايا.

ولقد كانت موهبة بدر قادرة على تحويل مثل هذه القضايا الكبيرة إلى شعر خالد، إلا أن انفعالية بدر وعدم انطلاقه من موقف "عقائدي" ثابت مهما كان، جعل معاناته الذهنية محدودة وضحلة أحياناً... فكرياً وشعرياً، لم يكن بدر يقل عن اليوت في موهبته، ولكنه كان يقل عنه في "عمقه".

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أسباب هذا "الاهتزاز" الذي أشرنا إليه. وهو يعود في رأيي إلى عاملين أساسيين:

الأول: نمو نفسي غير متوازن، وضعف جسمي.

الثاني: التعرض لصراعات الثقافات المتحاربة دون وجود خلفية مناسبة، ودون وجود قدرة على الوقوف في العاصفة.

فلم يكن غريباً والحالة هذه أن ينتقل بدر من جهة إلى أخرى وأن يعاني رحلة الذات والموضوع، ولكن معاناة رد الفعل.

قال انسي الحاج عن بدر أنه: "جاهلي بدوي فولكلوري خرافي انكلوسكسوني على واقعي هجاء ورثاء مداح بكاء، يسيل به الشعر سيل قريحة فارطة، ويسيل معه الشعر حتى الموت"[1] وهذا في رأيي أروع تصوير كاريكاتوري لبدر.

---

[1] ملحق النهار – العدد ٨٩٥٠ – الأحد ٧ شباط ١٩٦٥.

ثانيا: تعدد الثقافات، نهل بدر من ثقافات مختلفة، فقرأ الأدب العربي والأدب الروسي وأدب اللغة الإنكليزية. ولقد توفر على دراسة الأول والأخير منهما، وتمثل آراء أكبر الشعراء العرب والإنكليز والأميركيين. ولقد درس القرآن كما درس الإنجيل والتوراة، وقرأ شيئاً من التراث الفكري الغربي، وكان كل هذا يبدو في شعره، بأشكال مختلفة، وبمقادير متفاوتة.

ثالثا: تعدد الأوضاع الاجتماعية. نشأ بدر في بيئة ريفية فلاحية فتربى على قيمها وتقاليدها، وقد انتقل إلى المدينة طالباً فقيراً وهو في السابعة عشرة من عمره. عاش من هذا التاريخ في المدينة. كان في المرحلة الأولى طالباً شيوعياً، ثم أصبح موظفاً شيوعياً. طورد فهرب من العراق ثم عاد إلى العراق موظفاً. أصبح بورجوازياً صغيراً. اختلف مع الشيوعيين – كما ذكرنا – فصف مع القوميين العرب وظل مضطهداً حتى سنة ١٩٥٨، ولكنه تعرض لاضطهاد أشد بعد ثورة الرابع عشر من تموز، وفصل من عمله مدة. كان مرتبطاً بالريف وقيمه وتقاليده، وكان معجباً بالتراث العربي الكلاسيكي، ومعجباً بالأدب الإنكليزي في الوقت ذاته.

لهذا كله جمع شعر بدر بعض ما في الشعر الحديث وبعض ما في الشعر التقليدي، وظهرت فيه الروح الشعبية الريفية، كما ظهرت فيه روح مثقف مشبع بالمثل الليبرالية من مثقفي البلدان المختلفة. ونتيجة لكل ذلك تفرد شعر بدر بملامح وميزات نوجزها فيما يلي:

١– بروز روح الشعر العربي التقليدي. وقد تجلى هذا في الاهتمام بجزالة اللفظ، وحسن السبك، وبالعروض اهتماماً خاصاً. إن بدر تفوّق على زملائه من الشعراء المحدثين بهذا كله. لقد كانت عربيته – عموماً – أسلم وأقوى،

وعروضه – لاسيما الحديث منه – أصح وأغنى. وبينما كان الشعر الحـــديث يميل إلى الهمس – في الأغلب – كان شعر بدر يميل إلى الجرس الحاد. ليس هذا فحسب، بل ظل يستعمل التعبير المباشر، ويلجأ للتشبيه العادي كثيراً. الكاف تدخل بين كلمتين أو صورتين حتى لو كان الاستغناء عنها ممكناً. وبالإضافة إلى ذلك فقد ظل حتى أواخر أيامه ينظم قصائد عمودية، وكانت بعض قصـــائده تزخر بالإسهاب أحياناً، بينما كانت قصائد أخرى لا تتمتع بوحدة القصـــيدة الحديثة ويعود هذا إلى أن بدراً كان منفعلاً أكثر مما كان متأملاً، وإلى أنه كان ينساح بدلاً من أن يضرب في الأعماق.

٢- استعمال الأسطورة والرمز. لم يستعمل شاعر عربي الأسطورة والرمز كما استعملهما بدر. ولقد أكثر منهما حتى أصبح من النادر أن تخلو قصيدة من قصائده من رمز أو أسطورة، وكانت الأسطورة أحياناً تصبح جزءاً من القصيدة كما حدث في قصيدة "مدينة بلا مطر" بينما تظل في أحيان أخرى مجرد كلمة من كلماتها، غريبة ومعزولة لا يبررها إلا الهامش الذي يوضع لتفســيرها. في الحالة الأولى كانت الأسطورة تزيد القصيدة غنى، أما في الحالة الثانية فكانـــت تفقد القصيدة "شعريتها" أو بعض شعريتها كما حدث في "المومس العميـــاء"[1] مثلاً أو "سربروس في بابل"[2].

إن وظيفة الأسطورة في شعر بدر غير واضحة تماماً. ولقد حاول هـــو أن يفسر لجوءه للأسطورة فما وجد مبرراً مقنعاً. قال بدر: "هناك مظهر مهم من مظاهر الشعر الحديث: هو اللجوء إلى الخرافة والأسطورة، إلى الرموز. ولم تكن

---

[1] أنشودة المطر، ص ٥٠٩.
[2] أنشودة المطر، ص ٤٨٢.

الحاجة إلى الرمز، إلى الأسطورة أمسّ مما هي اليوم. فنحن نعيش في عالم لا شعر فيه، أعني أن القيم التي تسوده قيم لا شعرية، والكلمة العليا فيه للمادة لا للروح. وراحت الأشياء التي كان في وسع الشاعر أن يقولها، أن يحوّلها إلى جزء من نفسه، تتحطم واحداً فواحداً، أو تنسحب إلى هامش الحياة. إذن فالتعبير المباشر، عن اللاشعور لن يكون شعراً فماذا يفعل الشاعر إذن؟. عاد إلى الأساطير، إلى الخرافات التي ما تزال تحتفظ بحرارتها لأنها ليست جزءاً من هذا العالم. عاد إليها ليستعملها رموزاً، وليبني منها عوالم يتحدى بها منطق الذهب والحديد. كما أنه راح من جهة أخرى، يخلق أساطير جديدة، وإن كانت محاولته في خلق هذا النوع من الأساطير قليلة حتى الآن[1].

عالم الأسطورة أغنى من الواقع: هذا ما يذهب إليه بدر، بعد أن لاذ بالفرار يائساً مهزوماً. الأسطورة إذن هي نقيض الواقع، هي الحب والحياة والحرية والغنى. أما الواقع فهو الكره والموت والاضطهاد والموت.

والحقيقة أن عدم تحديده لوظيفتها بوعي من جهة واعتبارها نقيضاً للواقع من جهة ثانية، جعله غير قادر على الاستفادة منها دائماً. ان الأسطورة التي تغني الشعر هي الأسطورة التي تندمج بالتجربة الشعرية، لا التي تكون واجهة قصيدة. والأسطورة لكي تغني الشعر يجب أن تكون قادرة على استثارة المتلقي، بينما حشد السياب من أساطير الهند والصين واليونان وأوروبا ما لا يثير في القارئ العربي أي إحساس.

وإذا كان إليوت يستخدم مثل هذه الأساطير فهو يستخدمها لقارئ هي جزء من حضارته وتاريخه، وتثير فيه أحلاماً بالبطولة والبراءة، في عالم "الذهب

---

[1] مجلة شعر: العدد الثالث – السنة الأولى، أخبار وقضايا – ص ١١١ – ١١٣.

والحديد" الذي ذكره بدر. ان هذا العالم ليس عالمنا، وإن هذه الأساطير ليست أساطيرنا. وما زال في واقعنا غنى يغنينا عن غنى الأسطورة.. فنحن الآن نخلق عالماً، سيكون أساطير ورموزاً في المستقبل. ولكن بدراً الذي قال مرة: "إن إلهنا فينا" أضاع "إلهه" هذا فبحث عنه في اللات والعزى وزيوس وعشتار.

٣- الموسيقى الحادة والاستفادة من الأوزان. موسيقى شعر بدر حادة.. حتى عندما تكون هامسة أو رثائية، وتعود حدتها إلى أن بدراً كان حريصاً على الموسيقى الخارجية. إنها بعض مظاهر الشعر التقليدي من جهة، وتعويض عن الخواء الداخلي والخارجي الذي يحسه بدر من جهة ثانية. الموسيقى هنا "مارش" عسكري أو لحن جنائزي، كان بدر يسير في خط مخالف للاتجاه العام للشعر الحديث الأكثر نضجاً وتقدماً، ولكنه في الواقع كان يقدم للشعر الحديث نموذجاً جيداً يزخر بالنغم الخارجي والنغم الداخلي أحياناً، فيزيد التجربة الشعرية غنى وحرارة.

ولقد استفاد بدر من بحور الشعر العربي، فاستعمل الرجز، حمار الشعراء القدامى والمحدثين فجعل منه حصاناً كما حدث في "أنشودة المطر"، واستخدم صيغة من صيغ السريع "الحديثة" فأحسن استخدامها كما حدث في "رسالة من مقبرة"، واستخدم تفعيلة المتدارك المهملة "فاعلن" فإذا نحن أمام قصيدة حية زاخرة كما حدث في "المسيح بعد الصلب" وبينما نجد أكثر الشعراء المحدثين يكثرون من استخدام الرجز حتى أصبح بحرهم المألوف، نوّع بدر في شعره، فاستفاد من الكامل والوافر والرمل والسريع والمتقارب والمتدارك.

وكان بدر يلجأ أحياناً إلى الانتقال من بحر إلى بحر، ليستفيد من تنوع النغم كما حدث في "المغرب العربي" وفي "جيكور والمدينة". وكان ينوّع أحياناً في

استعمال التفاعيل كما حدث في "المسيح بعد الصلب" إذ أنه أدخل في القصيدة مقطعاً من مشتقات التفعيلة الأساسية "فاعلن" التي التزمها في القصيدة كلها.

٤- الانسياح بدل التمركز. قصيدة بدر مثل "الدوائر المائية"... إنها تنساح وتنساح حتى تتلاشى. وهي تتسع بدل أن تتعمق، إنها بلا بـؤرة ثابتـة، لأن بؤرتها تصبح دائرة. وقد نتج هذا عن توفر شاعرية متدفقة من جهـة، وعـدم الانطلاق من مركز ثابت. قصيدة بدر كالعاصفة حتى مركزها يتحرك، ولكنها على الرغم من ذلك لا تتبعثر شظايا، ولا تقبل التفريق أبياتا، فهي وحدة فنيـة يشد بعضها بعضاً كالبنيان المرصوص. مع أن هذا لا يشمل القصائد الهزيلـة والمنظومة والتقليدية من شعره، فتلك مستثناة.

إلا أن هذا الانسياح ما كان يفقدها في كثير مـن الأحيـان "التركيـز" الشعري. الانسياح هنا لم يكن على حساب التركيـز، و لم يفقـد القصـيدة "كثافتها" بل أغنى رؤيتها الشعرية.

٥- العفوية. قصيدة بدر مكتوبة بوعي، ولكن الصناعة فيها لا تكشف عن نفسها بخلاف أكثر قصائد الشعر الحديث التي - مهما كانـت أصـالتها - تكشف عن الصناعة فيها بشكل أو آخر. إن صلاح عبد الصبور شاعر أصيل، ولكنك لا تقرأ قصيدة له إلا وتشعر بالفكر المصمم وراء كل بيت من أبياتهـا. هذا لا ينطبق على بدر، لأن قصيدته - على الرغم من أنها ثمرة نوع من المعاناة الذهنية - تطل من ورائها شخصية شاعر كبير ليس إلا.

وهذا لا يعني أن شعره "خام"، وأن قليلا من الصقل أو إعادة النظر كـان سيزيده قوة، فليست هذه هي المسألة المطروحة، إن ما هو مطروح هو أن كلمة

بدر انبثقت من نفس شاعر معطاء، كان يسعى أن يكون شاعراً فقط، و لم يكن يستطيع أن يكون ناقداً مفكراً وشاعراً في الوقت ذاته.

ومع هذا فقد كان بدر مدركاً لأسرار صناعته الشعرية، كما لم يـــدركها أكثر زملائه من المحدثين.

غير أن بعض القصائد كان أثر الصناعة فيها بادياً مثل قصيدته "مرثية الآلهة" و "من رؤيا فوكاي" و "مرثية جيكور"[1].

وكانت ثقة بدر بقدرته تدفعه إلى النظم، أحياناً كما حـــدث في "قافلـــة الضياع" أو "المخبر"[2] وقصائد غيرهما.

٦- الاسهاب بدل التركيز. يميل الشعر الحديث إلى التركيـــز. القصـــيدة الحديثة قصيدة مركزة تفيض بالإيحاءات والإيماءات، وتتفجر بالدلالات، ولكنها تقتصد كثيراً في الكلمات. قصيدة بدر ليست كذلك إنها "فيض". ولعل مـــن أهم أسباب ذلك عاملان: أولهما أن بدراً لم يكن يميل إلى القصيدة "المركزة"، وثانيهما أن شاعريته المفرطة كانت تعطي بغزارة. وكانت الغزارة عند بدر تقوم مقام التركيز، كما قام الانفعال مقام التأمل.

كتب بدر مرة يقول: ومهما يكن، فان كوني، أنا ونازك أو باكثير أول من كتب الشعر أو آخر من كتبه ليس بالأمر المهم. وإنما الأمر المهم هو أن يكتب الشاعر فيجيد فيما كتبه، ولن يشفع له – إن لم يجد – أنه كان أول من كتب على هذا الوزن، أو تلك القافية "..." ولنكن متواضعين ونعترف بأننا ما نزال جميعاً في دور التجربة، يحالفنا النجاح حيناً، ويصيبنا الفشل أحياناً كـــثيرة. ولا

---

[1] أنشودة المطر ٣٤٩، ٣٥٥، ٤٠٣.

[2] أنشودة المطر ص ٣٦٨، ٣٣٨.

بد للشاعر الذي قدر له، أن يكون شاعر هذا الجيل العربي، أن يولد ذات يوم مكبراً جهود الذين سبقوه، أو لعله ما زال يمسك القلم بيده حتى الآن[1].

لقد كان بدر يعرف أنها تجربة.

وكان يعرف أن هناك من الآتين من سوف يتجاوزونه، ولكنه حـــاول أن يعطي هذه التجربة كل ما يستطيع.

[1] مجلة الآداب – حزيران ١٩٥٤، مناقشات ص ٦٩.

البـــواكيـــر

١٩٤١ _ ١٩٤٥

هذه المجموعة

تضم هذه المجموعة قصائد كتبت في السنوات ١٩٤١، ١٩٤٢، ١٩٤٣، ١٩٤٤. وقصائد بلا تواريخ، يرجح أنها تعود إلى الفترة ذاتها.

ولقد بدأت قصة هذه القصائد عندما حاولت "دار الطليعة" إصدار مجموعة "إقبال" بعد وفاة بدر مباشرة. اتصلنا بعائلته وطلبنا أن يرسلوا لنا ما توافر من قصائده، وما تيسر من معلومات عنه. وكان أن أرسلوا لنا، فيما أرسلوا، دفترين من قصائده الأولى. نشرنا قسماً منها في مجموعة إقبال، و لم ينشر الباقي حتى الآن.

وعليه فإن هذه المجموعة تضم:

أ- قصائد الدفترين المذكورين، التي نشر بعض منها في مجموعة اقبال (وسنشير إلى مرجع كل قصيدة في الفهرست).

ب- قصائد نشرها الدكتور عيسى بلاطة في ملحق كتابه: "بدر شاكر السياب: حياته وشعره".

والحقيقة أن هذه المجموعة لا تضم كل قصائد بدر الأولى. فهناك قصائد لم نستطع الحصول عليها، وهناك شك بوجود قصائد لم نستطع الحصول عليها، وهناك شك بوجود قصائد لا نعرف عنها شيئاً الآن. ولكنا اكتفينا بهذه لأننا نعتقد بأنها تعطي صورة واضحة عن تجربة بدر الأولى في الشعر. فليس من

السهل جمع شعر بدر كله. إنه مفرّق وموزع، ويحتاج إلى جهود كبيرة من أجل جمعه وتحقيقه. ونأمل أن تكلف وزارة الإعلام في العــراق أو اتحــاد الأدبــاء العراقيين مَن يستطيع القيام بهذه المهمة.

هذه إذن بواكير شعر بدر. وهي تمثل شعره في السنوات الأربع الأولى من حياته الشعرية. ومن هنا تنبع أهميتها.

٧٢/١٠/١

قصـائد الديـــــوان

على الشاطئ (عيسى بلاطه: بدر شاكر السياب حياته وشعره)

شهداء الحرية	(المرجع السابق)
اذكريني	(المرجع السابق)
إليك شكاتي	(المرجع السابق)
رثاء جدتي	(إقبـــال)
يوم السفر	(إقبـــال)
ذكريات الريف	(إقبـــال)
همسك الهاني	(إقبـــال)
أغنية السلوان	(إقبـــال)
الذكرى	(غير منشورة)
تنهدات	(غير منشورة)
تحية القرية	(إقبـــال)
يا ليل	(غير منشورة)
خيالك	(إقبـــال)
على الرابية	(غير منشورة)
سراج	(غير منشورة)

أغنية الراعي	(إقبـــال)
المساء الأخير	(إقبـــال)
شاعر	(إقبـــال)
أغرودة	(غير منشورة)
المنديل الأصفر	(غير منشورة)
الوردة المنثورة	(إقبـــال)
السجين	(إقبـــال)
عودة الديوان	(إقبـــال)
مقطع بلا عنوان	(غير منشورة)
رثاء القطيع	(إقبـــال)
حورية النهر	(غير منشورة)
من أغاني الربيع	(غير منشورة)
شعاع الذكرى	(غير منشورة)
ضلال الحب	(إقبـــال)

على الرابية

وحيداً؛ هنـــاك... علـــى الرَّابيـــة جلستُ أبثُّ الـــدجى مـــا بيـــه

أعــــــددُ أيـــــامي الــــذاهبات فـــــأبكي لأيـــــامي الباقيـــــه!

وجـــددّتِ الحـــزن لي دمعـــةٌ محـــيرة بـــين أهدابيـــــه

عرفـــتُ لهـــا قصـــتي في الحيـــاة وتضـــليل روحـــي وآماليـــه

لهـــا بـــين عـــيني وبـــين الثـــرى مســـيلٌ علـــى وجنـــةٍ ذاويـــه

فلـــي مثلـــها ســـفرةٌ في غـــدٍ!!! ولي مثلـــــها قصـــــة داميـــــة

شـــكوتُ إلى الليـــل جـــور الحيـــاة فارتـــدّ يشـــكو أذاهـــا ليـــه

فقـــال: وإني أســـيرٌ وتلـــك النجـــوم المضـــيئات أغلاليـــه

فقلت: وروحـــي بـــذل الإســـار رمتـــها قـــوى الجســـد العاتيـــه

فمـــا خفقـــات فـــؤادي ســـوى رنـــين سلاســـلها القاســـيه

شكوت إلى الليـــل جـــور الغـــرام فأرســـــل آهاتــــه الباكيـــــه

فقـــال: وأني احـــبُّ النـــهار ويعشـــق أطـــرافي السّـــاجيه

كلانـــا يفـــتّش عـــن إلِفـــهِ... وكـــلٌ تفـــرَّق في ناحيـــه

فقلـــتُ وفي القلـــب مـــن حبّـــه نـــواظرُ تحلـــم بالراعيـــه!

قســـيمي بمـــا أشـــتكيه الـــدجى فهيهـــات أن أشـــتكي ثانيـــه

ومـــرّت علـــى وجـــنتيَّ الصَّـــبا مكفكفـــة أدمعـــي الجاريـــه!

١٩٤٤/٢/٢

سـراج

أشـــراع يطـــوي بحـــار الظـــلام؟ أمْ ســـراجٌ في غرفـــة المســـتهامِ

شـــاحب الضـــوء يرقـــب الشـــاعر الســـهران تبكيـــه نائبـــات الغـــرام

خافقٌ مثـــل قلبـــه حـــين يطغـــى راعشٌ مثـــل دمعـــه في انســـجام

أعليـــه لنجمـــة الصـــبح وَعْـــدٌ بلقـــاء فبـــاتَ نضـــوَ ســـقام؟

فهو نبـــعٌ تحـــت الظـــلام فريـــدٌ لو روى قلـــب ظـــامئ مـــن أوام

وهـــو أرجوحـــة الظـــلام وظـــلٌ حركتـــه أنامـــل الأنســـام

وجنـــاحٌ يبيـــت ينتظـــر الفجـــر خفـــوقٌ بغصـــنه المتســـامي

مرَّ طيـــفٌ مـــن الحبيبـــة يهفـــو؛ للقـــاء المعـــذب المستضـــامِ

فطـــواه اللظـــى وبـــات دخانـــاً يطرق الليـــل نفحـــةً مـــن قتـــام

فرويداً؛ كفـــى الســـراج اعتســـافاً إنـــه غـــال رائـــع الأحـــلام!

بأســـى الليـــل؛ بـــاحتراق الفراشـــات بـــدفع مـــن النفـــوس الظـــوامي

بسهاد الفـــتى، بمـــا بـــين جنبيـــه بمـــا للنجـــوم مـــن آلام...

رحمـــة أيهـــا الســـراج بمـــن أحصـــيت آهاتـــه وراء الظـــلام

لا تســـامره إنـــه شـــاعرٌ ضـــل بـــدنيا الخيـــال والأوهـــام

آذن الصـــبح أن يلـــوحَ فدعْـــه يُســـعِد الطـــرفَ لحظـــةً بمنـــام

ليلة ١٩٤٤/٢/٧

رثـــاء جدتـــي

أسلمتني أيـدي القضـا للشـجونِ إذ قضى مَـن يـردّني لسـكوني

ورمــى سـهمه بقيـة آمـالي فخـرّت صـريعة مـن عيـوني

ووعـتْ أذنـه تـواليَ أنغـامي وآبـتْ إلى الفنـاء لحـوني

جدّتي...

وهــي كــلُّ مــا خلّــف الـدهرُ مـن الحـب والمـنى والظنـون

ورجــاءً بـدا فـألهمني الصـفوَ وخفّـت أنـواره لحنـيني

قـد فقـدتُ الأم الحنـون فأنسـتني مصـاب الأم الـرؤوم الحنـون

* * *

كم تحملـتِ في حياتـكِ سـقماً ودَّ قلـبي لـو أنـه يعتـريني!

تتلـوّين في مهـاد المنايـا وتغيـبين في عـذابِ الأنـين

وتضـجين بالـدموع سـجاماً وتطـوفين في بحـار السـنين!

ثم آبَ السـفين! بعـد طـوافٍ خاليـاً عـودة الكسـير المهـين

تاركـاً في البحـار عـذبَ أغانيـه لهـا بالميـاه أي رنـين

يـا لهـا ليلـةً وقـد عـادت الـروح إلى ربهـا ودنيـا اليقين!

فزعت كـل مهجـة لأسـاها وارتمـى الفكـر فـوق صـدر الشـجون

وانجلـى الفجـر حـاملاً بـين كفيـه سـعيراً عذابـه يصـليني

جاء مـن خلفه نـوى وبعـادُ   لا يرجـى اللقـاء فيـه بحـين

رفعـوا نعشـها ونحـن حيـارى   والـدموع الغـزار مـلءُ العيـون

* * *

أيها القـبرُ كـن عليهـا رحيمـاً   مثلمـا ربّـت اليتـامى بلـين...

أيها القلـب هـل تـلام شمـالي   والـتي تفعـل الـذنوب يمـيني؟

لا تلمـني فلسـتُ قـد علـمَ الله   أردّ القضـاء لـو يـأتيني

ولُـمِ المـوتَ والزمـانَ الـذي يسـلبُ مـا ترتجيـه غـير ضـنين

* * *

جـدتي مـن أبـث بعـدكِ شـكوايَ؟ طـواني الأسـى وقـلَّ معـيني

أنـت يـا مـن فتحـتِ قلبَـك   بالأمس لحُبي أوصدت قـبرك دوني

فقليـل علـيَّ أن أذرف الـدمع   ويقضي علـيَّ طـول أنـيني...

ليـتني لم أكـن رأيتـكِ مـن قبـلُ و لم ألـق منـكِ عطف حنـون

آه لـو لم تعـوّديني علـى العطـف وآه لـو لم أكـن أو تكـوني...

٤٢/٩/٩

على الشــــاطـئ

"بين رفات أحلامي التي تكسرت أجنحتها، وأحرقتها نار الخيبة... وبـين ضباب من الأوهام يكتنفني، ووسط سكون رهيب لا يعكره إلا أنـات قلـبي الجريح، جلست على الشاطئ أترقب عودتكِ، ولكن... هيهات".

علـــى الشــــاطئ أحلامــــي طواهـــا المـــوجُ يـــا حـــبُّ
وفي حلكــــــة أيّــــــامي غـــدا نجـــم الهـــوى يخبـــو
عـــزاءً قلـــبيَ الـــدامي
وذا الفجـــــــر بـــــــأنوارهْ رمـــــى الليـــــل وأطيافــــه
شـــدا الطـــير بأوكــــاره وهـــــزَّ الـــــورد أعطافــــه
وفي غمـــــرة أوهــــامي
وفي يقظـــــة آلامـــــي
بكـــى محبوبـــة القلـــب
عـــزاءً قلـــبي الـــدامي
وعـــن بعـــد ســـرى زورق فهـــل فيــه الـــتي أهـــوى
وذا قلـــبي جـــوىً يُحـــرق عســـى أن يجـــد الســـلوى
ومـــن آهـــات أنغـــامي
أتـــتني رميـــة الرامـــي

مضى الزورق يا ربُّ

عزاء قلبي الدامي

وفي موكب أحلامي تسير الشمس للغربِ

فيشكو قلبي الظامي إليها لوعة الحبِّ

فيا ربة إلهامي

ويا تسبيح أيامي

لك القلب مضى يصبو

فردي بعض أحلامي

تقضّى الليل فالفجرُ ولكن هل أتت هندُ؟

خلا من طيفها النهرُ فأين الحب والعهدُ؟

سدى قضّيت أعوامي

على شطآن أوهامي

ولا صفوٌ ولا قربُ

فردي بعض أحلامي

(١٩٤١)

شهداء الحرية

"رثاء الشهداء: يونس السبعاوي، فهمي سعيد، محمود سلمان".

شهيد العُلا لن يسمع اللومَ نادبُه ... وليس يرى باكيهِ من قد يعاتبُه
طواه الردى فالكون للمجد مأتمٌ ... مشارقه مسودَّة ومغاربه
فتىً قاد أبناء الجهاد إلى العُلا ... وقد حطّمت بأس العدو كتائبه
فتىً همّه أن يبلغ العزّ موطنٌ ... غدا كل باغٍ دون خوف يواثبه
فتىً يعرف الأعداء فتكة سيفه ... وقد فتحت فتحاً مبيناً مضاربه
فتىً ما جنى ذنباً سوى أنه انتضى ... حساماً بوجه الظلم ما لان جانبه
إذا ذكروا في جحفل الحرب "يونساً" ... مشى الموت للأعداء حمراً سبائبه
لقد باع للعُرب .سموسَ ثلاثةٌ ... فقرّوا ودمعي لا تقرّ غواربه
فآه على من ودّع الصحب واغتدى ... على "يونس" فليطلق الدمع حاجبه
وآهٍ على نسر أهيض جناحه ... وكم ملأت أفق العراق عصائبه
لئن غيّبوا جثمان "محمود" في الثر، ... فما غيّبوا المجد الذي هو كاسبه
ولهفي على "فهمي" وما كان خطبه ... يهون وإن هانت لديه مشاربه
شهيد رأى الطغيان يغزو بلاده ... فهبّ وقاد العزم جنداً يحاربه
أيُشنق من يحمي الديار بسيفه ... وتغدو على كسب المعالي ركائبه؟
رجال أباة عاهدوا الله أنهم ... مضحّون حتى يرجع الحقَّ غاصبُه

أراق عبيـــد الإنكليـــز دمـــاءهم   فيا ويلهم ممـــن تخـــاف جوالبـــة

أراق عبيـــد الإنكليـــز دمـــاءهم   ولكنّ دون الثأر مَنْ هـــو طالبـــة

أراق ربيـــب الإنكليـــز دمـــاءهم   ولكـــنّ في بـــرلين ليثـــاً يراقبـــة

رشيد ويـــا نعـــم الـــزعم لأمـــة   يعيش بها عبـــد الإلـــه وصـــاحبة

لأنتَ الزعيم الحـــق نبـــهت نوّمـــاً   تقـــاذفهم دهـــر توالـــت نوائبـــة

(١٩٤٢)

اذكريني

قبسٌ من نور قلبي مشرق في ناظريكِ

فهما مهد الهوى إن الهوى غافٍ لديكِ

وهما نبع المنى إن المنى في مقلتيكِ

كل ما يغري ويصبي هاتف في نظرتيكِ

فاذكريني واذكري قلباً بكى بين يديكِ

شعلة من دم حبي كمنت في شفتيكِ

فاجعليني لفظة بينهما تحنو عليكِ

ولتعانق ذكريات الحب دوماً أصغريكِ

كم نهلنا الحب من أقداحه في وجنتيكِ

وصدى القبلة تخفيه جنان ذات أيكِ

قد محا أيامنا الدهر فهل تبقى لديكِ

آه لو كنت بقربي إنني أصبو إليكِ

(١٩٤٢)

إليك شكاتي

لغيركِ لم يخفق فؤادي ولا هفا ... بجنبيّ قلبٌ ضاربٌ في التفجُّعِ

ولا ذرفت عيناي دمعاً إذا جرت ... بوادره طاف اشتياقي بمدمعي

فرحماكِ لا تستنزفي دمع ناظري ... فدمعي إذا ما هاجني الشوق مفزعي

يسير بأحلامي لوديان حبّها ... فترتدُّ بالطيف الحبيب لمضجعي

به أذكر الحب القديم فإن نأى ... تبيّنتُ في فقد الحبيبين مصرعي

ولولا خيال في الدجى منك عادني ... لذاب مع الأنفاس قلبٌ بأضلعي

فيا نفحة للحب ملء جوانحي ... ويا نبأة للوحي طافت بمسمعي

إليك شكاتي فامسحي من أضالعي ... سطور جوى فوق الفؤاد، بأدمع

إلى أُفق أحلامي ففي سرحاته ... لنا موعد يحلو فنخفي له معي

هناك لروحينا على الحب ملتقى ... يزوّقه طهر الهوى المتضوّع

وما الحب إلا يقظة بعد هجعة ... فلا تجعليه صحوة المتفجّع

(١٩٤٢/٧/١٤)

يوم السفر

مـــن لقلـــي علـــى القـــدر — قُضـــي الأمـــر بالســـفر
آه لـــو أنـــه مضـــى — معهـــم يتبـــع الأثـــر
أتـــرى كـــان ينـــثني — عـــن محبيـــه لـــو قـــدر؟
مـــن معـــيني علـــى الغـــرا — م إذا ضـــج أو زخـــر؟
دهـــم القلـــب موجـــه — فعنـــا القلـــب وانقهـــر
هـــو للصـــخر قـــاهر — لـــيس قلـــي مـــن الحجـــر
أســـفا! زورق المـــنى — وَسْـــطَ أمواجـــه انغمـــر
أنـــت يـــا مـــن أحبـــه — جـــاد بالوصـــل أم هجـــر
أنـــت يـــا مـــن حـــدوت ركـــب ســـروري لـــك المفـــر
جـــاء يشـــكو لـــك الأذى — ســـاهد طالمـــا صـــبر
كـــم فـــؤاد قتلـــه — قبـــل أن يـــدرك الـــوطر
لم تبلغـــه مـــا يـــرو — م ويـــاطول مـــا ســـهر
واحنـــيني لقبلـــة — فـــاز مـــن قـــد بهـــا ظفـــر
إن قومـــاً نحبـــهم — حرموهـــا علـــى البشـــر
وبعيـــد عـــن البلـــو — غ لقـــاء وان قصـــر
لـــن أرى جنـــة الهـــوى — لا ولـــن أقطـــف الثمـــر

مــــن شـــفاه حـــوالم بـــرؤى اللـــثم كـــالزهر

قـــد جلـــت ســـاعة الـــوداع شـــتيتاً مـــن الصـــور

حمـــل القلـــب شـــوقه مقلـــة زانهـــا الحـــور

داعـــب الشـــعر وجنـــة مـــن شـــذا عطرهـــا سـكر

وتجلـــــى مودعـــــا حاجـــب يجلـــب الحـــذر

منجـــل يحصـــد القلـــو ب فلـــم يبـــق أو يـــذر

ذكـــريـات الـريف

شعاع من الماضي مـنير بخــاطري ... وذكرى لما ولّى تعطِـر حاضـري

تلـــمُّ ففيهـــا دمعـــة وابتســامة ... وتأتي فلا تبقي على صبر صـابرِ

لقد لاح لي من ذكريـاتي بـوادرٌ ... وإنّ هوى نفسي بتلـك البـوادر

وأبرز لي وَهْمي وكـان مصـوِّرا ... ذواهــب أيـام حسـانٍ سـوافر

فتلك رسوم الريف تحيـا بخـاطري ... كما عاش في الأوتار أنغام سـاحر

وتلك الحقول الزُّهر تنســلُّ بينــها ... جـداول مـاءٍ بـين وانٍ وفـائر

عليها جسور من جـذوع نخيلــها ... تئن وتشكو تحـت أقـدام عـابر

كذاك فؤادي يعــبر الحــزن فوقــه ... على نهر حبِّي وارداً بعـد صـادر

تذكرت سرب الراعيات على الربـا ... وبين المراعي في الرياض الزواهـر

ورنات أجـراس القطيـع كأنهـا ... تنهّد أقداحٍ علـى ثغـر شـاعر

أقــود قطيعــي خلفهــنَّ محــاذراً ... وأنظر عن بعد فيحسـر نـاظري

وما كنت لو لم اتبع الحــبَّ راعيــاً ... ولا انصرفتْ نحو المروج خواطري

"إليها" طويت الليل بالليــل صــابياً ... وطاردتها مسـتهوناً بالمخـاطر

وقبّلتُ حـتى البـهمَ لمـا رأيتــها ... تُقبِّل تلـك البـهم قبلـة ثـائر

فقد أهتــدي في قبلــةٍ إثْـرَ قبلـةٍ ... إلى أثرٍ من ثغرهـا غـير ظـاهر

تــذكرها والفجــر لاهٍ يضــمها ... فــلا هــو بــالآتي ولا بالمغـادر

تنام على النهر الجميل ضفافُهُ وبالماء تدلي مائجات الغدائر
كموجة بحر قيّدتها سلاسلٌ من النور مثلُ العسجد المتناثر
وحاملةً عند الرواح لدارها حزيمات عشبٍ من نخيل المخاضر
أهذا هو العشب الذي كان في الضحى مهاداً لها بين الحقول النواضر
أتخشاه ألا يكتم السرَّ ويحه ويروي أنباء الأليف المعاشر
فكم قبلةٍ رفّافةٍ خبأت به؟ وكم دمعةٍ تنساب من ظلم هاجرِ
وصبحٍ خريفيٍّ تكفن ضوؤه بغيمٍ يغشّي صفحة الأُفق سائر
قد اصفرّت الأوراق حتى كأنها ذبالاتُ نور في دجى الليل ساهرِ
وقد"جلست" فوق الضفاف حزينةً تشيّعُ نهراً سال بين الأزاهر
كحوريّةٍ أغرت من الموج كائناً ففرَّ بها – جذلان – من غور زاخر
قضت بانتظار الجزر ساعات يومها ليحملها للمزبدات الهوادر
ولكنها إن يقبل الليل هادئاً – على مدِّ أحلامي – تعُدْ لسرائري
تذكرها تصغي لهمس يراعتي فتسألُ: ما شأن الثقوب الفواغرِ
ألم تعلمي أن الثقوب نوافذٌ تطالعنا منها ترانيم زامر؟
وكانت لأنغام الفؤاد منابعاً تفيض بسيل من أغانيه غامر
فداؤك روحي ما ثقوب يراعتي؟ جراحٌ تنزتْ من خطوب قواهر
ونايي اجتنى الأنغام حتى تألّفتْ وبعثرها في الشدوِ غير مُحاذر
فكان كحبّي جمع الشّمل شملَنا وفرّقنا من بعد تفريق ساحرِ

* * *

عَدَتني ليالي الصيفِ من ذا يعيدُها سوى الوهم والذكرى لأسوان حائر
فيا حبذا لي جلسة فوق شاطئ ألوذُ به إن مسَّني ظلمُ جائر

أراقب منه الموجَ يسري بزورقٍ ... بدتْ فيه مَن تعنو إليها مشاعري

يسيرُ بمجذافين في النهر أشبها ... ذراعَيْ مشوقٍ مُدّتا في الدياجر

كأن رشاش الماء – يعلو – أزاهرٌ ... نثرن عليها من أليفٍ مسامرِ

تروّح عنها بالشّراع نسائم ... ويرتادها ضوءُ النجوم الزواهر

سها النجم أفلاكاً له حين شاقها ... فتابعها في أفقه كلُّ دائر

ومن حولها مَوْجٌ تضيء كراته ... وتعكس من ألوانها كلَّ باهر

تفجّرها الأمواج كالكأس حُطِّمتْ ... وكالقلب أعياه اعتساف المقادر

وكالزهر في أكمامِهِ اغتاله الردى ... وبعثره هزُّ الرياح الثوائر

وكالزورق السّاري أضلَّ سبيلَه ... فعاد حطاماً فوق شطآن زاخر

وكالزمن الماضي تلاشى ولم يَعُدْ ... إلى ذاكرٍ أنسَ الليالي الغوابر

١٩٤٣/٤/٩

همسك ألهاني

خيالكِ أضحى لابساً مــن فؤاديــا رداءً موشّىً بالرؤى البيض حاليــا
وكنتِ كذاكَ الطائرِ الخادع الــذي يراه رعاةُ البَهْم في المــرج هاويــا
فيعدونَ بين العشب والزهــر نحــوَهُ وإن قاربوه طار جــذلانَ شــاديا
فمــا زال في إســفافه وانطلاقــه فلا هو بالنــائي ولا كــان دانيــا
وما زال يُلهي راعياً عــن قطيعــه ومزمارهِ حــتى يضــل المســاريا
وإنكِ قد أشغلتني – صانكِ الهوى – عن الشعر لما أن تبعتُــكِ راضــيا
وإن على مــرآة شِــعري ســحابة لأنفاسِكِ الوهى تَغَشّــي المرائيــا
وإن رغبَ الروحُ انطلاقــاً أعاقــه صدى روحك الرخوِ الجناحين داعيا
وهمسُكِ ألهاني فمــا بــتُّ ســامعاً لحونَ إله الشــعر أو بــتُّ واعيــا
وقيثارتي... مــا شــأنها وأنــاملي بشَعركِ باتــت عابثــاتٍ لواهيــا؟
ألا يتسنى يا ابنــة الحــبِّ ســاعةً لروحي أن ترقى النــهود العواريــا
فتلمحَ مــن عليائهــا أُفــق فتنــة يوافيه إشعاعٌ من الحــب، زاهيــا؟
ســأهتف بالأشــعارِ إمــا رأيتــه وأستقبلُ الإلهــامَ ســهلاً مواتيــا!
متى حوّمت في أُفــق ثغــركِ قبلــةٌ يصعِّدُها ثغري فقد زال مــا بيــا!
وعدتُ لربِّ الشعر جذلان ســامعاً حفيف جناحيه ينــادي خياليــا!

١٩٤٣/٧/٢٩

أغنيــــة الســـلوان

تباعدنا فــلا حــزن علــى مــا ضــاع مــن قــربِ..
ولــيس الحــبُّ إلا الرحلــة اســتلت قــوى القلــبِ
وهــل يلقـــي انتـــهاء السَّـــفَرَ المـــلاّح في كَـــرْب
إذا مـــا راح يطـــوي الـــيمَّ نحـــو الشـــاطئ الخصـــب؟
نفضـــنا قطـــراتِ الوصـــلِ بـــين الـــورد والعشـــب..
إذا مـــا اهتـــزت الزهـــرةُ ألقـــت بالنـــدى العـــذب
وأُفردنـــــا وفي الإفـــــراد بعـــــض الخـــــير للصَّـــــبِّ
تعـــيش الزهـــــرة الفينـــــاءُ في المنبســـــط الرحـــــب
وتقضــــي وحشـــــة الأيـــــام بالتحـــــديق في الســـــحب
تنـــام علـــى وســـاد الشـــوك نائيـــة عـــن التِّـــرب
ولا ترمقهـــا عـــينٌ فتنجـــو مـــن أذى العطـــب
وإمـــا زهرتـــان اســـتوتا جنبـــاً إلى جنـــب...
ســـرت نجواهمـــا تنســـلُّ بـــين العطـــر في السَّـــهب
فتســـــمعها الفراشـــــاتُ وراء التـــــلِّ والشـــــعب
فتضـــربُ في الفضـــاء الرحـــب نحـــو المنبـــت الرطـــب
إذا مـــا ركـــض الطفـــلُ وراء فراشـــةِ السِّـــرب

فـــلاذتْ بصـــدور الزَّهـــر بعـــد الحـــوم والجـــوب
فشـــأن الزهـــرتين القطـــف والإذعـــانُ للخَطـــب
عِنـــاقُ الحـــبِّ فاجـــأه هـــويّ المنجـــل الغضـــب
فيـــا للقبلـــةِ المشـــلولة الأصـــداء بالرُّعـــب
وكنـــا لـــوحَيْ نافـــذةٍ في هيكـــل الحـــبِّ..
فلـــو لم نفتـــرق لم ينفـــذِ النـــورُ إلى القلـــبِ
وكنـــا كجنـــاحي طـــائرٍ في الأفـــقِ الرّحـــب..
فلـــولا النشـــرُ والتفريـــق لارتـــدَّ إلى التـــرب
ولـــو لم نبتعـــد لم تســـمُ نفســـانا عـــن الـــذنب
وكنـــا شـــفتيْ هـــذا القضـــاء مفـــرّق الصّـــحْب
فلـــو لم ننفـــرج لم تضـــحكِ الأقـــدارُ مـــن كـــربي!

١٩٤٣/٨/٧

الذكـــرى

أطللتُ مـن نافـذة الـذكرياتْ	على ريـاض القِـدَمِ الحالمـات
ولي زمـــانٌ عرضـــت لي بـــه	أجمـــل حلـــم أبدعتـــه الحيـــاة
أركـــض في أنحائهـــا لاهيـــاً	مـــع الفراشـــات بمـسِّ النبـــات
وأســـهر الليلـــة مَـــع جَـــدْوَلٍ	مـــرتعشٍ للنُّسُـــم الفـــاترات
يـــا لهفـــي إنَّ وراء الـــربى	صوتاً دعاني هو صـوت الرُّعـاة
وكيـــف آتيـــكِ جنـــان الهـــوى	يومـــاً ودوني حُجُـــبٌ مانعـــات؟

* * *

دعـــا صـــباباتي لضـــفّاته	غديرُ ذكـــرى مـــائج الأمنيـــات
حـــدّقتُ في أمواجـــه ســـاعةً	مســـتطلعاً أغـــوارَه المبـــهمات
أرى ظِـــلالَ السُّـــحْبِ تقبيلـــةً	مـــرَّت علـــى جبهتـــه في أنـــاة
والسَّـــحْبُ هـــل أنكرهـــا؟ إنهـــا	كانـــت نُهَيْـــراً شـــاعريَّ اللـــهاة
مِـــلءُ فـــروع الـــدوح ألحانـــه	سكرى على قرع كؤوس الحصـــاة
نمنـــا علـــى أعشـــاب ضـــفّاته	مختلســـين القبـــل المســـكرات

* * *

نَحْوَ الغدير العذب مُـدَّت يـدي	تلمس فيـه السـحب العائمـات
فـــانفجرت منـــها فقاعاتُـــه	في إثـــر أتـــرابٍ لهـــا سـابقات

إني سمعت الحُور في همسة مسحورة أصداؤها عاتبات
تلك عقودُ الحور بعثرتَها فهل أتتك المتع الذاهبات؟
وصرخة الأطفال من غوره يا أيها القاسي فجرْتَ الكرات!

* * *

ودوحة الذكرى تسلقتها مُجتذباً أغصانها المزهرات
مستقصياً ما بينها فجوةً تمر منها النسم الهائمات
أبصرتُ منها ذكريات الصبا على نجيل المرج مستلقيات
والبحر يسعى دونها زافراً فالموج آهات حطمن الصَّفاة
يا مرج هل تذكرني راعياً أعبد فيك "الله" والراعيات!
والبحر ما كان سوى جدول ينير في الليل سبيل الرعاة
فما دهاه اليوم حتى غدا ملحاً أجاجاً بعد عذب فُرات
أحقبة نضجر من طولها وإنها طرفةُ عين الحياة؟

* * *

قالت لي الدوحةُ لا تبتئسْ ستهبط المرْج ففيمَ الشكاة
هاك جناحين فطر وائته واستوح فيه المتع الطارئات
وقدّمت بين دموع الندى فرعين من أغصانها المورقات

* * *

غنّى الخريفُ الغابَ ألحانَهُ فانتثرت أوراقه راقصاتْ
وقبل أن أُدرك ما أبتغي ذوى جناحاي مع الذاويات!

ليلة ١٨/٨/١٩٤٣

تنهــــدات

"كنت أهصر سعف النخيل حــذار أن
يمنع عينيّ من رؤيتها إذا أقبلت! أمــا
الآن فليتهدل السعف فهي لن تأتي"

سَعَفَ النخيل علــى الممــرِّ تهــدّل
واحجب بظللك ما يــراه المجتلــي

من كنتُ أحذر أن تحجب طيفهــا
عن ناظري نزلــت بأبعــد منزلِ

سيان عندي اليوم قفــرٌ مــوحشٌ
وظلال روض مســتطاب المنــهل

فسَل النسائم أن تكفَّ عن الســرى
ما للفؤاد بيســرها مــن مأمــل

إن أقبلت بشذى الزهور و لم يكــن
عطــر الحبيبــة فيــه فلتتحــوَّل

أبداً تذكرني المــروج بمــن نــأت
وربابة الراعي تهــيج الشــوق لي

في كل زاوية نظرت رأيــت مــن
آثارهــا مــا خلفتــه لمقتلــي!

فإذا سهوتُ عــلا ثغــاء قطيعهــا
يشــكو أســاه بلوعــة وتــذلل

قد ودّعتــه فمــا شــفاه وداعهــا
من حرقــة في صــدره لم ترحَــل

ألقــت بمســمعه ثمالــة شــدوِها
فرنا بغــرب دموعهــا المترســل

خففتُ لو ودّعتها بعــض الأســى
ومسحتُ بعض دموع قلب مثقــل

والدوح عصــفرَه الخريــف وردَّهُ
كالعاشــق المتحــرّق المتــذلل

نَشَرَ الأصيل عليه عمــق ســكونه
فمضــى يحــن لأغنيــات البلبــل

فكأنمــا الوَرَقــاتِ مــرآةٌ لــه
تجلو اصــفرار سمائــه للمجتلــي

أأروحُ وهـــو يظلُّـــني وحبيـــبتي وأعود وحدي وهو غــير مظلّلـــي

سعف النخيل: سواك خان مــودّتي وبقيت تحفظهـــا لمـــن لا ينســلي

أشكو إليك أذى الفؤاد وإن تكـــن لا ترجع الشكوى لصبٍّ مبتلـــي[1]

تمضِ الحبيبـــة والزمـــان كلاهمـــا وأظلُّ أندبهما وتصغي أنـــت لي...

١٩٤٣/١٢/٦

---

[1] كلمة مبتلي غير صحيحة ويقتضى (مُبتلى).

تحيـــة القـــرية

شــفّني مـــن ربوعِـــكِ النضـــراتِ فتنـــةٌ تســـتعيدها نظـــراتي

في رياض النخيل يجمع فيها الفجـــر شمـــل الضـــياء بعـــد شـــتاتِ

فـــإذا الـــروض فتنـــة تتجلّـــى من صـــناع الأنامـــل المبـــدعاتِ

أخـــذتْ حَلْيَهـــا الطبيعـــةُ فيـــه وبـــدت في غلائـــلٍ عطـــرات

توَّجـــتْ بـــالزهور مفرقِهـــا، الجـــدول ربُّ الخمائـــل الهامســـات

وانثنـــت تســـتحثُّ ماشـــطة الـــريح وتُبـــدي النجيـــل للماشـــطات

والمروج الحســـان هامـــت عليهـــا حُـــرَقٌ مـــن تنهـــدات الرعـــاة

والعـــذارى بـــين الرُّبـــا يتـــهادَيْنَ نـــديَّ النَّـــوار والزهـــرات

والغـــديرُ الوســـنان ظلّلـــه الكَـــرمُ وأصـــبى أمواجـــه الموهنـــات

منظـــرٌ تســـتخفُّ ألوانـــه الطـــير فتزجـــي ألحانهـــا الســـاحرات

وهـــدوء الحقـــول تلقـــى لديـــه الـــنفس مـــا ترتجيـــه مـــن غايـــات

فهو نورٌ يهدي ســـفائن أفكـــاري إلى مـــا وراء بحـــر الحيـــاة

فتـــرى المبـــدع المصـــوِّر فيمـــا حولهـــا مـــن جنـــائنٍ موثقـــات

في ابتســـامِ الريـــاض للمـــدِّ والجـــزر لطوفـــانِ عـــذبيَ[1] النغمـــات

يحملان الحـــديث عـــن مـــرقص البحـــر وحـــور الشـــواطئ اللاعبـــات

---

[1] في الأصل عذبى والأصح أعذب.

وعــن الشــطّ والنخيــل الســكارى في الليــالي القمــراء والمظلمــات

رنحتــها الأنســامُ لمــا ســقتها العطــرَ في أكــؤسِ النــدى المترعــات

وقــروطُ الأغــداقِ تهتــز إغــراءً لفُلــكٍ شــوارعٍ جاريــات

صــوَرٌ تســجد النفــوس لــديها وتضــجُّ القلــوبُ بالصَّــلوات

أينمــا دار نــاظري طــالعتني فتنــةٌ تســتعيدها نظــراتي

١٩٤٣/١٢/٢٢

يا ليلُ

ليت الليالي تنسى قلبي الألما ... والنجم يُنبئها عني بما علما

للعينِ يا ليل سرّ لا تبوح به ... أغمضتَ عنه عيون الناس فانكتَما

إلا عيوني ما أغمضت ساهدها ... فبتنَ يرقبنَ منك النّوءَ والظُلما

قد اتّقيتَ أذاها فاستترت لها ... دمعاً لمتْ فيه عما فيك منسجما

صحبتُ فيكَ سُرى الأحلام مُفزِعها، ... وعذبَها! فطويتُ الغور والأكما

فما التقيت بمن أهوى؟ أتحسبُها ... يقظى؟ لديك فما أهديتها حُلما

وهل نعمت من الدنيا برؤيتها؟ ... أما احترقت فأفزعت النجوم.. أما!

ألم تخنك الدراري مذ شغفن بها؟ ... وكيف وارين غرب الدمع حين هما

ترى على الأرض مأواها وموطنها؟ ... أما السماء نمتّها فهي بنت سما؟

من السنا والندى والزهر منزلها ... على ثرى من نديّ الغيم قد رُسما

إن الأهلّةَ شيء من أرائكها! ... والفجرَ مرآتها ما رفّ مبتسما

وساءلتك وغربُ الدمع سامرُها ... عني فألفتك قد أوليتها صَمما

فردتِ الطرفَ نحو الغيم حائرةً ... فارتدَّ بارقه يجلو لها الظلما

وهزّتِ الأفقَ السهران باحثة ... عني وبتُّ أهزّ القلبَ مضطرما

فما نجومُك وهي النيِّرات سوى ... آثار أقدامها تروي لك الألما

وما أغانيك وهي الخالدات سوى ... أشتات قلبي تروي حبّه نغما

أما سئمت من الآهات تُرسلها ... ناراً، وقلبك من قلبي أما سئما؟

ضُمَّ الفؤادين لم تُبق النوى بهما ... ما يستطيع حياةً إن هما انصرما

١٦/١/١٩٤٤

خيالك

"إلى لبيبة ذات المنديل الأحمر"

"نظرت إلى ظلك في الجدول
فالتقت عيناي بعينيك أو عينيه
فكان حبي لك أو له..."

لظلّكِ لو يعلمُ الجدولُ ... على العذبِ من مائه مَنزلُ
يمرُّ به القلب مرَّ الغريب ... ويهفو له الحبُّ والمأمل
بأفيائه تحلم الذكريات ... ويشدو الخيالُ ويسترسل
وقفت حزيناً لدى الضفتين ... وحولي زهور المنى تذبلُ..
وقد رفَّ ظلك فوق المياه ... وجالَت بأعطافه الشمأل..
ففي الموج مما رأى هزَّة ... يحار لها الشاطئ الممحِل..
وسرحتُ عينيّ في مقلتين ... يسدِّدُ سهميهما الجدول
غرامٌ! فهل تنكرين الغرامَ؟ ... وحبٌّ، وهل منه لي موئل
تمنيت لو كنت ريحاً تمرُّ ... على الظل ولهى فلا تعذَل
ويستأسرُ الموج إغراؤها ... وترديدها[1] النائح المرسل
فتمضي وتمضي به للسماء ... غماماً بأرجائها يرفُل...

[1] كانت "ويفتنه لحنها" وصححت بخط الشاعر.

فـــأخلو بظلّــكِ بـــين النجـــوم — وقد جال فيهـــا الـــدجى المسبل

ففـــي كـــلّ تقبيلـــة نجمـــةٌ — تغـــوّرُ أو كوكـــبٌ يُـــذهل[1]

خيالُـــكِ مـــن أهلـــي الأقـــربين — أبَـــرُّ، وإن كـــان لا يعقـــلُ

أبي... منه قـــد جـــردتني النســـاء — وأمي... طواها الـــردى المعجـــل[2]

ومـــا لي مـــن الـــدهر إلا رضـــاكِ — فرحمـــاكِ فالـــدهر لا يَعْـــدِل..

١٩٤٤/١/٣١

---

[1] كان عجز البيت: تغور وثانية تذهل. وصححت بخط الشاعر.

[2] يشير إلى زواج والده بامرأة أخرى.

أغنيـــة الـــراعي

دعـــي أغنامنـــا ترعـــى حيـــالَ المـــوردِ العـــذبِ؛
وهيـــا نعتلـــي الربـــوة يـــا فاتنـــةَ القلـــب...
فنلقـــى تحتنـــا الوديـــانَ في ليـــلٍ مـــن العشـــب!
خيالانـــا بـــه طيـــفٌ مـــن الآمـــالِ والحـــبِّ!

* * *

خطانـــا تبعـــثُ الـــذكرى بقلـــب الـــورد والزَّهـــرِ
ســـيبقى في غـــدٍ منـــها صـــدىً ينســـابُ في النـــهر
وفي الأنـــداءِ مـــا ذابـــت علـــى وقـــع خطـــى الفجـــر
وفي أغنيـــة الرعيـــان مـــا بـــين الـــربى الخضـــر!

* * *

ســـئمنا العـــالَمَ الفـــانيَ والنـــاسَ ومرعانـــا
لقـــد ســـجنوا بـــأغلالٍ مـــن الأنظـــار نجوانـــا
سننشـــدُ في أمـــانٍ مـــن عيـــون النـــاس مأوانـــا
ضـــعي يـــدك الجميلـــة في يـــدي ولنـــذهب الآنـــا

* * *

ومـــن أثـــواب قطعانـــك يـــا ريحانـــةَ العمـــرِ
نحـــوكُ شـــراعَ زورقنـــا ونطـــوي لـــجّة العمـــر
نغـــني المـــوج أغنيـــة الرعـــاةِ علـــى الـــربى الخضـــر

لقيثـــارٍ روى أنغامَـــه عـــن ربّـــة الشـــعر!

* * *

نـــؤم جزيـــرةً منســـيةً في بحرهـــا النـــائي

طـــوى المـــوجُ بشـــطيها جناحيَـــه بإعيـــاء

إليهـــا أومـــأ المجـــذافُ لمـــا ضـــلّها الرّائـــي

وأضـــحى دمعُـــه يرســـمُ أقمـــاراً علـــى المـــاء

* * *

ســنبني كوخنـــا تحـــتَ الغصـــونِ بجانـــب النبْـــعِ

ونملـــؤه بمـــا شـــئناهُ مـــن زهـــرٍ ومـــن شمـــعِ

وأنغـــامٍ رواهـــا الـــوترُ السَّـــكرانُ بالـــدمع

وعِطـــرٍ قُطفَـــت أزهـــاره مـــن ذلـــك الجِـــذع

* * *

ســـتهوي شـــفتانا فيـــه نحـــو القبلـــة الأولى

فيصـــغي في صـــداها خـــافقٌ مـــا زال متبـــولا

إلى همـــس المجـــاذيف طواهـــا الليـــل تقبـــيلا

إلى نجـــوى الينـــابيع بـــرَوضٍ بـــات مطلـــولا

* * *

تعـــالي نهجـــرُ الآثـــامَ والنـــاسَ ودنيانـــا

لأرضٍ ســـبقتنا نحوهـــا بالسَّـــير روحانـــا

هنـــاكَ نـــرى المـــنى، والحـــبُّ والأحـــلام ترعانـــا

ضـــعي يـــدك الجميلـــة في يـــدي ولنـــذهب الآنـــا..

* * *

١٩٤٣/٧/٢٩

المساء الأخير

"آخر مساء قبل مغادرة الريف"

بربِّ الهوى يا شمسُ لا تتعجَّلي   لعلي أراها قبل ساعِ الترحّلِ

سريتِ فأفق الغرب يلقاك باسماً   طروباً وأُفق الشرق بادي التذلل

كأنَّ السَّنا إذ فارق الأرض واعتلى   رؤوس الروابي والنخيل المسبَّل

أحاسيس أخفاها الفؤاد وصانها   زماناً ففاضت من عيونٍ ومِقْوَلِ

وصفصافةٍ مخضوبةِ الرأس بالسَّنا   تراع بزفزافٍ من الريح مُعولِ

تبينُ كعذراء من الريف أقبلت   بجرَّتها من دافق الماء سلسلِ..

نعى لي وللناس النهارَ (مؤذّن)   وقد كان ينعي لي فؤادي ومأملي

تمنيتُه لا يسمع الصَّوت، أخرساً   تمنيت لو يهوي إلى الأرض من علِ!

ألا وُقرتْ آذان من يسمعونه   بأشلاء قلبٍ في ضلوعي مقتَّل

ألا نثرتْ من تحت أقدامه أسىً   حجارةُ ذاك المسجد المتبتِّلِ!

أطرتُ عصافير الربى حين غردتْ   كأنَّ بتغريد العصافير مقتلي!

رأيتُ بها شبهاً بدَهر مجنّح   فأبغضتُ أشباه العدوّ المنكلِ

كأني به لما يمُدُّ جناحه   يمُدُّ لأكباد الورى حدَّ فيصَلِ

ألا ليت عمرَ اليوم يزداد ساعةً   ليزداد عُمرُ الوصلِ نظرة معجَلِ.

١٩٤٤/٢/١٦

شــــاعر

كفَّــــن بــــالأوراق آهاتِــــه
وارتــــدّ يرثيهــــا بآياتــــهَ

واستأســـرتْ أبياتـــه روحَـــهُ
فطـــاف يبكـــي حـــولَ أبياتِـــهَ

غنّـــى ليصـــطاد حبيباتـــه
فاصـــطاد أسمـــاء حبيباتـــه

إن تبـــك عينيـــه صـــباباتُه
أبكـــى عيونـــاً بصـــباباته!

ســـاعاته في شـــعره خلّـــدتْ
مـــا بالُـــه ينـــدبُ ســـاعاته!

وهـــو إذا مـــا أنَّ مـــن لوعـــة
رجَّـــع كـــلُّ الكـــونِ أناتِـــه!

إن دُسَّ تحـــتَ التـــربِ جثمانُـــه
وكـــفَّ قلـــبٌ بـــين طياتـــه!

خلّـــف قلبـــاً بـــين أشـــعاره!
يســـمعُ مَـــن في الأرض دقاتـــه!

١٩٤٤/٤/٢١

أغـــــرودة

"إلى ذات المنديل الأحمر"

كفـــى طَرفــكِ اليــومَ أن غــرّرا بقلــبٍ جفــا الحــبُّ واســتكبرا

ضـــللتُ وقـــدّر لي أن أراكِ وأهـــوى فصـــبراً لمـــا قـــدّرا

أضـــاء حيـــاتي ســـنا مقلتيـــكِ فأبصـــرتُ مـــا لم أكـــن مبصـــرا

وشاهدتُ قفـراً بعيـد الحـدود تعـــانق فيـــه الســماء الثـــرى

وقـــد خلـــت في ظلمـــتي أنّ لي رفيقـــاً.. وهـــا أنـــني لا أرى

فـــرُدّي علـــى القلـــب أوهامَـــه وخلّيـــه فيمـــا ادّعـــى وافتـــرى

"لبيبـــةُ رحمـــاكِ إن الوصـــال أحـــبُّ إلى القلـــب لـــو خيِّـــرا

أهـــاب الغـــرام بقلـــبي الكئيـــبِ فخـــفّ إلى عاليـــات الـــذرى

جناحـــاه ســـهمان في جانبيـــه يشـــعّان بالنـــار إمـــا ســـرى

بعينيـــكِ غـــدرٌ بكـــل الرجـــال ولكـــنّ عـــينيَّ لـــن تغـــدرا

إذا لم تضمّ الكيانَ النحيلَ ذراعاي .. حيناً ولم تمصرا

فقد ضمّكِ القلبُ منذ اللقاء فطوّق حسنك واستأسرا

سأسعى لأضفي عليكِ الخلود بشعرٍ من الروح قد فجّرا

فتمسين أغرودة العاشقات وترنيمة الركبِ عند السُّرى

١٩٤٤/٣/١٩

المنديل الأصفر

أتدري وقد أومأت للصباحْ ... أزاهيرُ قطنٍ بتلك البطاحْ

سكارى من الطلِّ صفرُ الثياب ... هفا كلُّ طيرٍ لها بالجناحْ!

بأن الليالي ستختارهنَّ ... ليُصبحنَ منديل خودٍ رادحْ!

يتيه – وحقَّ له – بالشحوب ... على حمرةٍ في شفاه الملاحْ!

تبدّى وفي عطره عطرها ... ومن سرها فيه ما لا يُباحْ

أمن حبِّها جاء هذا الشحوبُ ... وطولُ اصطحاب الأسى والنواح

أيشقى الذي ضمَّه صدرُها ... وروّاه من ثغرها كأسُ راحْ؟

كأني به هالةُ البدْرِ في ... ليالي الوصال العذاب الوضاحْ

كأني به قبلةٌ جسّمتْ ... على ثغرها أو ثغور الاقاحْ

ففيه شذى القبلِ الناعمات ... وريُّ الأزاهير عند الصباحْ

خريفٌ ولكنه كالربيع ... يضوعُ بعطرِ الصِّبا والمِراحْ

فما مُذهب من شعور الحسان ... تراخى على كتفٍ واستراحْ

بمشبهِ منديلها فتنةً ... وسحراً إذا جاذبته الرياحْ

أمنديلَها من تحبُّ الفتاةُ؟ ... ألا! إن شأنَ الهوى أن يُباحْ

لعلّي – ويا ليتني – من تحِبُّ ... فأشفى بذاك الضنى والجراحْ

أمنديلَها لو مسحتَ الدموعَ ... لما بتَّ في لوعةٍ والتياحْ!..

١٩٤٤/٣/٢٤

" وحي وردة نثرتها حسناء"

أعــولي يــا قيــاثرَ الشــعراء في سكون الدجى وصمت المســاءِ
وردةٌ أغمــضَ المســاءُ عليهــا طرفــه وهــي في ثيــاب الــرواء
واســتفاق الصــباح يبحــث في الوديــان عنــها وفي خــدور النســاء
فرآهــا بكــفّ عــذراء أزهــى مــن جنــاح الفراشــة البيضــاء
وهــي آنــاً تنيلــها ثغرهــا الغــضَّ وآنــاً تضــمها بازدهــاء
غــير أنَّ الــتي تحطــمُ قلبــاً تنثــر الزهــر مثلــه في الفضــاءِ.
... لَريــاحُ الخريــف أرفــقُ بــالورد وبالقلــب مــن يــدِ الحســناءِ
نثرتهــا أمــام عــينيَّ لا تســمعُ مــني تــذلّلي ونــدائي!
رحمةً منــكِ فهــي رمــزٌ لحبّــي أنا أشقى فــلا تزيــدي شــقائي
أنــتِ لــو تعلمــين كــم سَــهرَ الــروض عليهــا وهبتهــا للبقــاء
ربَّ طــيرٍ أظلّهــا بجناحيــه وغــنى لهــا أرقّ الغنــاء
رب نهــرٍ مصــفقٍ أرســل الشــوق لهــا ذائبــاً مــع الأنــداء
رب راعٍ هفــا لرؤيتــها شــوقاً وغنّــى علــى تراجيــع نــاء
غــير أنّ الرُّعــاة والطــير والأنهــار تفــدى لعينــك الحــوراء
أنــت خلّــدتها ولــولاك مــا غنَّــى بهــا منشــدٌ مــن الشــعراء

أنـــتِ خلّـــدْتِها ولـــولاك ســـارت – مثلمـــا ســـار غيرهـــا – للفنـــاءِ

فانثري الزّهر كـــل يـــوم لـــيحيى   في فـــؤادي ويرتـــوي بـــدمائي

أنثريـــه لتلـــهمي قلـــبيَ الغـــضَّ   فيشـــدو لحـــون أهـــل الســـماء

١٩٤٤/٤/٢

السجيـــن[*]

سجين... ولكنَّ سجني الكتــابْ! وأغـــلالِيَ الآســـرات الســـطورْ
فما بين جنبيــهِ ضــاع الشــباب وفوق الصحائفِ مات الســـرور!
لقد طال بالقلب عهــد العــذاب! وهـــا أنــه بعــد صــبر يثــورا!
ســـأطويهِ لا رجعـــةٌ لا إيـــاب وأمضي طليقاً كتلــك الطيــور!

* * *

ســـطورُ كتـــابي أوتـــار عـــودٍ عليهـــا يُوقَّـــع لحــن الرثـــاء!
وأسرابُ غُربٍ[1] من الطـير ســود نواعـــبُ تنـــذرني بالشـــقاء
أفي ظلمة الكتب أفـني وجــودي وأحيـا بليــلٍ وحــولي الضــياء!
فيـــا نفـــسُ لا تُـــذعني للقيــود وثـــوري ولا تصـــبري للقضـــاء!

* * *

عيـــوني بآفاقِـــه ســـاهرات وحـــولي يبيـــتُ ردى رقّـــدا
بأرجائـــه ألتقـــي بالممـــات كـــأني علـــى موعـــدٍ والـــرَّدى
ومـــا بَـــينَ ألفاظـــه القاتمـــات أشـــعَّةُ عـــينيَّ ضـــاعت ســـدى
... وما بين أوراقـــه الصـــامتات! تلاشى غنـــائي ومـــات الصّـــدى

١٩٤٤/٤/٢٥

---

[*] وهي أخر ما في المجموعة الأولى التي بين يديّ.
[1] غربان جمع غراب.

عـــودة الديـــوان

"إلى ديواني العائد من تجواله بـــين
العذارى... إلى ذلك الزورق المتنقل
بين موج النهود أرفع زفرتي..."

ديوان شعري يعـــود مـــن ســـفرهْ!   ما ضـــرَّني لـــو يظـــلُّ في وطـــرِهْ
وكـــــان في جنـــــة فأخرجـــــه   منـــها تجنّـــي الزمـــان في قـــدره
بـــين العـــذارى يبيـــت منـــتقلاً   يـــا ليـــتني ســـائرٌ علىأثـــرِه؟
ويســـــهر الليـــــل في مخادعهـــــا   إني لـــه حاســـدٌ علـــى ســـهره
ينـــام فـــوق النـــهود مُـــدَّكرا   فتـــرجحنُّ النـــهود مـــن ذِكَـــره
ويوشـــك القطـــن في صـــحائفه   أن يُطلعَ المستحبَّ مـــن زهـــره!
ديوان شعري يعـــود مـــن ســـفره!   ما ضرّني لـــو يظـــلُّ في وَطَـــره!

* * *

زورقُ حـــبٌ شـــراعه الغَـــزَلُ!   ما بـــين مـــوج النـــهود ينتقـــلُ
قد ضـــلَّ ملاَّحُـــه الســـبيل فمـــا   أرسى على صدرها هـــي الأمـــل
لـــــولا هواهـــــا لمـــــا تحـــرَّك بالشـــعر يراعـــــي فجـــــاء يشـــتعل
عاد إلى صـــدري الكئيـــب وقـــد   ألقـــى المراســـي فلـــيس يرتحـــل!
عاد وقـــد مُـــزّق الشـــراع كمـــا   مَـــزّق لـــذاتِ عمـــري الملـــل
كالقلب إذ عـــاد مـــن صـــواحِبه   تمـــدّه النائبـــات والعِلَـــلُ

زورقُ حب شراعُه الغَزَلُ ما بين موج النهود ينتقلُ!

* * *

أنلتَ من عطفهنَّ يا ورقُ ما لم ينلْهُ المسَهّد الأرقُ
فكنتَ منديل كل باكية منهنَّ ينتاب روحها القلق
سدّدن أنظارهن نحوك يا ديوان شعري ولست تحترق
أما تراني أكاد إن نظرتْ لي ذات حسنٍ تُذيبني الحُرَق
لكنّ شعري الذي سكبت به قلبي على جانبيكَ يأتلق
ولا تلظّى بناره أفهل... تهيج فيك الصبابة الحُدقُ
قد نلت من عطفهن يا ورق: ما لم ينلْه المسهَّد الأرِق..

* * *

إن عادَ نفسي شجىً فزعزعها أصبحتَ مرتادها ومفزَعها
تذيبُ أنفاسها بأدمعِها: شعراً وتلقي عليك أدمعَها
فحدّث النفس... ما رأيت وما أسمعتَ ممن طرقت تخدعها!!
عن العار، بكل عاشقة ناحتْ فأنت قصائدي معها
خبّأنَ في جانبيك لي قُبَلاً هلاّ أريتَ الفؤاد موضعها
حسْبُ الحبيّات من عرائس شعريَ أن ظِلّ الحسان قنّعها
إن عاد نفسي شجى فزعزعها أصبحتَ مُرتادَها ومفزَعها

١٩٤٤/٤/١٢

مقطع بلا عنوان*

وأي خيرٍ في الهوى كلّه   إن كنتما بالحبّ لا تعلمان؟
يا زهرتي قد متُّ يا زهرتي   آهٍ على مَن يعشقِ الأقحوان
لولا التي أعطيتِ سحر اسمها   ما بتُّ استوحيكِ سحرَ البيان

١٩٤٤/٤/١٨

* وجدت هذه الأبيات في الدفتر دون عنوان، ولدى البحث وجدت بعض أبيات من القصيدة في كتاب إحسان عباس: بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، ص ٥٥-٥٦. وهذه هي الأبيات المنشورة في الكتاب المذكور:

جاء الدجى يا زهرة الأقحوان   فانسلَّ نحو الموعد العاشقان
ماذا ينال القلب يا ويحه   إذ يعطف الروض ولا تعطفان
وأي جدوى في أغاني الهوى   إذ تسمع الدنيا ولا تسمعان

ويذكر إحسان عباس ان القصيدة غير مؤرخة، بينما هي مؤرخة في النص المتوافر لديّ.

رثـــاء القطيـــع

"إلـــى الراعيـــة"

لقـــد حـــدثوني بمـــوت القطيـــع ... فشدَّت على القلـــب كـــفُّ الألمْ

رأيتُـــكِ تـــبكين بـــين الثـــرى ... وتستصـــرخين رعـــاة الغـــنَم

وحولكِ[1] ســـربٌ مـــن الراعيـــات ... يخفّفـــن عنـــكِ الضَّـــنى والسـأمْ

أما أرّقـــت عـــينَ هـــذا التـــراب: ... دمـــوعٌ لهـــا فوقَـــه منســـجَمْ

مـــن الأعـــين الحـــور ينبوعهـــا: ... فهل تصبحُ اليـــوم تحـــت القـــدمْ

لقد زوّقتْ تحتَ أيـــدي الأصـــيل! ... ســـفوحُ الـــروابي بظـــلّ القِمـــم

وقد حوَّم النـــومُ حـــول الغـــدير: ... فمـــا بـــالُ أزهـــارِه لم تـــنم؟

وأمواجـــه أخلـــدت للســـكون: ... فمـــاتَ علـــى ضـــفَّتيه الـــنغم

وكانـــت تغنّـــي بمجـــر النســـيمِ ... إذا لفَّهـــا موهنـــاً واســـتجم

أحزناً على مـــا أصـــابَ القطيـــع؟ ... رفيـــقَ هواهـــا، عراهـــا السَّـــقمْ

ومالـــكِ لا تملأيـــن المـــروج ... ابتســـاماً فـــإن الربيـــع ابتســـم

وفوقَ الثرى ذاب قوسُ الســـحاب ... فبـــادتْ علـــى جانبيـــه الظُّلـــم!

رياضٌ كمـــا يشـــتهي العاشـــقون ... وما صـــوَّر الفـــنُّ منـــذ القِـــدَم.

ونَـــوْرٌ ســـها في شـــفاه الزهـــور ... ونهـــر عليـــه الـــذهول ارتســـم

---

[1] في الأصل: وحوليك سرب! والمسموع هو: حولكِ وحواليك.

أحزناً على مــا أصــابَ القطيــعَ ألَيــفَ الــروابي؛ اعتــراكِ الألم

سأبكي وقد كنــتِ تستضــحكين إذا الدمع مــن نــاظريَّ انســجم

١٩٤٤

حورية النهر

نفوس معذبة هائمه ... تخبّط في الظلمة القاتمة
أجدَّ لها الليل أحزانها وتذكار أيامها الباسمه
فسارت تفتش عن حبها وتنشد لذّاتها الدائمه
وأسرى بها تحت جنح الظلام زوارق في اللجة الغائمة.

* * *

إذا ما تلوّتْ على الشاطئينِ من النهر أمواجُهُ اللاطِمه
وأرسى على مائِه زورقٌ تؤرجحه النسمة الحالمه
أطلّت على النهر حوريّةٌ فأغوتْه بالنظرة الساهمة!
فأغوارُهُ وهي أوطانها بواكٍ على فقدها نادمه!
وأمواجُه وهي أترابُها جثتْ تحت أقدامها لاثمه...
أحوريّة النهر غُضي العيون وكوني بملاّحه راحمه.!
تسيرين في زورق من ظلالٍ فتدفعه النسمةُ الناعمه
ومجذافُك اخترتِه من ضياء النجوم على اللجة القاتمه

* * *

وأطربتِ النّهر والضفتين أغانٍ وقيثارة ناغِمه
لقد حقَّ أن تسحَرَ الكائنات وتستل آهاتها الجاثمه
فأوتارها شعرُكِ العسجديُّ وأنتِ الموقّعة الباسمه

رأى النـــهرُ مصـــرع ملاّحِـــهِ ... بعينيـــك أيتـــها الظالمـــه...

* * *

رآكِ فهيـــــأ مجذافَـــــهُ ... وأســـلَمَ زورَقـــه للظّـــلام

يـــثيرُ إذا ســـارَ عـــزم الميـــا ... هِ فتطلـــقُ عـــن جانبيـــه السِّـــهام

طغى الموج وارتدَّ يطـــوي الظـــلال ... فلـــم يُبـــق للعـــين إلا القتـــامْ!

فيا زورقـــاً مـــن ظـــلال تلاشـــى ... بحوريّـــة لـــيس ترعـــى الـــذمام!

أخلفـــتَ ملاحَنـــا وحـــده ... وللموج في الشـــاطئين احتـــدام؟

وحوريـــة النـــهر مـــا خلّفـــت ... ســـوى أغنيـــات تـــثير الغـــرام

يجـــاري اختلاجاتهـــا زورقٌ ... ومـــوجٌ وقلـــبٌ حـــواه الهُيـــام

ونهـــرٌ تمـــازج أمواهـــهُ ... ويحملـــها رغـــوه إذ تنـــام

ونجـــمٌ يعشـــي الـــدجى ضـــوءه ... كنبعٍ على ثغـــره العشـــب نـــامْ

ويقتـــاف آثارهـــا زورق ... وملاّحـــه الشـــارد المســـتهام

يطالعـــه طيـــف حوريّـــةٍ ... من المـــوج يختـــال في الابتســـام

فمِن كلِّ صـــوب ســـرى خالَهـــا ... هناك وإن ســـار ألفـــى الظـــلام

أوَهْمـــاً يـــرى؟ لا. فـــذا صـــوتها ... ينتـــهي فتعيـــد الميـــاه الكـــلام

ولاحـــت لـــه أعـــين مشـــفقاتٌ ... محدّقـــة مـــن وراء الغمـــام

تنـــادي بـــه: ضـــللتك الخطـــوب ... وقادتك نحـــو الـــردى والحمـــام

ولكـــن أذنيـــه لم تســـمعا ... حديث السموات حيث الســـلام!

* * *

جـــرى وهـــو لـــيس لـــه غايـــةٌ ... سوى أن يجذّف حـــتى الصـــباح

ويقفو على المـــاء ضـــوء النجـــوم ... ويصـــرع أشـــجانه بـــالنواح

لقـــد حطـــم الليـــل مجذافـــه ... وهيض الشراع بعصـــف الريـــاح

وقـد أطفـأ المـوج مصـباحه	فصـاح و لم يُجـدِ ذاك الصـياح
تبرّمـتَ يـا ليـل بالبائسـين	فزُلْ واترك الصبح يأسـو الجـراح
ونادى وقـد مـدّ كلتـا يديـه:	لقد حان يا أرض عنـك الـرواح
فيا شاطئاً كـان مـأوى الغريـب	إذا ملَّ طـول السُـرى فاسـتراح
وداعـاً... وداع الشـقيّ الحـزين	يسير إلى المـوت بعـد الكفـاح
ويا زمّـج المـاء خـدن السـفين	سمير الشراع الطـروب الصـداح
كلانـا يحـنُّ إلى تربِـه	فطِـرْ لي فـإني مهـيض الجنـاح
ويـا أنجـم الليـل يـا عـوّدي	إذا القلب في الليل بالـداء طـاح!
إذا مـا خبـا نـوركنَّ الوضـيء	أسـىً وتـألّق نجـم الصـباح!
فحدِّثنـه عـن فـتىً في الـدجى	طـواه العُبـاب وحـبُّ المِـلاح
رأى – ويـح عينيـه – حوريّـة	فجـنَّ بهـا سـاعة ثمّ راح
فقد يُخـبر الـنجم عنـه الرعـاة	فيبكون حزنـاً وتبكـي البطـاح
ومات الشـقيُّ الحـزين فعـادت	تكفّنـه بالشـراع الريـاح!

من أغاني الربيع

حُلُمٌ بآفاق السُّرور   رسمتْه أجنحةُ الطيُّورِ

وبشائرٌ فوقَ الرُّبى   بينَ الخمائلِ، في الصُّدور

ونسائمٌ رقصتْ على   زهر الجنائن والغدير

وفراشةٌ قد روّحتْ   عن زهرة الحقل النضير

تعلو وتهبطُ في الرياض   كأنها نغَمُ الحبور

الفجر يِبني للندى   وَكَناً جميلاً في الزهور

فلنبنِ من قبلاتِنا   للحُبِّ عشاً في الثغور

يبعث الهمَّ لي شحوبُ المساءِ ... ويثيرُ الدفينَ من بُرَحائي..

أخلدت روحي السؤوم إلى الوحدة ... والقلبُ للأسى والعناء

فطلبتُ القفارَ أنسى بها الناسَ ... وأخلو بأدمعي وشقائي

مجلسي في هدوئها قربَ نهرٍ ... عند أقدامِ دوحةٍ لفّاءِ

فرياح الخريفِ تنسلُّ منها ... ورقاتُ الخمائل الفرعاء..

ونعيبُ الغربان يصعد في القفر ... كئيباً مشوّش الأصداء

وسجوفُ الغمام في رحباتِ الأفق ... مخضلةٌ بدمْع ذكاء

وأنين المياهِ يدفعُ بالذكرى ... لقلبي ويستثير دمائي..

سمعته الضِّفافُ فارتجف العشبُ ... ارتجاف الأهداب عند البكاء

وتنهدتُ زافراً فأجابتْ ... زفراتي تنهداتُ الرِعاء

فالربابات رنحتها الأغاني ... ولهاثُ المزمار ملءُ الفضاء

وكأن القطيعَ في خضرة المرج ... غمامٌ في الليلة القمراء..

وقلوبُ الزهور طافت بها الذكرى ... فعادت تفيض بالأنداء

مَن لقلبي الكئيب أيتها الصحراء ... إلا الرمال في الصحراء؟

آه لو تكتمين سري لحدثتكِ ... عن جنةٍ تركتُ ورائي..

عن هوايَ القديم في الريف ... والأحلام والأنس والمنى والرجاء

فالصّبا ضاحكٌ وراعيتي الحسناءُ ... في المرج بانتظار اللقاء..

كــــم لجأنــــا إلى الشــــواطئ نستروح في لذة عطــور الســماء

بنشر الظلّ فوقنــا ســعفُ النخــل ويُلقي الهــدوءَ صــمت المســاء

أقبــل المــوجُ – إذ رآنــا – إلى الساحل يرنو لوجههــا الوضــاء

كم خلونــا إلى الحقــول ضــحى ننصت فيها! إلى همــاس الضــياء

والنهيراتُ مالئاتٌ تــرى الســهل وجيبــاً يشــقُّ صــدر الفضــاء

* * *

لم يعد لي من الهوى غــير ذكــرى هي في مســمعي نشــيدُ الرثــاء!

ذكرياتِ الهــوى، لأنــتِ شــعاعٌ راقصٌ فوق موجــةٍ مــن دمــائي

والعَصْــــــرِ مخضــــوبَ البنــــانِ وأزاهـــــر الحقـــــل الحســـــانِ
والصّـــــبح يمــــلأ بالنـــــدى عطــــراً ســـلال الأقحـــوان
والبـــــدر وهـــــو مظلّــــةٌ لليــــل تمتلـــــكُ افتتــــاني
إن الفـــــؤاد لفـــــي ضـــلالٍ مـــــن هـــــواه وفي هـــــوان
مـــــا داخَـــلَ الحـــبُّ الفـــؤا دَ فعـــــاد بيتـــــاً للأمــــاني..
أو بـــــات في روضٍ وأصـــــبح باسمــــــاً نضــــرَ المجـــــاني
هـــــبط النعـــــيم وســــاكنيه فـــــردّه خلــــو المغـــــاني
ســـل عنـــه أزهـــار الحقـــول علــــى جـــداولها حـــواني
ســــل زهـــــرة التفــــاح ضـــــاحكة الأســـــرَّةِ والمعــــاني..
يـــا زهـــرة التفـــاح ... هـــلاّ تُخـــــبرين عـــــن الجنـــــان!
يــــوم اســــتفزَّ هـــا الهـــوى قلــــبين باتـــــا يخفقـــــان
أروي لنــــــا نبـــــأ (الطريـــــد) فأنــــتِ راويـــــةُ الزمـــــان
أغوتـــــه (حـــــوّاءُ) فمــــــدَّ يديــــــه نحـــــو الأفعـــــوان
ثمـــــرٌ يحرِّمـــــه الإلـــــه عليهمـــــــا... ويحلّـــــــلان
ذاقـــــا فكانـــــا ظــــالمَين فكيــــف يجـــزى الظالمـــان؟
وبــــدا المـــوارى منـــهما فـــــإذا هنالــــك ســـوءتان
وعليهمـــــا طفقـــــا مـــــن الـــــورق المهـــــدَّل يخصـــفان...

يــا بــؤسَ مـــن فضـــحَ الإلـــه		و لم يـــزده ســـوى الهـــوان

لم يعـــرف الـــدوحُ الخريـــفَ		ونـــزعَ أوراقٍ حســـان...

حـــتى نضـــى ورقاتـــه		ألعاشـــقان الآثمـــان

* * *

وردت قصيدة أغنية السلوان في هذا الديون مرتين، ذلك أننا عثرنا على القصيدة في دفترين من دفاتر السياب.

أزهار ذابلة
وقصائد مجهولة
(١٩٤٧)

أزهـــار ذابلـــة

...الديـــوان الأول للشاعر
في طبعة جديدة...

"طبع هذا الديوان في مطبعة الكرنك بالفجالة في القاهرة عـــام ١٩٤٧ و لم يطبع نهائياً بعد ذلك، كما أن قصائده لم تضم إلى الأعمال الشعرية الكاملة التي صدرت للشاعر".

اسمر لبــاب*

السمواتُ، بالسواد المذاب: ضائعاتُ المدى، فيا لاكتئابي
لم تطرْ خلفَ كل نجمٍ شرود نظراتي، وإثر كلّ شهاب..
وتطفْ في السماء، إلا لكي ترسمَ بين الكواكب اسمَ "لباب"
وصلتْ بين كل نجم ونجمٍ بشعاع من الهوى والشباب..
فَهْيَ في روضة من اسم التي تهوى، وفي مدرج وضيء الشعاب
كيف أنساكِ يا لباب وأسلوك وضوء النجوم ليس بخاب
كلما ارتادهنَّ طرفي، تذكرتكِ فاستتبع ادكاري عذابي
وتجرعتُ من سناهن كأساً تنكأ الجرحَ في الفؤاد المصابِ
أين نهر النسيان يا أنجم التذكار يا من يهجن من أوصابي
يبدل القلب ماؤه العذب وردا وشرابا، بمورد وشرابِ

* * *

ملأتْ سمعي باسمكِ العذب يا عذراء شعري، تنهداتُ الرباب...
فاسمك العذبُ كل ما تسمع الروح من الطير هائماً في الروابي
في سُرى كلّ نسمةٍ أو شعاعٍ في لُغى كل جدول منساب
في حفيف النخيل من كلّ روضٍ في اختلاج الشراع فوق العباب

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة في أبو الخصيب بتاريخ ٦ يونيو – حزيران ١٩٤٤.

واسألي السامرين كـم بـتُّ والليـلُ وضـوء السـماء، غـض الأهـاب

لا يعي مسـمعايَ غـيرَ حـروفٍ جمعاهـا فكانـت اسـم لبـاب

أنـا أهـواك لسـتُ أرجـو علـى الحـب ثوابـاً، فـإن حـبي ثـوابي

المحبوبة المدنسة*

أتحبُّ خائنةً وأنتَ الشاعرُ؟ وتود هاويةً وأنتَ الطَائرُ؟

أحببتها وجهلت كلَّ مغيَّب من فعلها، وكذا الغرام العاثرُ

مما يغص القلب في خفقاته، ويرد طرفي وَهْوَ باكٍ حائرُ..

أن التي خفق الفؤاد بحبها عامين، دنسها خليعٌ فاجرُ

أأحبها أسفا وتحتَ ثيابها، من أمسها الدنسِ الوضيع، مقابرُ؟

ونواظر كانتْ نواظرَ للخنا والعارِ، صيغَ لها القصيدُ الطاهرُ

كانت تغضّ من اللذاذةِ بل كفى كم يستطير بك الخيالُ العاهرُ؟

يا من حرمتَ على الهوى تقبيلها حين ارتضيتَ بما يصيبُ الناظرُ

فيم الهوى العذريُّ؟ ويحك إنها كانت وجالب عارِها تتآمرُ..

ورفعتُ للحمأ الدنيء عبادةً علويةً وأنا الذليلُ الصاغرُ

صاغ الخيالُ من الترابِ كواكبا فأفادها ألقاً، سناه الباهرُ

لولا اتباعي للخيالِ وجدتني وأنا – على ما شئتُ منها – قادرُ..

أواه "بيْرُن"[1] أنتَ من عَرَفَ الهوى روحي فداؤك والهوى يا شاعرُ

الحب تقضيه المآربُ والمنى ما أمكنتك من الحبيب مقادرُ

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة في أبو الخصيب بتاريخ ١٩٤٤/٧/٢٠. وقد نشرت في ص ٣٦ من الطبعة الأولى لديوان "أزهار ذابلة"، وكتب الشاعر هامشا يقول: "المعينة هنا، لم يرد ذكرها في غير هذا الموضع، من هذا الديوان".

[1] لورد بايرن – الشاعر الإنكليزي الشهير، ما اتصل بحسناء إلا قضى وطره منها، ونبذها بعيدا عن أجواء هواه – الهامش للشاعر.

لا أن تُحَـــرِّقَ لوعـــةً وصـــبابة   وتذيبَ قلبك وهو غــضٌّ زاهـــرُ..

شغفاً بغادرةٍ ســـواكَ ينـــالُ مـــن   ثمراتها مـــا بِـــتَّ عنـــه تـــزاور..

كم تخـــدعُ الشـــعراء روحانيـــةٌ   ألوهمُ حـــاكَ حجابهـــا والخـــاطرُ

ما في رحاب الأرض من حوريـــةٍ   أو في مـــداها الطلـــق روحٌ طـــاهرُ

يـا هـواي البكـــر*

يا هواي البكـــر، دنيـــا ذكريـــاتي
كلُّهـــا، غابـــت وراء البســـماتِ

يا هـــواي البكـــر، قـــد أنسيتَني
ما تـــولى مـــن غـــرام الناســـياتِ

يـــا ربيـــعَ العمـــرِ، يـــا إشـــراقةً
في شـــبابي، يـــا حيـــاةً في حيـــاتي

يا دماً غذّى دمـــي، يـــا فرحـــةً
مزقتْ ثوبَ البلـــى عـــن فرحـــاتي

أنـــتَ جَمَّعْـــتَ المـــنى في ســـاعة
أفتـــديها بالســـنين الماضـــياتِ

كنتُ قبـــل اليـــوم ظـــلاً ضـــائعاً
خافيَ التطوافِ، محجوبَ الســـماتِ

باسطاً من هـــوةِ الماضـــي يـــدي
صارخاً، والبعدُ يـــوهي صـــرخاتي

كنت.. ماذا كنت؟ قـــبراً جائعـــاً
زادُه شـــعري ودامـــي أغنيـــاتي

كنت.. ماذا كنت؟ نـــاراً عيشـــها
ميتـــة، يغتـــالُ نـــوري جـــذواتي!

يا غرامي، يا سنى فـــضَّ الـــدجى
يا خريراً طافَ في صـــمتِ الفـــلاةِ

أنـــت جمعـــتَ المـــنى في ســـاعة
أفتـــديها بالســـنين الماضـــياتِ

هـــذه عـــذراءُ شـــعري، هـــذه
أختُ روحي هـــذه كـــلُّ حيـــاتي

كيف أضحتْ وهي قربي؟ من طوى
شـــقةً أعـــيىَ مـــداها خطـــواتي؟

الروابي، والصـــحارى، والضـــحى
والنخيلُ الشـــمُّ، والغيـــدُ اللـــواتي

والعيونُ الحـــورُ.. غابـــتْ كلـــها
عـــن عيـــونٍ بالأمـــاني مترعـــاتِ

لا تـــرى عينـــاي، ممـــا حفـــني
غـــيرَ أضـــواءِ ابتســـامٍ والتفـــاتِ

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة في بغداد بتاريخ ١١/١٢/١٩٤٥.

أيّ صوتٍ نثّ سحراً في دمي ... شاعريّ اللحن، غضّ النبراتِ!

"هات لي شعراً" فؤادي كلُّه ... صار أنغاماً عذاباً ساحرات

كلُّ جرح في فؤادي شاعرٌ، ... صادحُ القيثارِ، مسحور اللهاة

الأغاريدُ التي رتلتُهَا ... والخيالاتُ التي في أغنياتي

والسهولُ الفيحُ، والريحُ الذي ... هزَّ روحي، والحسانُ الملهمات

تفتدي غمازَتَيْنِ[1] انداحَتَا ... فوق خدين استثارا حسراتي

زينتْ غمازتاكِ الملتقى ... لابتساماتِ الهوى بعد الشتاتِ

شعَّ. فوق الثغرِ منها كوكبٌ ... مرجحنُّ اللمحِ، محمرُّ الشياتِ

وانتحى عينيكِ من تيارها ... مستفيضَ السيلِ، جمّ الدفقاتِ

حين ضاقَ الثغرُ عن إشراقةٍ ... صبَّها فوق العيونِ الساحراتِ

أترعَ العينين حتى فاضتا ... بابتسامِ الحبٌ فوق الوجناتِ

يا يداً مرَّت كما رفَّ الندى ... فوق أزهارِ المصيفِ الظامئاتِ

قَلَّبتْ ديوانَ شعري، صفحةً ... بعد أخرى، وهْوَ دنيا ذكرياتي

أيُّ جرحٍ ساكنٍ حركتِه ... أيُّ قيثارٍ، نؤوم النغماتِ؟!

يا شفاها رفَّ شعري بينها ... راقصاً في موكبٍ من همساتِ

أنتِ جمعتِ المنى في ساعةٍ ... أفتديها بالسنين الماضياتِ

ذاك يومٌ غابَ عمري بعده ... في دياجير البعادِ العابساتِ

عدتُ.. ماذا عدتُ؟ قبراً جائعاً ... زَادُهُ شعري ودامي أغنياتي

عدتُ.. ماذا عدتُ؟ ناراً عيشها ... ميتةٌ، يغتالُ نوري جذواتي

---

[1] الغمازة: نقرة في الخد من دلائل الجمال، (رصعة) – الهامش للشاعر.

كلما غابَ الهوى عـــن خـــاطري		عاد محفوفَ السُـــرى بالـــذكرياتِ
.. راقصات الخطو، في مصـــباحها		شـــعلةٌ يوقِـــدُها مـــن خـــاطراتي
شعلةٌ طافـــتْ بثغـــري فـــاختفى		ضوؤها تحتَ الـــدموعِ الســـاكباتِ

لـــو أراهـــا*

لـــــو أراهـــــا، فارقـــتْ قلـــبي إليهـــا أغنيـــاتي
وارتمـــتْ مـــا بـــينَ نهـــديها نشـــاوَى راقصـــات
لـــــو أراهـــــا.. آه لـــو أدركـــتُ يومـــاً أمنيـــاتي..
ماتـــت الشـــكوى علـــى ثغـــرٍ تمـــادَى في الشـــكاةِ!

* * *

لـــو أراهـــا.. كيـــف إقبـــالي عليهـــا لـــو أراهـــا؟
هـــل تـــراني أســـتطيع الســـير.. إن حثـــت خطاهـــا؟
أم ســـيطغَى ذلـــك الوجـــدُ الـــذي غشّـــى حيـــاتي
كـــي يحيـــل الخطـــو – يـــوم الملتقـــى – آهـــاً فآهـــا؟

* * *

أيُّ غـــابٍ ســـاهمِ الأفيـــاء بســـام النخيـــل
نـــائمٍ في الضـــفّةِ الســـكرَى علـــى حلـــمٍ جميـــل
يجمـــع القلـــبين يـــوم الملتقـــى بعـــد الشـــتات
في ضـــحىً زانتـــه ربَّـــاتُ الهـــوى أو في أصـــيل؟

* * *

أيُّ دربٍ عطـــــرْت أنفاسَـــــه ريـــــح الشـــــتاء؟
عـــجَّ بـــالنجوى.. بآهـــات العـــذارى.. بالغنـــاءِ

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة في بغداد بتاريخ ١٩٤٥/١٢/٢٨.

بابتســـــامات الأحبـــــاء، بشــــوق العاشـــــقات
ألتقيهـــــا فيـــــه مـــــن بعـــــد التجـــــافي والتنـــــائي

* * *

أيُّ مغـــــنى شـــــاعَ في أنســـــامِه عطـــــرُ العـــــذارى؟
أيّ روضٍ شـــــاحبِ الســـــاحاتِ ســـــاجٍ كالصـــــحارى؟
أيّ ليـــــلٍ واجـــــمِ الأفـــــلاك، مســـــودٌ الشـــــياتِ
تُســـــعِدُ اللقيـــــا بـــــه قلبـــــاً جموحـــــاً مســـــتطارا

* * *

لـــــو أراهـــــا.. ليتـــــها يومـــــاً تمنَّـــــتْ لـــــو تـــــراني..
ليتـــــها تشـــــتاقُ بعـــــضَ الشـــــوقِ.. يـــــا ويـــــح الأمـــــاني!
أيُّ جـــــدوى في أمانيـــــكَ العـــــذابِ الباسمـــــاتِ؟
كلمـــــا أشـــــرقنَ غـــــاضَ النـــــورُ عـــــني واجتـــــواني

* * *

نبئـــــيني يـــــا سمـــــاءَ الغيـــــب أنبـــــاءً عِـــــذابا
أســـــد لي — مـــــن بعـــــدها — مـــــن دون عـــــينيّ الحجابـــــا:
أيّ يـــــوم تجتلـــــي مـــــن ليلِـــــكِ الـــــداجي حيـــــاتي؟
علّـــــني أدري: أمـــــا أفنيـــــت بـــــالغمِّ الشـــــبابا؟

* * *

حســـــبُ روحـــــي "صـــــورةٌ" إن هـــــزني شـــــوقٌ أراهـــــا
نَضَّـــــرتها زهـــــرةٌ قـــــد نضّـــــرتها وجنتاهـــــا..
وابتســـــاماتُ وألحـــــاظٌ تُســـــاقي ذكريـــــاتي
خمـــــرةً يُفْـــــدَى بآمـــــالِ التلاقـــــي ســـــاقياها!!

السائلة السوداء*

ليتَ الخليّ ومنه شكواكِ | أصماه خطبُكِ حين أصماكِ
سوداءُ ويحكِ أيُّ فاجعةٍ | سوداءَ تكمنُ تحت مرآكِ!
يا من تَهضَّمها، على كبر، | فقر يكرُّ بقلب سفَّاكِ
فلواتُ (أفريقية) انتفضتْ | لما تَردَّدَ صوتُكِ الباكي
جُنَّتْ مغاورُها لمَا سمعتْ | وهفتْ حمائلها للقياكِ
وبكلِّ منعطفٍ بكى أثرٌ | قد أرضعتْه العيشَ رجلاكِ
فعلى الغديرِ غشاوةٌ عبثتْ | بالموجِ فهو مفجَّعٌ شاكِ
وعلى الأزاهر هجعةٌ ودمٌ | ساجٍ تَطَلَّعُ منه عيناكِ
والغاب هزَّ جناحَ طائره | جرحٌ تمرّ عليه كفّاكِ
وجرتْ دموعك في دجى هرمٍ | واهي السماء، بناه خدّاكِ

* * *

يا من تمدُّ يداً لمنْ عَبَرا | وتظلُّ تتبعُ شخصَه النظرا
يا من تعد خطىً تمر بها | شتّى تزعزع صبر من صبرا
ما بينَ لاهيةٍ، مرنحةٍ | من فرحة، جلبتْ لها الكدرا
وبطيئةٍ كسلى، يُنقّلها | واهي الفؤاد يعاتبُ القدرا
ما بينَ عاجلةٍ إذا اقتربتْ | منها تسلَّلَ ربُّها حذرا

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة في بغداد عام ١٩٤٥ دون أن يحدد اليوم والشهر اللذين كتبت فيهما.

وشجية وقفتْ بجانبها ... لتنالَ من وقفاتها ثمرا
يا قصةً دميتْ ومرَّ بها ... قلبُ الغنيِّ ضحّى فما شعرا
حركتِ خافقَ شاعرٍ حنقٍ ... فمضت يبث الشعر مستعرا
وأقامها حرباً مضرجةً ... تُصمي القساه وتفلقُ الحجرا
وتهزُّ بابَ القصرِ صارخةً ... هوجاءَ تقذف حولها الشررا

* * *

بالأمسِ كنتِ ضحيةَ الرقّ ... واليومَ أنتِ ضحيةُ العتقِ
الرقُّ زالَ فأنتِ مُطْلَقَةٌ ... في عالمٍ متهلّلِ الأفْقِ
السيدُ القاسي غدا حُلُماً ... والقيدُ لانَ لقبضةِ الحقِّ
وشقيتِ أنتِ، فأيّ فاجعة ... صَدَعتْ فؤادَكِ يا ابنةَ الشرق؟
يا من عريتِ وأنتِ خالعةٌ ... عن منكبيكِ مطارفَ الرقِّ
يا من ظمئتِ وأنتِ عائفةٌ ... كأسَ العبيدِ وذُلَّ ما تسقي
يا من سغبتِ وأنتِ تاركةٌ ... زادَ الأسيرِ بغيرِ ما شوق
الرقُّ فجَّر راحتيكِ دماً ... يغلي، وصاحَ تناولي رزقي
والعتقُ مهلكةٌ، معالمها ... سودٌ، تعجُّ بكاً ما يُشقي
غِلاّنِ مضطرمانِ ما اختلفا ... يغريهما بكِ ألأمُ الخَلْقِ

* * *

يا من رأيتُ بحالها حالي ... ورثيتُها فرثيتُ آمالي
إنّا لمثلكِ في مواطننا ... نشقَى وينعمُ كلُّ محتالِ
نحن العبيد تبيعُنا أممٌ ... غشمى، بمالٍ خابَ من مالِ
شرقٌ يبيع لمغرب جشع ... خالي الجوانح، فارغ البالِ
ومتوَّجانِ تهاديا دررا ... غواصُهُنَّ دفينُ أسمالِ

وَلّى شبابُكِ ما انتفعتِ به | وذوى ربيعُ شبابنا الحالي
ما بينَ مغتصبٍ يجرِّعُنَا | كأسَ الهوان وقلبُه خالي
وأخي ثراءٍ لا تحركه | حسراتُ زراعٍ وعمالِ
لولاهما لأمنتِ مسغبةً | نخشى، وبتِّ بخير ما حالِ
لولاهما لخلا ثرى وطني | من كادحينَ سدىً، وسوّالِ

بعد اللقاء*

يا حُبُّ.. ما بالي سئمت الحياة؟ ... وما لأنفاسي أراها تضيق؟
ما للعيون الحور.. ما للشفاه ... ظلماءُ ما فيه سنىً أو بريق؟

* * *

ما للغرام العفِّ، ما للفجور.. ... لا يرضيان الشاعر المستهام؟
أين الهوى؟ مات الهوى والشعور ... والقلب؟ أين القلب؟ ذاك الحطام

* * *

يا شعر.. ما بالي سئمت الغناء ... والكون حولي منصت يسمعُ
غنيت حتى ضاق صدر الهواء ... فما لصوتٍ عنده مطمعُ

* * *

غنيت حتى مسَّ قلبَ الحبيب ... شدوي، وحتى ثار فيه الهوى
أغفى فلما هجتُ فيه الوجيب ... أمسى لغيري واحتملتُ النوى

* * *

يا عمر.. والعشرون تقفو خطاي ... كالليل سوداءَ الخطى والثياب
هل هُنَّ لي وحدي؟ أما من سواي ... ماشٍ، كأن الريح خلف السحاب؟

* * *

يا عمر.. مالي مطمع بالسنين ... حسبي ثلاث بعد ذاك العذاب

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة في بغداد بتاريخ ١٩٤٦/١/٥.

في الريف أقضيهن حتى يحين ... يومي، فيؤويني إليه التراب
مأواي كوخ من جذوع النخيل ... في غابةٍ لفّاءَ بين التلال
أدعو إليه الصحب بعد الأصيل ... والليلِ، ما إن يعترينا ملال

* * *

يأتي عليَّ الصيفُ بعد الربيع ... والزهرُ بعد العاصف الزمهرير
والنكبةُ الهوجاءُ لا تستطيع ... إطفاء مصباحَ الشباب النضير

* * *

يا شعر.. أنت العمر.. أنت الحياه ... والحب، ليس الحب شيئاً سواك
فإنْ سمعت القلب يوماً دعاه ... فاعطف على قلب كئيب دعاك

* * *

يا قلب. بالأمس اشتهيتَ اللقاء ... واليوم كان الملتقى، كيف كان؟
واحسرتا، فيم الأسى والبكاء ... يا من بلغتَ الأمنياتِ الحسان؟

* * *

هاتان عيناها، يكاد الحنين ... يذكي سراجيه بتلك العيون
الدهر ينسى فيهما كل حين ... أعوامه الجذلى وبعض القرون

* * *

إن شاءتا أن تمنحاك الربيع ... فينانَ يندى، في ليالي الشتاء
عاد الهزيع. الجون بعد الهزيع ... روضاً تحليه الزهور الوضاء

* * *

النظرة العجلى شهور طوال.. ... يحظى بها عمر المحب السعيد
والنظرة المكسال عند الوصال ... عام، يكر العام وهو الجديد
ما بال قلبي أثقلته الجراح؟ ... والأرض من تحتيَ أراها تميد؟

بَلْ ما لطرفي؟ أسبلته الرياح؟ أم غاص في غور الفؤاد البعيد؟

* * *

هذي يدي تنسل نحو النسيم من غير علمي، لا ملكتُ اليدا

وذاك ثغري عاد طيفا يهيم.. بين ابتساماتٍ طواها الردى

* * *

هذا هواي البكر: عَبْرَ الطريق يدنو.. فيزداد اللظى والغرام

ما بال صدري باشتياقي يضيق؟ وما لروحي تلتظي بالأوام؟

* * *

يا ليت أقدامي تشق الثرى عن قبريَ الداجي فلا أنظرُ

واحسرتا.. ما بالها لا ترى؟ يا خيبةَ اللقيا.. أما تبصرُ؟

* * *

أين التحايا؟ أين أين السلام؟ يا ضيعةَ الآهات... أين اللقاء؟

أواه... مالي لا أطيق الكلام مالي... وأنفاسي تهز الهواء؟

* * *

يا نظرة الأنثى علام البرود؟ فيم ازدراء العاشق الخائرِ؟

يا ثغرها الألاقَ.. فيم الصدود يا من رَوَى أغنيَّةَ الشاعرِ؟

* * *

يا للشفاه الصامتات، العِذَاب يغفو عليهن الكلامُ المرير

كالكأسِ دفاقاً بمُرِّ الشراب مازته قبل الشرب عينُ الخبير

* * *

بيني وبين الحب قفرٌ بعيد من نعمةِ المالِ وجاهِ الأبِ

يا آهتي كُفّي.. ومتْ يا نشيد شتَّان بين الطينِ والكوكبِ

في يوم عابس*

الـــــريح تجـــــأرُ بالشــــكاة إلى الجـــــداول والنخيــــل

والسُـــحْبُ واهيـــة النقـــاب، تحـــفُّ بالصـــحو القتيـــل

تُلقي علـــى الغـــاب الكئيـــب، عبوســـةَ الضـــجر الملـــول

والشـــمس كالأمـــل البعيـــد يـــذوب في الشـــجن الهزيـــل

أو كـــالغرام يغيـــب خلـــفَ حـــوادثِ الـــدهر الثقيـــل

أو كالحيـــاة تغـــورُ بـــين دمـــوعٍ ذي ســـقم، عليـــل

كالبـــدر يكســـفه النـــهار، كنجمـــةٍ عنـــد الأفـــول

* * *

ضـــاقت بيَ الـــدنيا، وضـــقتُ بهـــا.. كـــأني في رحيـــل..

في وهـــدةٍ قفـــراءَ بُـــحَّ بجوهـــا صـــوتُ الـــدليل

لا شـــيءَ لي، ممـــا تنـــاثر تحـــت عـــيني، في ســـبيلي

لا عاصـــفاتُ الـــريح، لا جـــردُ الأبـــاطح والســـهول

لا ظلمـــةُ الليـــلِ البعيـــدِ الغـــورِ، لا ســـحرُ الأصـــيل

لا نغْمَـــة الحـــادي تطـــير بهـــا شـــجيات الهـــديل

حـــتى الســـراب زواه عـــن عـــينيَّ ريـــان الغليـــل

فظللـــت، لا أمـــلٌ يســـامرني علـــى الـــدرب الطويـــل

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة في أبو الخصيب بتاريخ ١٩٤٦/١/٣١. وقد وردت – أولا – ضمن إحدى رسائل بدر إلى صديقه الشاعر خالد الشوف (راجع ص ٣٤ من رسائل السياب – جمع وتقديم ماجد صالح).

فيضـــيء ســـاعاتي... ولا ذكـــرى مـــن الأمـــس الجميـــل

* * *

ربـــاه والعشـــرون مـــن عمـــري تســـير إلى الـــذبول

ســـوداً، مكفنـــة الأهلـــة بالتنهـــد والعويـــل

كانـــت تمـــر جريحـــة الأيـــام، رعنـــاء الخيـــول

ظلمـــاء مطفـــأة الســـراج، كأنهـــا بعـــض الطلـــول...

كانـــت تمـــرُّ علـــى الجـــراح الســـود في القلـــب العليـــل

فـــالجرح يهـــوي فـــوق جـــرحٍ والقتيـــلُ علـــى قتيـــل

والنـــار تصـــلى حَـــرَّ نـــارٍ غـــير مطفـــأة الغليـــل

مـــاذا جنيـــتُ مـــن الزمـــان ســـوى الكآبـــة والنحـــول؟

أو أرقب الليـــلَ الطويـــلَ يـــذوب في الصـــبح الطويـــل..!

وأتـــابع الشـــمسَ المرنحـــةَ الشـــعاعِ. إلى الأفـــول..!

وأشـــيِّعُ البـــدرَ الســـؤوم يغيـــب مـــا بـــين النخيـــل..!

لا مأمـــلٌ لي بـــالكثير ولا رجـــاء بالقليـــل!؟؟

وأعـــد أيـــامي لأســـلِمَها إلى الهـــم الثقيـــل..؟

وأعـــيش محـــرومَ الفـــؤاد مـــن الهـــوى عـــيشَ الـــذليل؟

وأسَـــرِّحُ الطـــرف الكئيـــب مـــن الـــتلال إلى الســـهول..

لأصَـــعِّدَ الآهـــاتِ داميـــةً وأمعـــنُ في عـــويلي؟!

ضـــاقت بي الـــدنيا وضـــقت بهـــا، كـــأني في رحيـــل..

في وهـــدةٍ قفـــراءَ بـــح بجوهـــا صـــوت الـــذليل

زهرة ذاوية*

تحبين عند انتهاء الربيع   وتذوينَ يوم احتضار الشتاء
كحب أتى بعد حين الشباب   زواه الردى عن بلوغ الرجاء
كعذراءَ.. ما زال يشكو هواه   إليها، فتىً جرعته الجفاء..
فلما سلاها وكان الفراق   رمى قلبَها الحبُّ.. يا للشقاء
أتذوينَ؟ ما ظلّ دون الربيع   ومغداه، إلا نجوم المساء..
تمنيتُ يا أختُ لو تمسكين   إلى مطلعِ الفجرِ، هذا الذماء..

* * *

تفردتِ كالشاعر المستهام   إذا راح طَلْقَ الخطى في العراء
يجوب الصحارى صداه الرخيمُ   فيهفو على الرمل صدرُ السماء
تلفت والغابُ قفر الجهاتِ،   كئيباً يغني لحونَ الرثاء..
توافيكِ غربانُه بالنعيب   وتأتيك أغصانُه بالبكاء..
إذا جالَ في جانبيه الأصيل   بَرُودَ الخطى، عاصفيَّ الجواء
وأبصرت أوراقَه الذاوياتِ   أباديدَ يُثقلنَ ركبَ الهواء
تذكرت بالشوق عهدَ الخريف   كما يذكرُ المبعدونَ اللقاء
لأشبهتِ آماليَ الظامئاتِ   إلى رشفةٍ من رحيق البقاء
تفتحنَ بعد ابتعاد الحبيب   وصوّحْنَ، واحسرتا، حين جاء

---

* لم يؤرخ الشاعر قصيدته جريا على عادته، ولكنني تعرفت على تاريخ كتابتها في "رسائل السياب"، وهذه القصيدة مؤرخة في الرسالة بتاريخ ١٩٤٦/٢/٧ (راجع ص ٣٧ من رسائل السياب).

نشيـد اللقـاء

كان لي عند النوى ثارٌ، وقد أدركت ثاري
وانجلى ليلُ الشتاءِ الجونِ، عن نورٍ ونار..
أسكرتني ساعةُ اللقيا على غير انتظار
يا لوعدٍ صاغه المُرّانِ: شوقي واصطباري
واحتواه الصمت، مخفّي السرى دون الحوار
فَهْوَ ما لم يطوه اللفظ فيلقى في إسار..
وهو فوق الناس، والتاريخ، والحين المعار

ذلك الشهرُ الذي أفنيتُه ساعاً فساعا
في ديار الحبِّ، لا يرضى لنا الدهر اجتماعا..
خِلْتُه ولى سدى من عمري الداجي. وضاعا

كتب الشاعر هذه القصيدة في بغداد بتاريخ ١٩٤٦/٤/٧. وقد أشار بدر إلى هذه القصيدة في إحدى رسائله إلى خالد الشواف، وهي رسالة موجهة من أبو الخصيب بتاريخ ١٩٤٦/٤/٢٠ (راجع رسائل السياب – ص ٣٩)، حيث يقول بدر الخالد: "إن حادثا قاسيا خانقا، بغض اليْ كتابة الرسائل حتى إلى أعز الناس لديْ، وأقربهم إليّ.. لا شك في ك تذكر اللقاء.. لقائي.. والهوى البكر، وتنكر ما قالته لي.. "وافني بكل ما تكتب من الشعر.. عن طريق الآنسة فلانة".. أكملت "نشيد اللقاء" حتى بلغ عداد أبياته التسعة عشر بعد المائة، وانصرفت إلى نقله في كراس صغير، أنيق، زرقته، وجملته جهود يومين طويلين، وأرسلته إلى الآنسة فلانة.. راجيا إياها إرساله إلى المعبودة وأن تسرع (فتنبأني) فتنبئني عما تركه نشيدي، في نفسها، من أثر. ومرت الأيام الثقيلة، والأسابيع الطويلة دون رجع جواب.. لا من الآنسة ولا من الحسناء، التي أخبرتما بعنواني في آخر صفحة من صفحات الكراس المنكود". والمعبودة التي يقصدها بدر هنا في لمعان كما سبق أن أشرت، وسيجد القارئ أن الشاعر لم يحذف شيئا من أبيات قصيدته، فالنص الذي ننشره هنا نقلا عن الطبعة الأولى تبلغ أبياته ١١٩ بيتا كما ذكر بدر في رسالته.

كيـف حـالي، في غـدٍ، إن قـال أصـحابي وداعـا!.؟
كيـف حـالي يـوم لي لا قلـب، إذا نـادى، مطاعـا؟
حـين ألقـي طـرفيَ السـهرانَ، مـا بـين القفـار..
في سـكون الليـل، لا يـدري، بمـا ألقـاه، دار

الـدجى، والصـفحةُ الرقطـاء، والصـمتُ الرهيـب
والرمـالُ السـودُ، والنـهر المغشـى، والكثيـب
أغنيـاتٌ تبعـثُ الشـكوى، صـداهُنَّ الوجيـب!
لَهْـفَ روحـي، يـوم يخفـيني، عـن النـاس الجنـوب!
أيـن..، أيـن القريـةُ السـجواءُ والشـطُّ الرحيـب
مـن هـوى للـروحِ، في "بغـداد" مشـبوبِ الأوار؟
أنـت داري، أنـتِ يـا بغـداد، لـيس الريـف داري

آه لـولا ملتقـىً مـن غـير ميعـاد أتانـا...
ضـمَّ روحـين، علـى طهـر الهـوى فاضَـا حنانـا
كيف كـان الشـوقُ، لـولا الملتقـى؟ بـل كيـف كانـا؟
كيف؟ لا.. قـد كنـتُ جـمَّ الشـوقِ وحـدي لا كلانـا
ليـت تلـك السـاعة العـذراء تجتـاحُ الزمانـا...
لا ظـلامُ الليـل يثنيهـا، ولا ضـوءُ النـهار...
ليـت أني أوقـفُ الـدنيا عليهـا في المـدار!

هـا هنـا دارُ الهـوى، يـا عـينُ، في هـذي الرحـاب

هـا هنا سال الدم الجاري من القلب المذاب

في الأزاهيرِ، على العشب المندَّى، في التراب

فانفضي أرجاءَها القصوى، وهزِّي كلَّ باب

وامزجي دمعي وأنفاسي على عطر الجواب

بالندَى، بالنسمة السكرى، بأنغام الهزار

بالربيع الطلق، بالأفق الموشَّى باصفرار!!

أيها الظمآنُ، يا طرفي، أأبصرتَ الغديرا؟

ذَوَّبَ الأنسامَ، في أمواجه النشوى، هديرا

والظلالَ الفيحَ، في أغواره، يسطعنَ نورا

والزهورَ الغينَ، بالأنداء يحرقنَ العبيرا

لو سقى – والعاصفاتُ الهوجُ يوقدنَ الهجيرا

في رمال الوهدةِ القفراءِ، ساحاتِ القفار

بث في أرجائها، أيار فواحَ العرار..

ما أرى؟ وافرحتا!! هذا هواي البكر لاحـ..

أيها القلبُ الذي لم يعشق الغيدَ المِلاحا

أو ينثَّ الشعر عبَّاقَ الشذى، إلا مزاحا

يا فراشاً كان يرتاد الخزامى والأقاحا..

هذه النار التي تهوَى، فلا تطوِ الجناحا

دون أن يرتدَّ في ذاك اللظى بعضُ الغبار

واهيـــاً، تلـــهو بـــه ريـــحُ الصَـــبَا بـــين الصـــحاري..

يـــا بنانـــاً طـــاهراً يمتـــدُّ نحـــوي بالســـلام..
نـــابضَ الهـــزاتِ بالشـــوق المخفَّـــى.. والغـــرام
ليـــتني أبقيـــك في كفِّـــي ســـاعا كـــلَّ عـــام!
عنـــد ذاك الجـــدول الســـاجي.. بعيـــداً في الظـــلام
ليـــتني ... حســـبي مُـــنىً يـــا قلـــبُ، مـــا تطفـــي أوامـــي
أمنيـــاتٌ جامحـــاتٌ الشـــأو، رعنـــاءُ الســـفار!
هـــذه البيـــداءُ لا يســـخو حصـــاها بالثمـــار!

يـــا شـــفاهاً عطـــرتْ بالبســـمة الريَّـــى ســـؤالا...
والأناشـــيدَ اللـــواتي فِضْـــنَ شـــوقاً وابتـــهالا
والمقـــاديرَ الـــتي لم تـــرضَ لي إلا ارتحـــالا..
وابتعـــادا عنـــكِ والـــدنيا، إلى شـــر الـــديار
آه لـــو تـــدرينَ مـــا حـــالي على بُعْـــدِ المـــزار..

رُبَّ غـــابٍ كبلـــتْ أنســـامَه شُـــمُّ الـــتلال..
في ربـــوعِ الريـــفِ، مكتـــوم الضـــحى بـــين الظـــلال
شـــاحب الأيـــامِ والســـاعاتِ، مهـــدوم الـــدوالي
إن طـــواني في غـــدٍ، يـــا ســـوءَ مـــا يـــوحي خيـــالي!
رنَّ في أنحائـــه صـــوتٌ ينـــادي كيـــف حـــالي
عـــن يمـــيني هـــبَّ، مـــن خلفـــي تنـــاهى، عـــن يســـاري

مــن فــروع الدوحــة اللفّــاء، مــن كــلّ انحــدار..

حــظٌ شــعري، عنــدك، الإيثــار والحــبُّ الجديــد
والنــوى، والصــدُّ والنســيانُ، حظّــي والجحــود
ويــحَ قلــبي كلمــا وافــاكِ لحــنٌ أو نشــيد...
نــالَ منــكِ الســهَدَ والآهــاتِ، شــاديهِ البعيــد
إنّ شــرَّ الظلــمِ أنْ تَنْــدَى مــن اللــثم الــورود..
والغصــون الواهبــاتِ الــورد تَصْــلَى حَــرَّ نــار!!.
لهــفَ روحــي.. كيــف تَلْقَــيْنَ انتحــابي بــافترار

أتــركيني أُغــرق الــدنيا بنبــعِ الــذكريات
ناســياً عــينيَّ في تلــك العيــون الناعســات
آه لــو هدهــدتُها، قبْــلَ الكــرى، بــالقبلات
آه لــو ذوبــتُ في آبادِهــا الســكرى حيــاتي
بــين أحقــابِ نــديات عِــذَاب الأمســيات
غانيــاتٍ فــوق شــطآن تقيــات البحــار..
شــاعَ في أرجــائهن الصــمتُ شــفافَ الســتار..

اللقــاءُ البكــر لا أنســاه مــا عــاد الخريــف!!
الضــحى، والســفرةُ المطــرابُ، والصــحو الشــفيف
والتفاتــاتٌ يحييهــا، مــن القلــب، الرفيــف...
حبَّــذا لــو طــال بالــدنيا علــيهن الوقــوف!

أيـــن أنغـــام علـــى العشـــاق بالـــذكرى تطـــوف؟
صـــوتُكِ المغنـــاجُ روَّاهُـــنَّ بالوجـــد المثـــار؟
أيـــن نهـــر في خفـــاء الغـــاب منســـيُّ المجـــاري؟

ذلـــك النـــهر الـــذي أدنيـــتِ مـــني وَهْـــوَ نـــاء..
لاحَ لي ينثـــالُ، عـــذبا، مـــن ينـــابيعِ الغنـــاء!
لجَّ في الأبعـــاد، منســـابا إلى غـــير انتـــهاء..
والضـــفاف الغـــين تطـــويهن آهـــاتُ الرعـــاء..
كيـــف حـــالي؟ ســـاءَ – لـــو لم تســـأليني أنـــتِ – حـــالا
ســـائلي عينيـــكِ، والتـــذكارَ عنِّـــي، والخيـــالا
عـــابراتٍ، في ســـكون الـــريح، آمـــادَ الفضـــاءِ
حبـــذا نهـــر، بـــه غنيـــتِ، يهتـــاج ادكـــاري!
يـــا "ســـواني" آه لـــو أنـــا جُمِعْنَـــا في جـــوار..

إن ســـجا ليـــل، وأغفـــى في ذراع الـــريح غـــاب..
وارتمـــى، في هالـــةِ البـــدر الموشـــاةِ، شـــهاب
خابيـــاً يفـــنى.. كمـــا يفـــنى علـــى المـــاء الحبـــاب
مثـــل مصـــباحٍ وراء الشـــط غشَّـــاه الضـــباب
شـــعَّ وهـــو الفضـــة البيضـــاء في المجـــرى تـــذاب
واختفـــى يُلقـــي عليـــه البـــدرُ أثـــوابَ النضـــار
هـــاج لي شـــوقاً إلى واديـــك دفـــاقَ المجـــاري

تلــــك. تلــــك الضـــــفةُ الخضـــــراءُ.. هـــــا إني أراهـــــا!
نضــــــرتْها ليلــــــةٌ قمــــــراءُ، رفــــــافٌ ســــــناها..
والنجـــــوم البــــيض، في الأمـــــواج ذوَّبـــــنَ الشــــفاها
مالئــــــاتٍ غـــــورك المســــــحورَ آهـــــا، ثم.. آهـــــا..
خاتمـــــاتٍ منـــــه منســــياً وراء المـــــوج تاهـــــا!.!.
ليـــــت أني كنـــــتُ في ســــاحاتِه بعــــض الحجــــار!!.
في ربـــــاك الفـــــيح مـــــيلادي وفي الســـــهلِ احتضــــاري

يـــــا حيــــاتي كلُّهـــــا، يـــــا شـــــقوةَ الــــروحِ المهـــــان..
إن طـــــواني عنـــــك، دون النــــاسِ، أحــــداثُ الزمــــان
فــــاجعليني – كلّمـــــا رجَّعْـــــتِ لحنـــــاً في "ســـــواني" –
نَغْمـــــةً، خفاقـــــةً، تفـــــنى علـــــى صـــــدر البيـــــان!
أسمعـــــيني صـــــوتَكِ المطـــــرابَ، تنثـــــالُ الأمـــــاني
منــــه في قلـــــبي، إذا غنيــــــتُ في يــــــوم انتصــــاري:
كــــان لي عنـــد النـــوى ثــــار وقـــد أدركـــت ثـــاري!

حب يموت

اليومَ.. بين مَصَارع الزَهَر — والصبحُ يطفئُ جانبَ القمرِ
حبي يموت .. وأنتِ لاهية — لم يدْرِ سمعُكِ ضجةَ الخبر
الكوخة القفراء عن كثب — تلقي كآبتها على النهر..
والدوحةُ اللفّاءُ، رنّحَهَا — أن الربيع يهمُّ بالسفر
والجدولُ المحزون قد سرقتْ — منه التألقَ، ظلّة الشجر
فكأنَّ هذا الكونَ صنعُ يدي — ذوبتُ في جنباته عمري!!
اليوم أُوهِنُ كلَّ خاطرةٍ — تجلو هواكِ، وكلَّ مدكر
واليوم أكفرُ باللقاءِ وما — صبَّ اللقاءُ عليَّ من فِكَر..
واليوم أُطلِقُ من منابعه — ماضيَّ.. بين مخالب القدر
حتى يضلَّ بكل قاحلةٍ — تاه الزمان بها بلا أثر
نسيَ السراب زمانَ مولده — فيها وماتَ تنقلُ البصرِ
بين الصلالِ يضيع أوله — ويجفُّ آخره على الحجر

واليوم بين توهجِ السحب — وخبوِّهنَّ، وضيعةِ اللهب..
وتموجِ الأنغامِ في أفقٍ — ذاب الغناءُ به ولم يذَب،

كتب الشاعر هذه القصيدة في أبو الخصيب بتاريخ ١٩٤٦/٤/١٥. وقد وردت – أولا – في إحدى رسائل بدر لخالد بتاريخ ١٩٤٦/٤/٢٠، (راجع رسائل السياب – ص ٣٩).

والطـير نازعةً إلى سكنٍ
عبر الفضاء تصيحُ من طرب
يَقْضي هوايَ.. وأنت ضاحكة
للنجمِ، والظلماتِ، والشهب
هو لو – علمتِ – سحابةٌ نفضت
عنها بقيةَ ضوئها الشحِب
هو صيحةٌ في الليل أطلقها
طيرٌ.. فَخَرَّ.. ومات في العشب
وهو الوداع، مسافرٌ تعِبٌ
ألقاه ثم مضى ... ولم يؤب
هو زهرةٌ ضحكت فعاجلها
لفحُ الهجير، وجامعُ الحطب
وهو الشهيدُ على يديكِ هوًى
يبكي ويقذفُ بالدمِ السرب
مزقتِ بالطعناتِ جانبَه
وعصبتِ باصرتيْه بالذهب
الذكرياتُ غداً سأحرقها
في جامحٍ، حنقٍ، من الغضب
وأرجِّعُ النغماتِ يلهمها
ريفٌ يفيض بفتنةٍ عجب!

واليومَ.. بين أزاهرِ الدُفُلِ
والريحِ ترعشهنَّ بالقُبَلِ..
والليلِ يختمُ بالسكونِ، على
غاب النخيلِ وموحشِ السبل
حبي يموت.. وأنت نائمةٌ
يلهو بخصركِ ساعِدُ الأمل
ما كان غير هو وكلُّ هوى
بين اثنتين معلقُ الأجل:
قلبان، إن خفقَا معاً هبَطا
روضاً يعلُّ ثراه بالقبل
وإذا استطار الوجدُ بعضهما
خر الشقيُّ على شَفَا طلل،
وافاكِ ينطق بالجوى غَزِلٌ
لا تقتليه بصامتِ الغَزَل!
أأظل أذكر منك ناسيةً
وأعود أُثقل بالأسى رُسُلي؟
وأراك باخلة عليَّ بما
جادَ البخيلُ به على عجل؟
أينَ الرسائلُ بتُّ أرقبها
وأصبِّرُ الآهاتِ بالعلل؟

إن طـاف بـين جـوانحي أمـلٌ   أني أراكِ .. برئـتُ مـن أملـي
أعرضتِ عامدةً فمـا احتملتْ   فيـه الأنوثـةَ عـزةُ الرجـل

* * *

واليـومَ حيـث تمـرَّغ الحُلُـمُ   في نـاظريْنِ طواهمـا أَلَـمُ..
مات الغرامُ فهـل حلمـتِ بـه   أو سـالَ منـه علـى رؤاكِ دم؟
العاصـفاتُ نسـجنَ لي صـورا   يمشـي بهـنَّ مـن الـردى نغـم
ألـوانهن تشـفُّ عـن أرجٍ   بـؤسُ القبـورِ عليـه ينسـجم
والعطـر تنبـعُ مـن نسـائمه   سـودُ الشـياتِ، وتولـدُ الحمـم
يبـدينَ طيفَـكِ حـائراً شَـحِباً   تنـزو، وتطفـر، دونـه الظُلَـم..
نادى.. فما صعدتْ علـى فمـه   إلا مقـاطع خـانهن فـم..
فرفعتُ مصباحي، يفـيض دمـاً   أبصـرتُ فيـه دمـي، ويضـطرم
يـا للـذبال.. أكـاد أعرفـه..   ويكـادُ يعرفـه معـي القلـم..
هذي رسـائلُ حبِّـيَ احترقـتْ   وأعـزُّ شـعري غالـه العـدم..
ذاب الظلام فمـا رأيـتُ سـوى   أنثـى تنـاثَرُ حولهـا الـرمم
تطوِي ذراعَ فـتىً يقـولُ لهـا: لا تذكريـه.. وأُطفِـئَ الحُلُـم!.

ما مات حبي

...لا النأيُ أطفأَ سَالفَ الحُرَقِ ... في جانبيَّ، ولا يدُ الأرق

"أهواكِ" ما خدمتْ على شفتي ... أو ماتَ حبي، فاعذري نزقي

"أهواكِ" ملءُ جوانحي ودمي ... صوتٌ يظلُّ.. وينتهي رمقي

أنتِ الفضاءُ، فما سعتْ قدمٌ ... بي حيثُ كنتُ فغابَ عن طرقي!

قالوا: تَنَقَّلَ كالنسيم، فما ... يصفو هواه، وطافَ كالألق

هل للنسيم- على تنقُّلِه ... حُرٌّ الوثاقِ – تَجَاوزُ الأفق؟

أنتِ الوجودُ فحيثما انطلقتْ ... بي مقلتانِ ملكتِ منطلقي!

سيان عندي.. متُّ من ظمأ ... – ما دمتُ عبدَ هواكِ – أو غرقي

سيان عندي.. كنتُ في سَحَرٍ ... – ما زلتِ أنتِ سنايَ – أو غسقي

روحي فداؤكِ، بت راضيةً ... أني فديتُكِ.. أو على حنق!!

لا يغضبنَّكِ من أسير هوىً ... هزُّ القيودِ، وثورةُ القلق

فهو الحريص على الغَرامِ إذا ... ظنَّ الغرامَ قضَى.. فمن فَرَق

كتب الشاعر هذه القصيدة في أبو الخصيب بتاريخ ١٦/٤/١٩٤٦.

اللقـــاء الشـــاحب

يا قلب.. بالأمس اشتهيت اللقاء
والیوم كان الملتقى كيف كان؟
وا حسرتا .. فيم الأسى والبكاء
يا من بلغت الأمنيات الحسان؟

الجنـــاحُ الطليـــقُ دونَ انتـــهاءِ، فـــارَقَ الـــوكرَ هازئـــاً بالـــدماءِ
والجنـــاح الطليـــق والجـــرح، مـــا زالا يرفـــان في رحـــابِ الفضـــاء
والجنـــاح الطليـــق، والجـــرح، والأنـــواء.. فـــوق اســـتطاعةِ الأنـــواء
فاصـــدحي يـــا قيـــاثري – رغـــم أن الحـــبَّ ولّـــى – بأغنيـــات اللقـــاء!
شـــيعي، الـــنعش، بـــالزهور، إلى اللحـــدِ.. وعـــودي بضـــحكةِ اســـتهزاء
لســـتُ مَـــنْ ضَـــيَّعَ الوفـــاء ولكـــني وهبـــتُ "الحيـــاةَ" كـــلَّ الوفـــاء

أَضَيْعُ الدمعِ ما جرى فوق رمـسٍ   صـامتٍ غـير حافـلٍ بالبكـاء
غاب عن مقلتَّي ريفـي وأضـحى   جوسـقي لا يُظِـلُّ غـيرَ الهـواء
أيها الجدولُ الذي كـان يلقـاني   علـى ضـفتيه نجـمُ المسـاء..
أيها الدوحُ يحرقُ الصيفُ ما يَلْقَـى   على الأرض مـن خيـالِ الشـتاء
كنتُ في جنةٍ من الريـفِ، لـولا   جذوةٌ مـن هـوىً بغـير انطفـاء

كتب الشاعر هذه القصيدة بتاريخ ١٥/١٠/١٩٤٦.

الـــدجى والنخيـــل، والســـامر المطـــراب، والنـــاي وانســـكاب الغنـــاء

وارتعاشُ النجوم في قـــاع كأســـي وارتعاشـــي بفـــائرٍ مـــن دمـــائي

وانبجاسُ الدموع في عينيَ العـــبرى .. وإخفـــاؤهن خلـــف الأنـــاء

فاعـــذرِ الطـــرفَ كلمـــا جفـــت الأقـــداحُ فامتـــدَّ وجهـــةَ (الـــزوراء)[1]..

واعـــذرِ العاشـــقَ المغَنَّـــى إذا بـــاحَ، بمـــا يعتريـــه، للصـــهباء!!

ربمـــا طـــاف بي، وقـــد نامـــت الأفيـــاءُ فـــوق الوســـادةِ الخضـــراء

هاتفٌ أنطـــقَ الســـكونَ وأحـــيى وتـــراً في مقـــابرِ الأصـــداء!

مـــن وراء النخيـــل، يعلـــو.. وقـــد ذاب بلفـــحِ الهجـــيرة الحمـــراء

صـــوتُها ذاكَ.. جنحتـــه ارتعاشـــاتٌ تحـــدَّيْنَ عاصـــفاتِ التنـــائي

فهْوَ خفقُ الشراع نـــادَى غريبـــا حـــائراً في الجزيـــرة القفـــراء

والخريـــر الطـــروب في حلْـــمِ ظمـــآنَ تهـــاوى علـــى الثـــرى مـــن عيـــاء

والحـــداء البعيـــد تُلقِـــي بـــه البيـــداءُ في سَـــمْعٍ تائـــهٍ في عمـــاء

والغنـــاء الشـــرود وافَـــى بـــه المـــوتى صـــدى عـــابرٌ مـــن الأحيـــاء

والحفيـــف الوليـــد أصـــغَى إليـــه جـــدولٌ جمدتْـــه ريـــحُ الشـــتاء

والجناح الـــذي يـــرفُّ.. فيعطـــو أزغبَ الريش بعـــد طـــولِ الرجـــاء

قرب الشوق مـــن لغاهـــا، وأدنى مـــن خطاهـــا تـــوهمي وافترائـــي

مـــا دخـــانُ الشـــقيقِ[2] مـــن (فـــارسَ) البيضـــاءِ مـــلءَ المجـــامرِ البيضـــاء

فاح فانجابَ عن عيونِ الســـكارى عـــالَمٌ حاقـــدُ علـــى الأشـــقياء

---

[1] الزوراء: بغداد – الهامش للشاعر.

[2] الشقيق: الأفيون – الهامش للشاعر.

واستفاض الوجود بالعطرِ والأطيافِ يسحن في شفيف الجواء
وانطوى ساعد على خصرِ عذراءَ سَرَتْ في غلالةٍ من هباء
وانتشى لاثمٌ.. وأهوَى على نهدٍ من النور مولَعٌ بالنساء
ما دخان الشقيق من (فارس) البيضاء ملء المجامر البيضاء
يمنحُ الناشقينَ ما تمنحُ المشتاقَ أوهامُ حبه من عزاء!
أصبح الريفُ دارَها فهي روحٌ خافق فوق ساعدِي كالضياء:
همسها وارتماؤها في ذراعيَّ، وهمسي.. وصرختي.. وارتمائي!
منَّة يا خيال.. هيهاتَ أنساها، ولولاك.. أين كان التجائي؟
منة يا خيال أن يصبحَ النائي ببغدادَ وهو في (الفيحاء)[1]
منة يا خيال أن يلثم النجم اندفاقاتِ نوره ثغرُ ماء!

عدتُ.. بل عادتِ الجراحُ الدوامي فاحذري لمسَهنَّ قبل الشفاء
لا أريدُ الضمادَ من هذه الأيدي فإنَّ الضمادَ من كبريائي
لا أريد الضماد منهن.. حسبي نخوة من تحرشٍ واعتداء
كنت إنْ أفرغَ ارتكاضُ الليالي أكؤسَ الصبر أترعَتْهَا دمائي
فاعذريني إذا تشوقتُ – ما تحلو ليَ الكأسُ من يدِ شلاَّءِ
كيف أشتاقُ حين لا دارها داري، وأجفو وناظراها إزائي؟؟
كيف يهتاجني خريرٌ وأجفو جدولاً؟ ليس ذاك شأنُ الظماء
يا لقاءً هوتْ له الكأسُ من كفِّي فأدمى حطامها من إبائي

---

[1] الفيحاء: البصرة – الهامش للشاعر.

أنتَ أخرستَ صيحةَ الشوقِ في ثغري وخيبتَ مأملي باللقاء
حَرَّكَ الوجدُ من يدي فهي تمتدُّ.. فلا تلتقي بغيرِ الهواء
والتحايا[1] على فمي ذاهلاتٌ يابساتُ الرنين فوق "المساء"
أين أين السلام ينساب في عينيكِ قبلَ انطلاقه لالتقائي؟؟
أين يمناكِ وهي تهتز في يمنايَ لحناً من الهوى والوفاء؟؟

وانبساطُ الأكُفٌّ بالأصفر الرنّان غيرُ انبساطِها بالرجاء
والتقاءُ العيونِ في قاعِ كأسٍ   أينَ منه التقاؤها في السماء؟!
شاحبٌ ذلك اللقيُّ[2] فكفّي   عن حديثٍ مرنَّقٍ بالرياء
اسكتي.. حسبُكِ.. اسكتي، إن عيني   تلمحُ الموتَ خلف ذاك الطلاء!
اهزئي.. واعبثي بقلبي.. فما أنتِ سوى غادةٍ ككلٍّ النساء
أنتِ.. ما أنتِ؟ عابرٌ في طريقي   لاحَ لي ثمَ غابَ فيما ورائي
كنتُ أدعوكِ فتنةَ الشعرِ، واليومَ سأدعوكِ فتنةَ الأغنياء
هانَ قلبٌ غشاؤه أصفرُ التبرِ ودقّاتُه رنينُ الغشاء!

إصدحي يا قيثاري.. أنصت الكونُ انتظاراً لنغْمةٍ عذراء
إصدحي!! قبضةُ الخلودِ ستهوي، بعدَ حين، على قيودِ الفناء!
نبئي ذلك الحطامَ الذي أولتْه روحاً ضلالةُ الشعراء
أنني قد نثرتُ زهري على أرضي.. وأطلقت بلبلي في سمائي!

---

[1] من التحية المعهودة: مساء الخير – الهامش للشاعر.
[2] في القاموس المنجد: اللقيّ: الملاقي في خير أو شر وأكثر استعماله في الشر يقال "هو شقيٌ لقيٌ".

عينـــــان

"إلى ذات العينين اللتين لا يعرف لونهما"

نـــام في مُقلتَيْـــكِ بحـــران ينشـــالان بالـــدفء، والنـــدى، والضـــياءِ
بالضـــباب الشـــفيف يَفنَـــى شـــعاعُ البـــدرِ فيـــه.. وناسمـــاتُ الهـــواء
يلـــثم المـــوج راعشـــاً خـــافقَ الأنفـــاس.. حـــتى يـــذوب دون ارتـــواء
أرشفي نـــاظريَّ دفء العـــذارى وانبثاق الهـــوى، ولـــون الســـماء
قطـــرة أو أقـــل. ثم اتـــركيني ناعس الحـــس.. خـــادر الأعضـــاء
ذاهلاً.. مثـــل كوكـــب رنحتـــه نسمة.. في الغدير.. عنـــد المســـاء

إنَّ في مُقلتيـــكِ دنيـــا مـــن الأحـــلام بالحـــب، والنـــوى، واللقـــاء:
الأماســـيُّ، والحبيبـــان، والســـاعاتُ يهـــربن قبـــل ريِّ الظمـــاء
قبـــل أن تحـــرق الشـــفاه التقـــاءً وابتعـــاداً مرنحـــاً بالتقـــاء
قبـــل أن تمـــنح الســـموات والآبـــادُ بعـــض العنـــاق.. بعـــض الغنـــاء
خفقـــة ترتمـــي علـــى خفقـــة ســـكرى.. وقلبـــاً لإلفـــه في ارتمـــاء!

ذلـــك اللـــون.. ذلـــك الســـر في العيـــنين.. مـــاذا وراء ذاك الخفـــاء؟
الـــدجى، والمـــروج في الضـــحوة الســـجواء، والبحـــر، ذوبـــت في هبـــاء

كتب الشاعر هذه القصيدة بتاريخ ١٩٤٦/١٠/٢٣.

في سماوين تشربان السموات بكأسين صيغتا من نقاء

هذه الذكريات يلمحن في عينيك ما بين ومضة وانطفاء..

هن يرقصن ذلك اللون أو هذا على ناظريك دون انتهاء

فهو لون الحياة هيهات يدرى وهو لون السراب في الصحراء!

لحن جديد

أرعشِ الأوتــارَ بــاللحن الجديــد
إنه اليوم المرجَّــى.. يــومُ عيــدي

هذه الــدنيا.. هــوىً مســترف
قوة الشــادي، وأنفــاس النشــيد

هــذه الــدنيا شــبابٌ دافــقٌ
في شــبابي، وانبثــاق في وجــودي

إنه الطَــرْفُ المغشَّــى بالــدجى
فضَّ عنــه النــورُ أختــامَ الجمــودِ

أرســل اللمــح ارتعاشــاً ظامئــاً
يشربُ الآفــاقَ، بجنــونَ الصــعودِ

حــامَ فاســتوفى نهايــاتِ المَــدَى
نــاثراً حوليــه أشــلاءَ الحــدودِ

هــذه العــذراءُ نبــعٌ فــائرٌ
بالتفاتــاتِ الأمــاني والوعــودِ

مَــرَّغَ الماضــي علــى أقــدامِهَا
كلَّ ما في ذكريــاتي مــن خــدودِ

نظــرةٌ ملكتــها فيهــا.. كَمَــا
يملكُ النــهرُ ابتســامات الــورودِ

يــا جناحــاً في سمــائي ضــارباً
خافقــاً آنــاً، وآنــاً في ركــودِ

يا ندى ســاقى ســرابي فــارتوى
منه جدبي وانتشى، واخضرَّ عــودي

بتُّ أخشى أن تشــكّي وحشــةً
بــين آفــاقي وأن تخفيــك بيــدي

بــتُّ أخشــى غــدرةً عودهــا
من صــباباتي، وأيــامي، وغيــدي

يا فتاةَ اليومِ كــوني مِــنْ غــدي
رشــفةَ الظــامي ونبــعَ المســتزيدِ

راوحــيني زهــرةً مخبــوءةً
في خريفي مــن نضــيراتِ العهــودِ

كتب الشاعر هذه القصيدة في بغداد بتاريخ عام ١٩٤٦، دون ان يحدد اليوم والشــهر اللــذين كتبــت فيهما.

أنتِ حلمٌ من رقادي هاربٌ ... لاحَ لي في يقظتي بعدَ الشرودِ

الفراشُ المرتمى فوق الثرى ... مل مثواه المغشَّى بالجليد

يا بقايا من جناحيه اخفقي ... واحملي نحو اللظى جسمَ الشهيد

ليت لي يا هذه الدنيا فماً ... لم يكبِّلْه ارتعاشي بالقيود

آه لولا رهبةٌ تحبو على ... سُلَّمٍ من أضلع الشادي، عتيد

كلما شام التي غنّى بها ... أرجعَ الشكوى إلى الغور البعيد

طافَ بالنجوى على إصغائها ... لو أعانته انتفاضات القصيد

يا لموجٍ صاخبٍ مستأسرٍ ... في غديري ظالمِ الشاطى عنيد..

حاطم الأغلال

"عمَّت الولايات المتحدة الأميركية، موجة عارمة من اضطهاد الزنوج فأعدموا لغير ما سبب، وطوردوا دون جريرة منهم – وتألف وفد من الزنوج يترأسه المغني الزنجي الشهير "روبسن" – قابل ترومان واحتج عليه".

"فإلى الفنان الغاضب، الثائر على الظالمين، إلى روبسن، أرفع هذه القصيدة!"..

املأ الكونَ اربداداً واضطراما
(يا سواداً) سامه الخسفُ الحِماما

يا زنوداً خلَّفت شمسُ الضحى
فوقها، من نورها الحامي، ظلاما

أطلعي من ليلكِ الفجرَ الذي
يترع الدنيا صفاءً وسلاما

الدم الحرُّ الذي فيكَ، انتضى
من مذلات الأرقاء الحساما

خاطبي الجلادَ، يوم الملتقى
واجعلي بارودك الفظ كلاما..

ذلك الطاغي أما هاجَ الصدى
منه صوتٌ، والوغى تذكي ضراما؟

وادَّعى – يا بعدَ ما كان ادعى
أنه المنجِي من الذلِّ الأناما؟!

نصره الموعودُ عرسٌ ضاحكٌ
للتآخي! ليت ذاكَ العرس داما!

حاطم الأغلالِ – يا للمنتهى –
صاغ غِلاً ثانيا ذاك الحطاما!

كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٤٦، دون أن يحدد اليوم والشهر اللذين كتبت فيهما. وتتضح في هذه القصيدة ثورة بدر على أستاذه الشاعر الرومانسي علي محمود طه، كما سيتبين هذا في الهامش.

قصة (العِرْقِ) انطوى سِفْرٌ لها   تحت أقدام الثكالى واليتامى
أيهذا النابشُ القبر الذي   ضمَّ "هامات" ملأنَ الكون هاما
لستَ بالمحيي يداً سفاحةً   أوسعتها قبضةُ (الحقِّ) انتقاما
قصة (اللون) التي استحدثْتَهَا   قد تحيلُ الأبيضَ الصافي قتاما

غابُ "أفريقيةٌ" السمراء غاما   من خطوبٍ شرّدت عنه المناما
ود لو أنّ الثرى – في ساحِه –   جامحُ البارودِ يغتالُ اللثاما..
والحصا، في كل مجرى ناغم،   من رصاصٍ يفجرُ اللحنَ احتراماً
والغصون استرقصتْها هبّةٌ   للصَبا، عادت قسيًّا وسهاما!
همهم الدوحُ المندَّى، والسنا   ينزعُ الطلَّ اختلاساً واهتضاما،:
"ايه يا شمس اتركي حمرَ الخطى   في مراقيها الفسيحات نياما...
واسمعي شكوى من الشرق، امتطى   لفحُهَا من ذروةِ الغيظِ السناما!
فيم هيأت "الطلاء المجتوى!"   تابعاً بين الرحاب الجون (حاما)؟
أَهْوَ ختمٌ خلْفَهُ الرقُّ اختفى؟   أم وقاءٌ يقهر الموت الزؤاما؟"

أيها الشادي[1] وقد بات الهوى   يُرعشُ الأنخابَ في أيدي الندامى
يا سليلَ الغابةِ الثكلى بكى   قلبها السمح السليل المستضاما
غَنِّ باللحن المدمَّى، واللظى   يحرقُ الأجسادَ – لا ريح الخزامى
واشتكِ الجورَ الذي يُرْمَى به   قومُكَ الأحرارُ – لا تشكُ الغراما
أين صاحٍ عاد لا يلْقَى هوىً   من سقيمٍ عادَ لا يلقَى طعاما؟!

---

[1] الشادي: المغني روبسن – الهامش للشاعر.

فارو، لا عنْ مخدعٍ[1] ظلّ الشذى | حائراً يرعى "ملاكا" فيه ناما..
واحكِ، لا عن غانيات نُزَّقٍ | يتطارحن اعتناقاً والتثاما...
لا.. فما أبقى صليل القيد في | مسمعِ المأسورِ للسلوى مقاما
فاترك اللحنَ "الموشّى" للغنى | والطغاة الصيد يهتاجُ العراما
إنك الحرُّ الذي لا يرتجى | مِنْ يَدَيْ جلاّدِه القاسي، وساما
إنك الجرحُ الذي لا يحتمي | بالمُدَى يمتاح منهن التئاما..
أيها الشادي وقد راح الردى | مُسْلماً للأهوجِ الفظّ الزماما.
فَجّرِ الألحانَ من ينبوعها: | مهجةُ الطاوي وأضلاعُ الأيامى
هذه الألحانُ، خيرُ الفنِّ ما | حرّكَ المأسورَ واهتاج المُضَامَا

نحن في حالين ساوَى منهما | ظالمٌ سامَ الملايين الحماما
نحن في حالين ساوى منهما | أنّ لليل انتهاءً وانصراما
الزنودُ استنهضتها هزةٌ | بعد حينٍ تترك الطاغي حطاما!

[1] في يقيني، أو في اعتقادي الأقرب إلى اليقين أن بدر كان في ذاكرته وهو يكتب هذا البيت قصيدة "مخدع مغنيةٍ" لعلي محمود طه، حيث تحدث أستاذ بدر السابق عن هذا المخدع المترف الذي:

شارع في جوه الخيال ورف | الحسن والسحر والهوى والمراح
ونسيم معطر خفقت | فيه قلوب ورفرفت أرواح

عاشق الوهم*

طيفٌ أزاحته عن جفنيكَ عذراءُ ... والصبحُ فوق السهولِ الغين أنداء

والنجم ينسابُ في ماء الغدير صدىً ... مسراه ومضٌ وموسيقاه لألاءُ....

طيفٌ مضى مثلما ذابَ السحابُ على ... صحْراءَ... فانثالَ من أهدابكَ الماء

خانتك حواء فاستبكِ الفؤادَ لظىً ... إن كنتَ أوَّلَ من خانته حواء!

يا عاشقَ الوهم في جثمانِ غادرة ... هل تُنبتُ النرجسَ المعطارَ صحراء؟

أصبحتَ تجري وراء العاطفات دماً ... ظمآنَ ما بَلَّ من ناريه إرواء

يسري إلى الواحة الريّا ويسبقه ... حَرُّ الغليلِ إليها.. فهي جدباء!

واليوم هَدَّأتَ من تلك الدماء، فما ... أبصرتَ؟ أين الندامى والأحباء

كالجدول الثائر الدفاق منطلقاً ... من شاطئيه وقد ساقته أنواء!!

أهوَى على الجدول النائي يعانقه ... فالضفتان ارتعاشاتٌ وإيماء..

تستقبل القبة الزرقاء بينهما ... موشيةً بالظلالِ الفيحِ جلواء

والجدولانِ انثيالٌ ليسَ توقفه ... ، في لجة الشاطئ المغمور لفاء..

حتى إذا استوقفته الشمسُ طالعةً ... من مخدع الشرق واسترضته أضواء

واستذكر الماءُ، في الشطين زنبقةً ... غرقَى لها في هديرِ الموجِ إصغاء

واهتاجت الجدولَ الطاغي متيمةٌ ... من سامرِ النخل عبر الشط فرعاء

ذاب اشتياقا إلى مجراه، واحترقتْ ... أمواجه من هواها فهي حمراء

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة في بغداد بتاريخ ١٩٤٦/١/٥.

والجدولان انثيالان استحثهما ... روحانِ: راضٍ بما يلقى ومستاء
عادا ودون التلاقي من ضفافهما ... شتى موانع أدناهُنَّ شمّاء

حاشاكِ حاشاكِ يا نفسي فما خُلقتْ ... للحبِّ والشاعر الموهوب رعناء
أنتِ الفراشةُ ما تَهوَى سوى لهبٍ ... فليعشق الدمَ واللحمَ الأخساء
وليعبثوا بالنهودِ المائجاتِ على ... صدر من القلب خالٍ، مثلما شاؤوا
وليرشفِ الطلَّ من تلك الشفاه فمٌ ... لم يُذْكِ فيه اللهيبَ الخالدَ الناء
ولتشهدِ الكاعبُ الحسناءُ مصرعَها ... لو أنها في الغد المنكود حسناء!

أمنيـــات

أمنيـــاتٌ دغـــدغتْ حسّـــي بإغمـــاء طـــروب
وانتشـــاء فـــاتر الآمـــاد، نعســـان الطيـــوب..
الأريـــج الـــدافئ المغنـــاج، منغـــوم الهبـــوب
أســـكرته الليلـــة القمـــراء في ســـهل رطيـــب

والنـــداء الهـــامس المســـحور، لـــو أصـــغيت حينـــا،
طـــافَ بـــالأرواحِ أشـــواقاً ووافاهـــا حنينـــا..
فـــاض مـــلءَ المخـــدعِ المعطـــارِ[1] شـــدواً أو رنينـــاً
شـــفَّ حـــتى قالـــت العـــذراء: نـــاداني حبـــيي

أنـــت يـــا مـــن تحســـبُ الحـــبَّ اعتناقـــا وابتســـاما
لا ضـــراما يجعـــلُ الأرواحَ تشـــتاق الضـــراما
لا خلـــوداً خالقـــاً مـــن هـــزة القلـــبين عامـــا
مـــائجَ الأزهـــار دفّاقـــاً كشـــدو العنـــدليب

كتب الشاعر هذه القصيدة بتاريخ ١٩٤٧/٢/٣.

[1] رأينا بدر في قصيدته "حاطم الأغلال" يتمرد على أستاذه علي محمود طه، وها هو – في هذا البيت – يعود إلى ما تمرد عليه، فيصف "المخدع المعطار"!

أنت يا حلم الربيع الطل ما بين الأقاحي

يا عروسا في الأساطير منداةَ الوشاح

نافضا (طفلُ الهوى)[1] من فوقها ظلّ الجناح

وَهْيَ وسنى تسرقُ الأنفاسَ من ريح الجنوب

أقبلي.. فالضفةُ القمراءُ تندَى بالفتور

والضياء الحالم استرخى على دفء العبير

مُرعشاً ظلّ الأزاهير النشاوى، في الغدير

أقبلي.. ما كانت القمراءُ كي لا تستجيي

أسبلي، كالجدولِ المكسالِ، هاتيك الشعورا

واتركيها ترشف الأنسامَ والأضواءَ نورا

وليعبَّ الكوكبُ العربيدُ منهن العطورا

ذائباً فيهن... يدعو. يا نجوم الليل ذوبي!

ثم فيضي أغنياتٍ لا أعي منهن معنى..

ربما حدَّثْنَ عن آذار أو خبرنَ عنا..

ربما حركن في الدنيا مِنىً أو هجنَ حزنا!!

غير أني سامعٌ فيهن أنغامَ القلوب

---

[1] طفل الهوى: كيوبيد إله الحب – الهامش للشاعر.

ربما أطلقنَ في قلبي جناحَ الذكريات

ربما أَوْحَيْنَ لي بالخاطرات الموجعات

عن هواك البكر.. عن ماض خفي الحادثات

ربما أنطقنَ في ثغري سؤال المستريب؟

* * *

أرعشني، بالضمِّ والتقبيل، في ثغري سؤالا

كاد أن ينسابَ ملء الليل آهاتٍ طوالا

أحرقي ألفاظَه الحمراءَ بالنار اشتعالا

ربما كان انتحاراً لهوانا أن تجيبي

* * *

واهتفي، ولتهتف الدنيا إلى حين الصباح

أهتفي حتى يهبَّ الطيرُ مطلولَ الجناح

باحثاً عن عاشقَيْنِ استلقيا بين الأقاح:

"عانقيني يا إلهاتِ الهوى.. هذا حبيبي!!.

مـريضة في الـربيع

"إلى صديقتها المريضة في الربيع"

أختاه.. كيـف خبـا ضـياؤك والوجـود يفـيض نـورا؟
عـاد الربيـع نـدىً يـذوب علـى السـنابل، أو غـديرا
عـاد الربيـع فراشـةً بيضـاءَ تسـترق العـبيرا..
حامت هنا.. وهفـت هنـاك – تدغـدغ الزهـر النضـيرا
وتـرفُ فـوق الجـدول الفضـيٌّ.. أنـداءً ونـورا،

عـودي إليَّ، كمـا عهـدتكِ، جـدولا مـرح الميـاه..
متعـانق الأمـواج، ترعشـه أناشـيد الرعـاه..
يجلـو شـقائقَ.. عربـدت جـذواتهنّ علـى الشـفاه
يلـثمن وهمـاً في الهـواء.. يبـث في دمهـا صـداه
ضـرّجنَ أنفـاس النسـيم فـأظهرتهن الميـاه..

عـودي إليَّ تحـدث السـاعات عـن أمـس الطـروب
هل تذكرينَ ضـحىً شـفيفَ النـور مكسـالَ الطيـوب؟

كتب الشاعر هذه القصيدة بتاريخ ١٩٤٧/٤/١٨.

رحنا هناك.. هناك.. بين سنابل السهل الرطيب
وأنا.. وأنت.. و "من تشاء" مرنحون على السهوب
أنسيتِ أنتِ ولا أزال أعيش بالأمس الطروب؟

والجدولُ النعسانُ يلمع في غلائلَ من ضباب
نُسِجَتْ من النار الندية.. والأزاهر.. والسحاب
كالهالة القمراء يصبغها لظى نجمٍ مذاب
والغابَ عن بعد يموج.. كشاعر قَلِقَ الرغاب
أو طائرٍ نفضَ الجناح وراح يضرب في ضباب

هل تذكرينَ؟! يكاد ينفجر الصدى: (هل تذكرين)
جياشةَ الإيقاع.. تصهر ما تُصَادفُ، بالرنين
وقّادةً مثل الشهاب تشق آماد السنين
نقشتْ على أعجالهن[1] بأحرف اللهب الحزين
وتظلُّ. مركبة الزمان تسوقها (هل تذكرين)

تلك الطبيعة في انتظارِك.. وهي همس "يوم عيدي..
رقصتْ معطرةَ الخطى ساعاتُه.. رَقْصَ الورود.."
والساعةُ العذراءُ تسأل أختها لِمَ لَمْ تعودي!

---

[1] أعجالهن: عجلاتهن – الهامش للشاعر، وهذا البيت والذي يليه يتمثل فيهما الشاعر الأسطورة الأغريقية.. أسطورة فايتون وعربة الشمس (راجع على سبيل المثال، مسخ الكائنات – أوفيد – ترجمة د. ثروت عكاشة).

والـــريح تبحـــث في ميـــاه النـــهر.. عـــن ظـــل الخـــدود
عن ثغركِ الطلــقِ الضــحوك يقــول: هــذا يــوم عيــدي!

أختـــاه.. بعـــدَ غـــدٍ إلى دفء الربيـــع ســـترجعان
وأظـــلُّ وحـــدي في شـــتاءٍ لـــيس يخضـــع للزمـــان
هيهـــاتَ.. لســـت بمـــن يعـــود إلى الجـــداول والجنـــان
أنـــا جـــدول خـــتم الجليـــد علـــى خطـــاه بـــأفعوان!!
غـــلّ.. يكـــاد صـــليله المســـموم يهتـــف: ترجعـــان

أنفاســـي المتجمـــدات علـــى ضـــفافي كالصـــخور
يصـــرعن أزهـــارَ الغـــرام بمنجـــل الـــبرد النـــثير
هيهـــاتَ يصـــهر ظلـــهن كيـــان مـــائي، بـــالعبير!
لكـــنَّ أنفاســـي، إذا مـــازجن أنفـــاس الهجـــير
ذابـــت فزلـــزل ســـيلُها الفـــوَّارُ أقـــدامَ الصـــخور!

الجـــدولُ السلســـالُ والظـــلُّ المـــرنّحُ بالميـــاه
والشـــاعر الهيمـــانُ يشـــرق بالوداعـــة نـــاظراه
يستشـــرف الأفـــقَ البعيـــد فيســـتحيل علـــى مـــداه
روحـــاً محلقـــةً ولحنـــاً يهمـــس الـــوادي صـــداه
مـــاذا وراءك يـــا حيـــاة؟

تلك الغصـــونُ الشـــاحبات وقـــد ختـــمن علـــى الحفيـــف
ينظـــرنَ ناحيـــة الشـــتاء ويلـــتفتن إلى الخريـــف
فيريـــن في الأفـــقِ البعيـــدِ غضـــارةُ الصـــحو الشـــفيف
والموقـــدُ المجنـــون يـــرمقهن بـــاللحظ المخيـــف..!
أإلى احتـــراق أم رفيـــف
تلك الغصـــون؟ ســـل الحيـــاة

ذاك الجنـــاح.. أمـــا تـــراه يكـــاد يغـــرق في الفضـــاء؟
يطفـــو ويرســـب، مثـــل نجـــم بـــين ومـــض وانطفـــاء
أو كالرجـــاء، لـــو انَّ في الأكـــوان أجمعهـــا رجـــاء

لم يؤرخ الشاعر هذه القصيدة، ولكنها من حصاد عام ١٩٤٧. من الطبعة الأولى لديوان "أزهار ذابلة".

ذاك الجناح، أللثرى هو في غد أم للسماء؟

ما بين نشر وانطواء..

أكذاك شأنك يا حياه؟

يا للتلالِ.. أكاد أهتف دون وعيٍ بالسؤال:

ماذا وراءكِ؟ أهو نور ما وراءكِ أم ظلال؟

سهلٌ يطوف به النداء فلا يرجِّعُ، أم تلال؟؟

القبح خلف الشاهقات الشم غاب، أم الجمال

إن الحقيقة كالخيال!

والموت من صور الحياه..

تلك الزهور الذاويات أكنَّ يعرفن الغرام..؟

ما حبهن؟ نوىً وصدٌ، أم عناق والتثام؟

والغدر – يا غدرَ الزهورِ!! أهنَّ يشبهن الأنام؟

الحب مصباحُ الحياةِ، فما لقلبي في ظلام؟

مالي حُرمت من الهيام؟

أوَلستُ زهرا يا حياه؟

يا دوحةً بين الرمال تكاد ترتشف الغدير،

إن نَشَّرَ الليلُ البهيمُ ذوائبَ النجمِ الأخير

بين الغصونِ الحالماتِ المصغياتِ إلى الهدير،

حتى خفقنَ على المياه كخفقةِ النَفَسِ البهير –

ما حـــال عاشــقك الصــغير؟

هل كـــان يثبـــتُ في هـــواه؟

بـــالأمس كنـــتُ أفـيض بالشِـعر الـنـديِّ علـى تــراب!!

فنفخـــتُ مـــن روح الربيـــع بـــه ومـــن ســـحر الشـــباب

ظلّلتُــــه زمنـــــاً بأجنحـــــة الفـــراش وبالســـــحاب

واليـــوم أضـــحَى مـــا غرســـتُ لِقـــىً لمنقـــار الغـــراب

وا حسرتا لي؟ كيـــف خـــاب

في النبـــت ظـــني في حيـــاه؟

هـــو جـــدولٌ ضـــحلُ الميـــاه يلـــوح ظـــلُّ الـــنجمِ فيـــه

فتـــبين أبعـــادُ الســـماواتِ الفســـاح لناظريـــه

حـــتى إذا بســـط الأوامُ عليـــه أيـــدي وارديـــه

فـــر القـــرار مـــن الأكـــف وعـــاد يســـقي شـــاربيه

طينـــاً... فلـــيس يقـــول آه

غـــير المفجـــع في صـــداه

لســـت المفجـــع يـــا حيـــاه!!

يـــا ليـــالي

(إلى السمراء ذات الغلالة الزرقاء)

واعـــذاباه مـــن خطـــاكِ الثقـــالِ — وانتظـــاري لوقعهـــا، يـــا ليـــالي!

قَـــرِّبي موعـــدَ الهـــوى، والتحايـــا — مـــن ألـــيفَيْنِ أَلحَفَـــا بالســـؤال؛

ينفضـــان الســـماء نجمـــا فَنجمـــا — بين بحثٍ عـــن الضـــحى وابتـــهال

الخريفُ الكئيبُ ما زالَ خلف التـــل — عريـــانَ لائـــذاً بـــالظلال

فانزعي عن يمينـــه صـــبغةَ المـــوتى — .. ورشِّي بهـــا اخضـــرارَ الـــدوالي

إن يومَ اصـــفرارها موعـــدُ اللقيـــا — علـــى غـــير موعـــدٍ بالوصـــال

واملأي، بالنجومِ مصهورةَ الأضواء — ما اســـوَدَّ مـــن فـــراغ الهـــلال!!

قربي موعد الهـــوى يـــا ليـــالي

أين حقلٌ علـــى الليـــالي حصـــانُ — مـــاج فيـــه الشـــعاعُ والألـــوانُ

راوحتـــه الفصـــول في الموكـــب — الرفّاف، يحدوه كوكـــب أضـــحيان

لوَّنَتْ كلُّ خطـــوةٍ مـــن خطاهـــا — زهـــرةٌ، حـــين هـــاجهن الرهـــان

حار فيه الربيع لا يعـــرف التـــأريخَ — فالـــدهر كلـــه (نيســـان)؟؟

أين حقل هناك، منّي لـــه الإنشـــادُ — والبـــث.. وهـــو منـــه الحنـــان

واتكائي علـــى الأزاهـــير نشـــوانَ — ومـــن حـــولي الوجـــوه الحســـان

كتب الشاعر هذه القصيدة بتاريخ ١٩٤٧/٩/٢٠.

كم تسلمتُ موعداً في حناياه فغنيتُ واستعادَ الزمان:

قربي موعد الهوى، يا ليالي!

أيها الريفُ، ما ذممتُ المقاما في مغانيكَ، لو وجدتُ الغراما
ليس حقلي هناك أندى عبيرا منكَ - لو لم يعطر الأقداما
وَهْيَ تسعى إلى لقاء، ولو لم يجمعِ العاشقيْنِ عاما فعاما
إنما جنةُ الهوى حيث حواءُ، وإن كانت الجحيمَ اضطراما
أنتَ نبهتَ غافيا من خيالي ناسجاً حول جرحيَ الأحلاما
خلوة في الظلال، يا ريفُ هزَّتْ من أمانيٍّ فانتزعتُ اللثاما
سافراتٍ تقول منهن عذراءُ لأخرى أما سئمتِ الظلاما؟؟

قربي موعد الهوى، يا ليالي!

خلوة في الظلالِ.. والأشقياءُ بين باكٍ وغائبٍ، يا سماءُ؟؟
خلوة.. تذهب الليالي وتأتي ما لها بالمتيمين امتلاءُ..
يالحَّر الغليلِ، إن فاضت الأقداحُ نوراً، وغابتِ الصهباء!
واكتئابي وحسرتي كلما رانت علي الريفِ ليلةٌ قمراء!!
فالضياءُ الظلامُ، إن كان لا يطوي على الدفء ساعديٌّ الضياء:
إن شوكاً يدوسه الحبُّ أغلى من أزاهيرَ رفُّهُنَّ الجفاء..
خلوة في الظلال في غابك النائي .. كأنَّ السكونَ، فيها، نداء

قربي موعد الهوى، ياليالي!

قد سئمتُ الربى.. مللتُ الضفافا	أحسبُ الموجَ أو أعدُّ الخرافا
مثلما عدَّ أنجمُ الليل عرَّافٌ	فأنبتُّ، بموته؛ العرافـ
أيها الشاطئان، أَوْهَى جليدُ الموت	كفِّـي، فأرخت المجذافا
وكأني أرى بعينيَّ غوراً	قاتماً أجتسي دجاه ارتجافا
أهبطُ الموجَ سُلَّماً باردَ الألوان	حتى أعانقَ الأصدافا
يا لمثوايَ أعظماً قضقضتهن	الأعاصيرُ والعبابُ اجترافا
حيث لا نادبٌ سوى اللجِّ زخَّاراً	على أضلعي يعيد الهتافا

قربى موعد الهوى يا ليالي

عاشق ينسجُ الرؤى من عناقِ	يتمناه بعد طولِ الفراقِ!!
حالمٍ جَنَّحَ الأساطير بالأشواقِ	واصطادهُنَّ بالإطراق
هكذا كان حاله، قبل لقياها	على غير موعدٍ بالتلاقي
كان عبد المنى.. فلما رآها	صاح: يا أمنيات حلِّي وثاقي
تلك حوائي التي حَدَّثَ الفردوسُ	عنها، ففاض بالأشواق
يا معيناً يقطر، الحب من قلبي	وذوب الشباب في أعراقي
يا حياة تدفقت ملء صحرائي	تبلّ احتراقها واحتراقي

قربى موعد الهوى يا ليالي

في المساء الكئيب، دَوَّى نداءُ	ضاقتِ الأرضُ فاحتوته السماءُ
بين تلك التلالِ، حيث السواقي	تعتريهن وحشةٌ وانطفاء
والضباب الشفيف ينحَلُّ	كالأطيافِ في خاطر طواه الفناء

علقتْ فيه نجمةٌ، فهو ظلّ ... ألهبته الفراشة البيضاء
وهو رؤيا، توهجتْ بالهوى فيها ... وبالوجدِ، قبلةٌ عذراء
بين صمت التلالِ ناديتُ: يا سمراء ... حتّى وَهَى وبُحَّ النداء
لم يجبني سوى صدى حائرِ ... الإيقاعِ باكٍ، يصيح: يا سمراء!
واختفى موعد الهوى في الليالي

أين ألقاكِ؟! ضجَّ أمسي يناديكِ ... وألهيتِ حاضري بالسؤالِ
كلما أ شرقتْ، على قلبي المقرورِ ... عيناكِ من سماء الخيال
قلبي الراكد الذي انداح فيه ... صوتُكِ الناحلُ الصدى كالظلال
ذلك الجدولُ الذي جمدتْه ... في الشتاء الحزين، ريحُ الشمال
كلما أشرقتْ، على قلبي المقرور ... عيناك – في ظلامِ الليالي
ذاب غلُّ الجليدِ من صوتك الفضيّ ... سكرانَ بالصبى والجمال
أنتم الخائنون كلّ الرجال

سائلي أنجم الدجى عن هوانا ... أيُّنا أخلفَ العهود وخانا
منذ أن مزقَ الظلام اتقادٌ ... صاغ من هزةِ السكون الزمانا
واسألي "شاعر الليالي"[1] غناءً ... هز (فينيسَ) رقةً وحنانا
يرقب (البرجَ) عدّت الساعةُ الثكلى ... عليه الخطوبَ والأحزانا

---

[1] الشاعر الفرنسي، ألفريد دوموسيه، صاحب ديوان الليالي وفينيس – البندقية – المكان الذي فر إليه الشاعر وحبيبته الكاتبة الشهيرة (جورج صاند) والبيتان التاليان لهذا البيت مقتبسان من موسيه، قال: (دعي ساعة البرج، في قصر الدوج، تعد عليه لياليه المسنمات واتركينا نعد القبلات على ثغرك العاصي!) – الهامش للشاعر.

أين ثغر يعدّ بالقُبَلِ الحَرّى عليه الوجيبَ والخفقانا؟
أين من أقسمتْ له، وهْي سكرى في ذراعيه نشوةً واحتضانا
السراج الكئيب ولاريحُ والتقويمُ ينسحنَ حوله الأكفانا
وهي سكرى تعبُّ كأس الوصال

واعذاباه كم أطلّتْ عيونُ من ظلامِ الثرى، ترى من نكونُ
نحن مَنْ لم تصدّنا حرمةُ الموتى فجئنا نقولُ: كانتْ تخونُ!!
هذه البيد مزقت برقع الآلِ[1] فهبّتْ من الرقاد القرون
وانثنتْ تقتفي على رملها الناس خطىً غلّ وقعهن السكون
نقلتها على الثرى أرجلٌ حيرى طواهنَّ داؤُهُن الزمين
أنظريهنَ واقفاتٍ.. حيارى مطرقاتٍ تذيبهن الشجون..
واسمعيهن: ها هنا ماجتِ الدنيا وخرَّ المعذَّبُ (المجنون)[2]
أين "ليلاه"؟؟ خبري يا ليالي؟

عَافَ كلّ الحياة إلا هواها ليته خانَ ودَّها أو جفاها
أين ما تدّعي؟؟ أجُنّتْ كما جنَّ اشتياقاً وذاب آها فآها؟
الهوى بيتُ عاشقَيْنِ اطمأنا لا سؤالٌ: أأنتَ قبلتَ فاها[3]؟؟!
يشرف الحبُّ جامعاً بين زوجين بصفو الحياةِ أو في شقاها

---

[1] الآل: السراب – الهامش للشاعر.
[2] مجنون ليلى – الهامش للشاعر.
[3] إشارة إلى قول (المجنون) مخاطبا زوج ليلى:
بربك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها؟

ينسجان الزمانَ من قبلـةٍ سـكرى ... يُكَنُّ الغـدُ المرجَّـى صـداها

كلما صوَّرا، من العطـف، أختـاً صَـوَّرا بـين سـاعديها أخاهـا،

يغرسان الورود في قلـب "قابيـل" فيحيي "هابيـل" طيـبُ شـذاها

ضامدا بالإخاء جـرح القتـال

واعـذاباه مـن خطـاكِ الثقـالِ وانتظـاري لوقعهـا، يـا ليـالي

قربي موعـد الهـوى، والتحايـا، بـين ألـيفْين ألحَفَـا بالسـؤال..

الخريفُ الكئيبُ ما زالَ خلف التـلِّ عريـانَ لائـذا بـالظلال..

فانزعي من يمينـه صـبغةَ المـوتى ورشِّـي بهـا اخضـرارَ الـدوالي

قربي موعد الهوى، يـا ليـالي!

- الهامش للشاعر.

خطاب إلى يزيد

إرمِ السماءَ بنظرةِ استهزاءِ ... واجعلْ شرابَكَ من دم الأشلاءِ

واسحق بظلك كلَّ عرضٍ ناصعٍ ... وأبحْ لنعلك أعظُمَ الضعفاء

واملأ سراجك إن تقضَّى زيته، ... مما تدر نواضبُ الأثداء

واخلع عليه كما تشاء ذبالةً ... هدب الرضيع وحلمة العذراء

واسدر بغيِّكَ يا يزيد فقد ثوى ... عنك (الحسين) ممزَّقَ الأحشاء

والليل أظلَمَ والقطيع كما ترى: ... يرنو إليك بأعينٍ بلهاء

أحنى لسوطكَ شاحباتِ ظهوره ... - شأن الذليل - ودبَّ في استرخاء

وإذا اشتكى فَمَنِ المغيثُ؟ وإنْ غفا ... أين المهيب به إلى العلياء؟!

مثُلتُ غدرَكَ.. فاقشعر لهوله ... قلبي وثارَ، وزلزلتْ أعضائي

واستقطرتْ عيني الدموعَ ورنقتْ ... فيها بقايا دمعةٍ خرساء

يطفو ويرسبُ في خيالي دونها ... ظلٌّ أدقُّ من الجناح النائي

حيرانُ في قعر الجحيمِ معلقٌ ... ما بين ألسنة اللظى الحمراء!

أبصرتُ ظلَّك يا (يزيد) يرجُّه ... موجُ اللهيب وعاصفُ الأنواء

رأس تكلَّلَ بالخنا، واعتاض عن ... ذاك النضار[1] بحيَّةٍ رقطاء

ويدانِ موثقتانِ بالسوط الذي ... قد كان يعبثُ أمسِ بالأحياء!

قم واسمعِ اسْمَكَ وهو يغدو سُبَّةً ... وانظر لمجدك وهو محضُ هباء

[1] النضار – الذهب – الهامش للشاعر.

انظر إلى الأجيال يأخذُ مقبلٌ ... عن ذاهب ذكرى أبي الشهداء

كالمشعل الوهّاج – إلا أنها ... نور الإله يجلُّ عن إطفاء

غصّتْ بيَ الذكرى، فألقتْ ظلّها ... في ناظريَّ، كواكبُ الصحراء

مبهورةَ الأضواء يغشى ومضَها ... أشباحُ ركب لجَّ في الإسراء

أضفى عليه الليلُ ستراً حِيكَ من ... غرف الجنان ومن ظلالِ حِراء

أسرى ونام.. وليس إلا همسة ... باسمِ (الحسين) وجهشة استبكاء

تلك (ابنةُ الزهراء) ولْهَى راعها ... حلم ألمَّ بها مع الظلماء

تُنبي أخاها وهي تخفي وجهها ... ذعراً، وتلوي الجيد من إعياء

عن ذلك السهل الملبَّدِ يرتمي ... في الأفق مثل الغيمة السوداء

يكتظ بالأشباح ظمأى حشرجتْ ... ثم اشرأبتْ في انتظار الماء

مفغورة الأفواه – إلا جثة ... من غير رأس لطختْ بدماء

زحفتْ إلى ماءٍ تراءى، ثم لم ... تبلغه – وانكفأت على الحصباء

غير (الحسين) تصده عما انتوى ... رؤيا.. فكُفّي يا ابنةَ الزهراء

من للضعاف إذا استغاثوا والتظت ... عينا (يزيدَ) سوى فتى الهيجاء؟

بأبي عطاشى لاغبين، ورضّعاً ... صفرَ الشفاهِ خمائصَ الأحشاء

أيدٍ تمد إلى السماء، وأعين ... ترنو إلى الماء القريب النائي

طامٍ، أحلَّ لكلِّ صادٍ وِرْدَه: ... من سائبٍ[1] يعوي ومن رقطاء

عزَّ الحسين وجلَّ عن أن يشتري ... رِيَّ الغليل بخطةٍ نكراء

آبي يموتُ ولا يوالي مارقاً ... جمَّ الخطايا، طائشَ الأهواء

---

[1] السائب: الكلب، الرقطاء: الحية – الهامش للشاعر

فليصرعوه كما أرادوا.. إنما ما ذنبُ أطفالٍ وذنبُ نساء

عاجتْ بيَ الذكرى عليها ساعةً مرَّ الزمانُ بها على استحياء

خفقتْ لتكشفَ عن رضيعٍ ناحلٍ ذبلتْ مراشفه، ذبولَ خباء

ظمآنَ بين يديْ أبيه كأنه فرخُ القطاةِ يدفُّ في نكباء

لاح الفرات له فأجهشَ باسطاً يمناه نحو اللجَّةِ الزرقاء

واستشفع الاب حابسيه على الصدى بالطفل يومئ باليد البيضاء

رجَّى الرواة فكان سهماً حزَّ في نحو الرضيعِ وضحكةِ استهزاء

فاهتز واختلجَ اختلاجة طائر ظمآن رفَّ ومات قرب الماء

ذكرى ألمّتْ، فاقشعر لهولها قلبي وثارَ، وزلزلت أعضائي

واستقطرتْ عيني الدموع ورنقت فيها بقايا دمعةٍ خرساء

يطفو ويرسب في خيالي دونها ظلٌّ أدقُّ من الجناح النائي

حيران في قعر الجحيمِ معلّقٌ ما بين ألسنةِ اللظى الحمراء

حســـناء. يهنئـــكِ الشـــبابُ الغـــضُّ والمـــالُ العمـــيم
يهنئـــكِ يـــا بنـــتَ القصـــور الشـــمِّ أنـــك في نعـــيم
إن مَـــسَّ ظـــلٌ القصـــر بالأقـــدام بانيـــه اللئـــيم
الحـــاطمُ الصـــخرَ العَصـــيَّ بجـــدٌ معولـــه الأثـــيم
العامـــل العربيـــد يســـفر عـــن محيَّـــاه الســـقيم
ورايـــتِ آثـــار الغـــويّ ببســـمة الثغـــر النظـــيم
أو طـــاف بـــالكوخ البعيـــد تَنهُّـــدُ الطفـــلِ اليتـــيم
فظّـــاً يـــدنِّسُ وقعُـــه المســـؤومُ هـــزاتِ النســـيم
طهـــرتِ سمعَـــكِ بالغنـــاء العـــذب والصـــوت الـــرخيم
حســـناء يهنئـــك الشـــباب الغـــض والمـــال العمـــيم

* * *

يهنئـــك يـــا حســـناء هاتيـــك الـــلآلي والثيـــاب
لم يضـــرِب الغـــوَّاصُ مهتـــاجَ الخـــواطر في العبـــاب
أو يقطـــع الأنفـــاسَ والأمـــواجُ تـــرقص في ضـــباب
إلا ليحظـــى جيـــدُكِ الوســـنانُ بـــالنطفِ الرطـــاب
يقطعـــنَ أنفـــاسَ المحـــبين الظمـــاء إلى الســـراب
لم يشـــرب الفـــلاحُ وَسْـــطَ الحقـــل عريـــانَ الإهـــاب
والشمس تحرقُ، في رحاب الأفـــق، أشـــتاتَ الســـحاب

إلا ليلبسكِ الدمقسَ يضوع بالعطر المذاب

وسنان، يحرقُ أكبد العشاق في نار العذاب

فإذا عريتِ فعن دلالٍ عابث هتّكَ الحجاب

يهنيك يا حسناء هاتيك اللآلئ والثياب

* * *

لم تَسْرِ بنتُ الكوخ في أسمالها، تحت الظلام

مذعورةَ الألحاظ، عاثرة الخطى، بين الرجام

حيرى تودع خِدْرَها المهجور، بالدمع السجام>

عذراءَ.. تطرحُ جسمَها المنهوك في دار الأثام

إلا لِتُمْسِي أنت طاهرةً، مصفات الغرام

أو تسهر الليل الطويل، على ذراع المستهام

فظُّ يجرِّعُها العذابَ وقد تخطّفه الغرام

إلا ليسقيك الكرى، مما يعصّرُ، ألف جام

ما دمتِ هانئةَ الجفون، إلى الضحى، دون الأنام

فلتسر بنت الكوخ في أسمالها تحت الظلام..

* * *

إن حَوَّمَ الموتُ المروّعُ فوق هاماتِ الجنود

وجرى الدم المسفوكُ يخضب، بالأسى، بيض البنود

وهوى الرجالُ على الأسنةِ والنساءُ على اللحود

ولمحتِ أعناقَ الشعوب مصفداتٍ في القيود..

فامضي إلى النار العتية بالأزاهرِ والورود!

ما شأنُهنَّ إذا تألّقت الأساور والعقود؟

تسعَى من الشرق المخلف، وهو منتهكُ الحدود
قد بات مخضوبَ القبور، وبتِّ خاضبةَ الخدود
فلتحلمي بالعطرِ، والذهب المصفّى والبرود
إن حوّم الموت المروع فوق هامات الجنود

يهنيك أنك قد ملكتِ على رضاك العالمين
خلّفتِ أربابَ الفنون، حيال خِدْرك ساجدين
والكادحون لغير حسنكِ لم يعودوا كادحين
فالناي، مثل المنجل الجبار، مأسورٌ، سجين
والنغمةُ المطرابُ، كاللون المقيد في الجبين
أو فوق هاتيك الشفاهِ اللعسِ والطرف الضنين
في صورةٍ ظلّت تلونها دماءُ البائسين..
والشاعر النشوان، يَقْبِسُ من جمالك كلَّ حين
فنّاً يحلق فوق أوهامِ العراة الجائعين
يهنيك أنك قد ملكت، على رضاك، العالمين

حسناء إنْ دام الشبابُ فإنّ مالَكِ لا يدوم
والقصرُ ينفضُ بعدَ حين، عنه، أذرعةَ النجوم
فيعود أنقاضاً مصدّعةً يجلّلها الوجوم..
يمشي عليه الثائر الغضبان بسّامَ الكلوم
الحاطم المستعبدين، وكل جبار ظلوم..
العامل الموتور، يأخذ بالترات من الخصوم

يحنـــو علـــى الطفـــل اليتـــيم، كأنـــه الأم الـــرؤوم
فـــإذا اكتئـــابُ الكـــوخ بِشْـــرٌ لا ترنقـــه الهمـــوم
وإذا التنهـــد أغنيـــات، في جوانبـــه تحـــوم..
حســـناء إن دام الشـــباب فـــإن مالَـــكِ لا يـــدوم

إن اللآلـــئَ ســـوف تنـــزعها الأكـــفُّ الـــداميات
فيقـــر قلـــبٌ، في المقـــابرِ أو عيـــونٍ مطفـــآت
قلـــب تَنَقَّـــلَ، في البحـــار، علـــى زئـــير العاصـــفات
وعيـــون غـــواص هـــتكنَ دجـــى الليـــالي المظلمـــات
وبحـــثن في الأغـــوار، والأمـــواج كالحـــة الثيـــاب
عن كـــلِّ مـــا حَـــوَتِ القلائـــدُ، مـــن لآلـــئ لامعـــات
حســـناء والـــدنيا بأجمعهـــا تفيـــق مـــن الســـبات
قـــد آن أن تنسَـــلَّ أثـــواب الـــدمقس العـــاطرات
من جســـمك الكاســـي، إلى تلـــك الجســـوم العاريـــات
فـــإذا أبيـــتِ فســـوف تنـــزعها الأكـــفُّ الـــداميات

حســـناء والشـــعبُ المقيَّـــدُ، لـــيسَ يبخـــل بالـــدماء
تجـــري ســـيولاً، تجـــرفُ الأصـــفادَ صـــاخبةَ الحـــداء
وحنـــاجر الأبطـــال تقـــتحم العواصـــف بالنـــداء
يـــا أيهـــا المســـتعمرونَ إلى الجـــلاء.. إلى الجـــلاء
لـــن تشـــهدي والليـــلُ مختنـــقُ الكواكـــب في عمـــاء
عـــذراءَ تطـــرح جســـمها المنـــهوك في نـــار البغـــاء

فـــالجوعُ والعـــريُ اللـــذان تجاذباهـــا في المســـاء

ذابـــا علـــى نـــور الصـــباح، وذاب أصـــحابُ الثـــراء

في موكـــب الشـــعب المفيـــق يســـير خفّـــاقَ اللـــواء

لا يبخـــل الشـــعب المقيـــد، بالضـــحايا والـــدماء

* * *

إن قَطَّـــبَ المـــوت المـــروِّعُ، في وجـــوه الثـــائرين

وجـــرى دم المظلـــوم يســـبَحُ في دمـــاء الظـــالمين

فـــالأُفْق مختصـــم العواطـــف، مكفهـــر لا يـــبين

شـــد الهتـــاف علـــى هتـــافٍ، والأنـــين علـــى أنـــين

وطغـــى دُخَـــانٌ في اليســـار علـــى دخـــان في الـــيمين

فلتعلمـــي أن الأســـاور ســـوفَ تنـــزع بعـــد حـــين

أن الســـجين نـــزًا فَحَطَّـــم عنـــه أغـــلال الســـجين

والشـــرق محمـــيٌّ الحـــدود بكـــلِّ محمـــيٍّ العـــرين...

ولتعلمـــي أن الأســـير يخـــط لَحْـــدَ الآســـرين..

إن قطـــب المـــوت المـــروع، في وجـــوه الثـــائرين

* * *

والفـــن أحمـــر واســـتحالَ إلى ســـواعدَ لا تلـــين

غضـــبى، تمـــوجُ لتســـتقر علـــى رقـــاب الظـــالمين،

هـــو دمعـــة الثكلـــى، وقفقفـــة العـــراة الجـــائعين

وتَمُـــرغُ المكلـــومِ في دمـــه، وأحـــلام الســـجين

وهو ابتسامات الضحايا، وانتفاض الثائرين
فلتنبت الأرضُ الخراب[1] على سنا النجم الحزين
صبّارَها.. إنا سنملأ عالَمَ الغدِ ياسمين
ولتَلْظَ أحداقُ الطغاة فسوف تطْفَأ بعد حين
إن رنحتَها، حيثما اتقدتْ، سواعدُ لا تلين
غضبى، تموج لتستقر على رقاب الظالمين

---

[1] "الأرض الخراب": عنوان قصيدة للشاعر الإنكليزي الرجعي ت.س. أليوت – الهامش للشاعر، وقد كان بدر يصف اليوت بأنه شاعر رجعي في تلك المرحلة فحسب، أي أثناء التزامه بالخط اليساري الثوري، وانخراطه في صفوف الحزب الشيوعي العراقي.

قصـــائد للشـــاعر
لم تنشر في دواوينـه

عـــادهُ الشـــوق

عادَه الشـــوقُ وفاضـــت عبراتُـــهْ ... فشكا البعدَ وهل تجـدِي شـــكاتُهْ؟

قلبُ صبٍّ خطّت الـــذكرى بــه ... لـــك رمـــزا، رددتـــه خفقاتـــه

كلمـــا حـــاولَ صـــبراً لم يطـــقْ ... أيطيقُ الصبر مـــن غابـــت هناتـــه؟

راعه أن مـــر بالحقـــل.. ضـــحى ... فـــرأى البلبـــل تتـــرى حســـراته

أُسِرَتْ بالقلـــب آهـــات النـــوى ... وقـــديماً أســـرته ذكرياتـــه

فـــإذا بالقلـــب لا يكتمهـــا.. ... فتـــداعت مـــن صـــداها جنباتـــه

بفؤادي صـــاحبٌ رقّـــتْ سماتـــه ... تبعـــث النـــوحَ إلينـــا زفراتـــه

حركت بجـــواه في القلـــب لظـــىً ... إن ســـقاه الـــدمع زادت شـــعلاته

واحبيبـــاه بنفســـي مـــا تـــرى ... مـــن عـــذاب شملتْنـــا نكباتـــه

صَبِّر الـــنفس عســـى أن نلتقـــي ... فـــإذا خالـــد تحلـــو بســـماته

وإذا بغـــدادُ لحـــنٌ للـــهوى ... تمـــلأ القلـــبَ نشـــيداً "فتياتـــه"

وردت هذه القصيدة في مستهل رسالة أرسلها الشاعر إلى صديقه خالد الشواف من البصرة بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٤٢ (ص ٨ من رسائل السياب – جمع وتقديم ماجد السامرائي).

الخـــريف

قــاد الخريــفُ مواكــبَ الأيــامِ
فالــدوحُ نــايٌ في يــد الأنســامِ

تشــدو بــه ألحانهــا فتــهزه
بحــديثِ خمــرٍ عذبــةٍ وغــرام

أضفى على الورقاتِ صفرةَ عاشــقٍ
حُصِــدَتْ منــاه بمنجــل الآلام

حتى إذا هتــفَ النســيم بلحنــه
حَنَّــتْ لإلــفٍ في ربى الأوهــامِ

فتخف أجنحــةُ النســيم لحملــها
صعدا فتــهجر غصــنها المتســامي

فــإذا تبــدَّدَ وهمهــا وتــدافعتْ
أشــجانها في مهــبط الأحــلامِ

ســقطتْ فكــلُّ وريقــةٍ قيثــارةٌ
مقطوعــةُ الأوتــار والأنغــام

عبرت أغانيها الغنــاءَ وأصــبحتْ
تــوحي إلى الفنــان بالإلهــام

ولعلــها رأتِ المــروجَ أمامهــا
عريانةً مــن ثــوبِ عشــب نــامٍ

قد أغمضتْ كفُّ الغناءِ زهورَهــا
وبكــى الرعــاةُ لوحــدةِ الآكــام

لا طــيرَ يؤنسُــها بمــائجِ لحنــه
ويــدفُّ عــبر فضــائها المترامــي

فهوت تنبِّهُها.. ولكــن لا يعــي
الأمــواتُ لحــنَ الحــبِّ والتــهيام

قد أصبحتْ كفناً لآخِــرِ زهــرةٍ
وُلِدَتْ على فــمِ صــيفها البســام

تلك الشواطئُ أين هــمْ روَّادُهــا
كيــف انثنــوا عنــها بقلــبٍ دام؟

فلقدْ أُلِــمُّ بهــا وحيــداً شــارداً
لأعيــدَ ذكــرى ســالِفِ الأيــام

وردت هذه القصيدة في رسالة أرسلها الشاعر إلى صديقه خالد الشواف من البصرة بتاريخ ١٩٤٢/١١/٢٣. (ص ١٢ من رسائل السياب)

مضى أسائلها أيرجعُ ما مضى ... ويجودُ من أهواه بالإلمام؟
أردُ البحيرةَ أقتفي بضفافها ... آثار حبٍّ يرتجيها الظامي
رقَدتْ على أمواجها أحلامُنَا ... وتعانقت في أُلفةٍ ووئام
وغدا يُرجِّعُ ماؤها أنغامَنَا ... للصخرِ حيناً والغدير الطامي
لفراشةِ الوادي تودِّعُ نورَه ... الذاوي فتبعثُ حيرةَ الأنسام
وعلى جذوعِ الدوحِ من أيامنا ... أثرٌ يخلِّدُها مع الأعوام

قد مر مثلي بالبحيرةِ طائرٌ ... فَقَدَ الأليفَ وعاد بالآلام
حيرانَ تدعوه الغصون فينثني ... عنها ويضرب سادراً بهيام
ما زال يَنشُدُ في الربوع أليفَه ... فتجيبه الذكرى من الأيام:
"ذهب الحبيبُ فأنتَ وحدك بعده ... تأوي وجرحُكَ ليس بالملتام
فلعلَّ في الذكرى لقلبك سلوة ... ولعلَّ في الذكرى ارتواء الظامي"
والموجُ يهمس في الضفافِ بلوعةٍ ... "قد جفَّ نبعُ الطلِّ في الأكمام
فأشعةُ الفجر العذارى بعده ... ظمأى لينبوعِ الجمالِ السامي"
والفجر أُبدِلَ من شجيٍّ خريره ... بعويلِ عاصفة على الآكام
وجلا من الأفق البعيد مسارحاً ... للسُحْبِ تذرع جوَّه المترامي
والروضُ أبدل من غناء طيوره ... وصياحِ قبرةٍ وشدوِ حمام
بنعيب غربانٍ تَبَعْثَر موحشاً ... بين الربى فطغى على أنغامي
تجاوبتْ بين المروجِ مزاهرٌ ... ألحانُها دمعُ الرعاة الهامي
كلٌّ يرجِّعُ ذكرياتِ ربيعه ... فالذكرياتُ ثمالةٌ في الجام

مريضة

حبيبةُ القلب أضحَى السقُم رائدَهَا ... فمِنْ وفاءٍ لها لو كنت عائدهُ

وإنَّ فرْضاً على من كان يعذلها ... أن لم تعاوِدْه يوماً أن يعاودها

يا من يضنُّ عليها بالزيارةِ هل ... ضنَّتْ عليكَ بقلبٍ كان واحدها؟

إن كنتَ قد همتَ حقا فَهْيَ عاشقةٌ ... فهل تُعكِّرُ يا هذا مواردها؟

أو كنتَ قد حدتَ عنها فهي باقية ... على هواكَ فهل تنسى محامدها؟

لا. لم أَحِدْ عن هواها فالفؤاد لها ... والروح طوع يديها لن تعاندها

وهلْ أصدُّ وقلبي لا يطاوعني ... وكيفَ كفري بمن قد كنت عابدها؟

جفوتُ خوفَ رقيبٍ باتَ يرصدنا ... فإن تغافلتُ باتَ القلبُ راصدها

مريضةٌ؟ لك ربي يا (هويلُ) ولي ... وللقلوب التي ضلت مقاصدها

مريضة؟ لم ينلك الداءُ واحدةً ... فالروح مثلك عاد الداء وافدها

مريضة؟ ويحَ قلبي كم يكيد له ... علمي بذاك وداء كنت واردها

قريبة منكِ داري والزيارةُ لا ... يا للحبيبةِ صعب أن أشاهدها

إذا انقطعتُ عن الدنيا فلي صلةٌ ... بمن أحبُّ فكنْ يا قلبُ عائدها

وردت في هذه القصيدة في رسالة أرسلها الشاعر إلى صديقه خالد الشواف من البصرة – عشار بتاريخ ١٩٤٣/٣/٩ (راجع رسائل السياب – ص ١٩)، وقد أرخ ماجد السامرائي – الذي جمع رسائل الشاعر – هذه القصيدة بتاريخ (١٩٤٣/١١/١٥) وهذا خطأ واضح لأن الرسالة ذاتها مؤرخة بتاريخ ١٩٤٣/٣/٩، فكيف يمكن إذن أن تكون القصيدة الواردة بها مؤرخة في ١٩٤٣/١١/١٥؟! وقد أشار الدكتور إحسان عباس إلى هذه القصيدة في دراسته عن الشاعر، وأثبت تاريخها الصحيح وهو (١٩٤٣/١/١٥) – راجع د. إحسان عباس – بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره – ص ٤٢.

الشتـــاء

يا رُبَّ أمســيةٍ أظَـلَّ ســحابُها ... الــدنيا وعــاد شــتيتُه يتــواءمُ

فَرَقَتْ إليه مــن الريــاح مغــازل ... وغدت وشــائعُ قطــره تتســاجم

حتى إذا سطعتْ ذُكــاءُ بنورهــا ... واســتقبلتْها للجمــالِ عــوالم

وسمت مع الأنســامِ في معراجهــا ... قطراتُ غيــثٍ للشــعاع بواســم

عاجتْ إلى القطرات من دنيا السنا ... غيــدٌ عــذارى كالظبــاء تبــاغم

ولجتْ هناكَ خدورها واستسلمتْ ... للنومِ وَهْــيَ بمــن تحــب حــوالم

فإذا نوافذ كــل خِــدْرٍ أطلعــتْ ... حلمــا تمــد لــه الجنــاح نســائم

فتلاءمــت أحلامهــن وكونــت ... قوسَ الســحاب و لم تــزل تــتلاءم

وكأنما قوسُ السحابِ وقــد بــدا ... أوتــارُ قيثــارٍ مضــت تتنــادم

فتقاربــتْ حــتى يعــاود عزفهــا ... مــرح الأنامــل بــالملاحن عــالم

هــذا الشــتاءُ فأوســعوه تحيــةً ... فــوراءه إنَّ الربيــعَ لقــادم

وردت هذه القصيدة أو بالأحرى هذا الجزء منها في نفس الرسالة التي وردت بهــا القصــيدة الســابقة "مريضة" – رجع ص ١٩ من رسائل السياب.

في الغروب*

وقف المساء بضوئه المتغورِ ... تعباً على الشط الكئيب المقفرِ
والشمس في الأفق المزوق بالسنا ... كرة من اللهب الضئيل الأصفر
عقدت على ثبج المياه خيالها ... فجرى وسال كجدول متحدر
بل مثل درب بات يبسم للندى ... متألقاً في جنحِ ليلٍ مقمر
الموج حفَّ به فكان أزاهرا ... براقةَ الألوان ذات تغير
درب لعاطرة النسائم والشذى ... ترتاده ولطرفيَ المتحير
ولأنجم الليل الحسان تجوبه ... وتخفُّ فيه لأفقها المستعبر

* * *

يا شمسَ عمري والمغيبُ تقاربتْ ... لحظاتُه منَّا قفي وتصبري
هل تألفينَ وموج شعري لم يزل ... متواصلَ الوثبات لم يتكدر
من قبل أن تضعي على صفحاته ... درباً من الأنوار حلو المظهر؟
تمشي عليه من العطور جداولٌ ... ومن الخيال عرائس لم تبصر
وتُمرغُ النسمات فيه جبينها ... وتجوبه نظراتُ كلِّ محيَّر
وتمر فيه من النجوم كواعبٌ ... تسمو لآفاق الخيال المسكر
يا موجَ شعري في غدٍ أو بعده ... سيضيء شطَّكَ دربُ نورٍ فاصبر

* * *

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة في بغداد بتاريخ ١٩٤٦/١/٥.

وسحابةٍ مَلَكَ النسيمُ زمامها | بيضاء تخطر في وشاح أحمر
نفخت ملائكة الدجى بشراعها | وطوته في أفق الغروب الأكدر
وكأنها حسدتْ ذُكَاءَ فحجَّبَتْ | بشراعها ألقَ الجبين المسفر
لم يا سحابةُ تسترينَ ضياءَها | أو ما كَفَتْ حجب الغروب لتستري؟
الشمس ذاهبة فلا تتعجلي | والأفْقُ بين يديك فاسري واعبري
هي في الوداع وجئتِهَا فحرمتها | ما في الوداع من العزاء المثمر
وبعثتِ لي ذكرى غسلتُ دماءها | ونسيتُها فوددتُ لو لم أذكُر

قسماً بمن أذكرتني بوداعها | لقد ابتعثتِ صبابتي وتحسري
هي ذي "لبابةُ" والقلوبُ تحفها | من كلِّ منكسر الجناح مسعر
جلستْ وما جلسَ الفؤادُ من الجوى | وتبسمت فبكى ولم يتصبر
وهبتْ تحيتها لآخر غيره | فبكى.. وقال لعلها لم تبصر
وقد اكتفى — لو أنصفته — بنظرةٍ | لكنها حرمتْه طيبَ المنظر
فتحجبتْ بسحابةٍ من صحبها | وتسترتْ فصرختُ "لا تستري"
لو كان يسعفني البيانُ لصغتُها | مرثيَّةً لفؤادي المتفطر

الشعر والحب والطبيعة

زهـــر وأنســـام.. ولا أتـــرنم ... أتـــرى الطبيعـــة كلـــها لا تلـــهم؟

لا النهر جف ولا الازاهر صوحت ... فعـــلام صـــمتُك؟ أيهـــذا الملْهَـــم؟

الزهـــر أيقظـــه تواثـــبُ نســـمةٍ ... وفراشة تحـــت الكواكـــب تحلـــم؟

والنهرُ قيـــدت النســـائمُ موجَـــه ... فهبوبـــــه لهبوبهـــــا مستســـلم

وعلـــى جوانبـــه النضـــيرة غـــادةٌ ... ترميـــه بـــالحجر النـــثير وتـــرجم

فـــإذا تراقصـــت الـــدوائرُ فوقـــه ... مثـــل المباســـم خلتـــه يتبسَّـــم

وأرى خيـــالي إن بكيـــت أفـــاده ... شـــجناً يـــردُّ مياهـــه تتـــألم

وإذا ابتسمتُ بـــدا خيـــالي باسمـــا ... فإذا الميـــاه مـــن البشاشـــة تبســـم

وإذا الدجى ركبتْ متـــونَ مياهـــه ... غشيت ملاعبَـــه الفســـاحَ الأنجـــم

ويزين صـــفحتَه النـــهارُ بضـــوئه ... فـــإذا النجـــومُ زنـــابقٌ تتضـــرم

الا يـــوهج مـــاءه ظِـــلٌ الـــتي ... أهوى فخـــير منـــه كـــفٌ مظلـــم

أيسرني – وأنا معـــاقرُ وحـــدةٍ – ... إن الطيـــــورَ قرائنـــــاً تتـــرنم؟

وإذا النسائم ما عبثنَ بشَـــعر مَـــنْ ... ملكتْ هـــوايَ فليتـــها لا تنســـم

أنَّـــى التفـــتُّ فللتحســـرِ مبعَـــثٌ ... ومتى نظـــرتُ فللمـــدامع مســـجم

أيهـــز قلـــبي جـــدولٌ وبحـــيرةٌ ... وأرى على قمم الـــربى مـــا يلـــهم

وردت هذه القصيدة في رسالة أرسلها الشاعر إلى صديقه خالد الشواف من "أبو الخصيب" – بتـاريخ ١٩٤٤/٧/٢٦ والقصيدة ذاتها مؤرخة بتاريخ: ١٩٤٤/٧/١٥. (راجع رسائل السياب – ص ٣٠).

و (لبابُ) لم تطأ السهول ولا مشتْ فوق التلول حبيبةٌ تتبسم؟

أترى الطبيعة حركتْ من شاعرٍ فمضى بدون هوى دعاه يهيم؟

وترى البحيرةَ ماءها وصخورَها لولا تذكُّرُ (أو نعير)[1] — تتيم؟

وألذُّ من شعر الطبيعةِ غنوةٌ الحبُّ في جنباتها يتكلم

---

[1] ورد اسم "أو نعير" في هذا البيت، والواقع أن هذا خطأ، لا أستطيع أن أقول إنه من الشاعر أو من جامع الرسائل لأنني لم أطلع على الرسائل في صورتها الخطية. وصحة الاسم "أولفير" وهي حبيبة الشاعر الفرنسي لا مارتين، التي تذكرها في قصيدته "البحيرة".

قصة خصام

أسكري أنْجُم المساء الطروب   وارقصي حولهن حتى تذوبي

واتبعي ظلَّهن في الجدول الساجي، وأشباحهن بين الدروب

واسرقي من لفائف البرعم الغافي جناحيْن رُقِّشَا باللهيب

رنقا حول هدبه ثم دفّا   في رؤاه فراشةً من طيوب

واصدحي في جوانحي يا أناشيدُ،   ورفّي على شفاه الغيوب

الخصام الثقيل ألقت عليه   ظِلَّها ضمةُ التلاقي فزالا

واختلاج الشفاه تلقي سؤالاً   غير ما تشتهي وتخفي سؤالا

والعيون التي تظلل بالهدب اشتياقاً، ولهفةً، وابتهالا

والسكون الذي يلملم أصداءَ التحايا، وينسج الآمالا

والفراغ الذي يريد امتلاءً   والظنون التي تخاف الملالا

كوكبٌ لاحَ، وانتظار تلاشى   في انتظار.. وضحكةٌ سوداءُ

نشرت هذه القصيدة في مجلة "البيان" العراقية التي كان يصدرها علي الخاقاني، في عددها ٦٩، ٧٠ - الذي صدر بتاريخ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٩، والأرجح عندي أن هذه القصيدة من حصاد عام ١٩٤٨ لا عام ١٩٤٩، وإن كان بدر قد نشرها في عام ١٩٤٩، وذلك لأنها تصور "قصة خصام" للشاعر مع زميلته "المنتظرة"... لميعة عباس عمارة، وقد انطوت صفحات القصة كلها عام ١٩٤٨، وفي عام ١٩٤٩ كان بدر بعيدا عن لميعة حيث كان يعمل مدرساً للغة الإنجليزية بإحدى مدارس لواء الرمادي، وكانت لميعة لم تتخرج بعد من دار المعلمين العالية.

وصدى تعرفُ الظهيرةُ معناه وكأسٌ يذوب فيها المساء

و (انتهينا)[1] تهز في كفي الكأس.. وحزن كأنه استهزاء

انتهينا؟! أهكذا قالت السمراء؟ هيهات! تكذب السمراء

انتهينا؟! أهكذا قالت السمراء؟ هيهات لن يكون انتهاء

إنه الليل و"انتهينا" هتاف   في رقادي مفجع الأنغام

والرؤى السود مائجات على جفن يبوح انطباقُه بالمدام

جذوة في السماء كالشمس، حمراء.. وظلّ مقنع بالظلام

وشفاه على المدى شاحباتٌ   و"انتهينا" صدى وراء الغمام

وجناحان يمسحان الشفاه الصفر بالظل تارة والضرام

(سوف ألقاكَ) همسةٌ من هوانا   رددتها مع الضحى شفتان

الرنين اللجوج.. والهاتف المصغي إلينا.. وغصةٌ بالأماني

وانطلاق إلى اللقاء المرجّى   أنكرتْ فيه غيظَها قدمان

وظلال الخصام ضاعت لديها   (سوف ألقاك) وانطوتْ فرحتان

لم تزل توثق الشقيّينْ حتّى   حطمتها على التلاقي يدان!

[1] انتهينا.. كلمة كانت لميعة قد أنبأت بدر بها، وأثرت الكلمة في نفسه كثيرا، فراح يكررها عدة مرات، تماما مثلما أثر فيه قولها: "ساهواك حتى تجف الدموع.. وتنهار أضلعي الواهية، وقد كرر بدر هذا القول في قصيدته "نهاية" بصورة ساخرة حيث أخذ يقطع عبارة الشاعرة، معلقا عليها إلى أن وصل في تلك القصيدة إلى تعليقه القائل: "ساهواك"... ما أكذب العاشقين!"..

أمّ سجين في نُقرة السلمان

في قلعةٍ جُبلَتْ حجارتها ... بدمِ القلوب وباردِ العرَقِ
ظلماء يلهث في مغاورها ... داجي الهواء لهاث مختنق
وتعفن الزمن الحبيس لدى ... جدرانها طبقاً على طبق
وتلظت الصحراء فاغرةً ... عنها فم المتثائب القلق
حيث النهار هجيرةٌ ودجى ... والليل غاشيةٌ من الأرق
قلب أعزُّ من الحياة على ... قلبي.. يلوك بقيَّة الرمق

ما كاد يخطر أمسِ في بالي ... أني سأشهدُ موتَ آمالي
إني أمد يدي فيمنعني ... عن أن أضمكَ حائطٌ عال
أأرى النجوم ولستَ تبصرها ... إلا خلال كُوىً وأغلال
تحنو وتسطع.. مثلما خفقتْ ... في ركضها أقدام أطفال
وشواطئُ الأنهار ضاحكةٌ ... لك والسنابل والضحى العالي
وأظلُّ أحلم ثم ينبئني ... كيف انتهيتَ سريركَ الخالي

أفللسّجونِ ولدّته؟! أجرى ... عرقي وزلزل جسمي الألم

وردت هذه القصيدة في كتاب "الحكم الأسود في العراق" تأليف غائب طعمة فرمان – ص ٦١، ٦٢، وهي من قصائد عام ١٩٥٢.

وضحكتُ والحمى ترج دمي — والدمع في عينيَّ يضطرم
لما استهل وأدركته يدي — ورأيت كيف تَجَسَّدَ الحلم
ليموتَ – أينع مايكون – طوىً — بئسَ القضاءُ وبئستِ النظمُ
تلك العظام أكنت أطعمها — لحمي، وأبنيها وأهزم
ليدكّها نمِلٌ ويركلها — بحذائِهِ المتجبِّرُ العرم

إني اغتصبت من الردى ثمناً — لدم الشهيد ودمعي الجاري
حسبوه بَخْساً وهو لو علموا — وعد البذور بقطف أثمار
إني عرفت وقبلي اطلعتْ — مقل الثكالى من كوى الثار
أنْ ليسَ من ولدٍ لوالدةٍ — حتى يجندل كلّ جزار
حتى يحرِّرَ حيثما سمعت — أمّ تدثر طفلها العاري
باسم السلامِ فداعبتْ فمها — خلل الدموع طيوفُ آذار

العودة

إذا عدت من وحدتي واغترابي
أصيلانَ يومٍ حزين السحاب
حديقتُنا فيه تنضحُ موتا
وصمتَا
وتنثر أوراقها في اكتئاب
وأنت تلفين صمت الحديقة
على غمغمات الأسى في كتابي
تطلين منها بعينيْ (وفيقه)
على عالمٍ خلف سور الحديقه
إذا عدت أعجز عن طرق باب
وعن صيحةٍ، من بعيد، مشوقه
تدحرجني عجلاتٌ تدور
كدوامة الماء / شُدِدْتُ بكرسي
ألوذ عليه بنفسي وبالانكسار الهوى والحبور!

نشرت هذه القصيدة في جريدة "الأنباء الجديدة" العراقية - عدد ٢٣ - الصادر بتاريخ ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥. وهذا هو النص الكامل لها كما ورد في تلك الجريدة. والواقع أن هذه القصيدة قد نشرت ضمن قصائد "إقبال"، وهو الديوان الذي جمعه ناجي علوش بعنوان "حميد"، وقام جامع الديوان بحذف الأبيات من الأول إلى الثاني والعشرين - راجع ديوان "إقبال" - ص ٣٦، حيث تبدأ القصيدة بالبيت الثالث والعشرين من هذا النص الذي أوردته نقلا من جريدة "الأنباء الجديدة".

فـــــــلا تهتفـــــــي: (آه.. واحســــرتاه
تحطمـــــت قبـــل انقضـــــاء الشــبـاب)
فـــــــإني لأدري بــــــــأن الحيــــــاة
قـــــد اســـــتدرجتني إلى الفاجعــــــة
إلى هـــــوة، كـــــالردى، مــــن عــــذاب
وإني أحـــــاول نســــيان مـــــا بي
وأتبـــــع أحلامـــــــيَ الخادعـــــــه

"حميـــــد" أخــــي في الـــبلاء الكـــبير
فقــــــد كـــــان مثلــــي كســـيحا
يــــــدب بكرســـــيه مســــتريحا -
تســــاءلت عنــــه فقــــالوا: "يســــير
علــــى قدميــــه فقــــد عــــاد روحــــا
لقــــد مــــات".. يــــا ويلنــــا للمصــــير
ينــــــام ورجــــــلاه مطويتــــــان
شـــــهوداً علـــــى الـــــداء في قـــــبره
إذا مـــــــا رأى الله رأي العيـــــــان
وقـــــد ســـــار زحفـــا علـــى صـــدره
فـــــأي انســـــحاق وأيُ انكســـــار
يشــــعان مــــن عينــــه الضــــارعه
ســـــيبكي لـــــه الله مـــــن رحمـــــة واعتـــــذار

وفي الســـــــــــاعة الســـــــــــابعه
إذا ذرت الـــــــــــريح ورد الغـــــــــروب
ســـــــأجلس في الشــــــــرفة الخاليــــــــه
ومــن تحــتيَ الــدرب يخفــق، ينــأى، يــذوب:
ألـــــوف مــــــن الأرجـــــــل الماشـــــيه
إلى أي مبغـــــــــــــى وراء الـــــــــــدروب
وخمـــــــــارةٍ في الـــــــدجى نائيــــــــة!!
إلى اللغـــــــو والقهقهـــــــات الكــــــذوب!!
وألمــــــــح فيمــــــــا وراء الظـــــــلال
حميـــــــــداً وكرســــــــيَّه في الخيـــــــال
فتخــــــــــنقني اللوعـــــــــة الباكيــــــــــه
فــــــأواه لــــــو توقـــــدين الشـــــموع
لــــــدى مســـــجد القريـــــةِ المتـــــرب
تمــد مــن النــور خيطــاً تعلّــق فيــه الــدموع
ولــــــو تضــــــرعين، مـــــع المغـــــربِ
إلى الله: "يــــا ربٍّ رفقــــاً بطفلــــي الصــــغير
وأبــق أبــاه
وجنْبــــــهُ، يـــــا ربهٌ، هـــــذا المصـــــير!"
ولكـــــــني مـــــــنه .... واحســـــــرتاه!

هــل كـان حبـاً

هــــل تســـمين الـــذي ألقـــى هيامـــا؟

أم جنونـــــا بالأمــــاني، أم غرامـــــا؟

مـــا يكـــون الحـــب؟! نوحـــا وابتســـاما؟

أم خفـــوق الأضـــلع الحـــرى، إذا حـــان التلاقـــي

بـــين عينينـــا.. فأطرقـــت، فـــرارا باشـــتياقي

عـــن سمـــاء لـــيس تســـقيني، إذا مـــا

جئتـــــها مستســـــقيا، إلا أوامــــا؟

هـــــل يكـــــون الحـــــب أني

بـــــت عبـــــدا للـــــتمني!؟

أم هــــو الحـــب اطـــراح الأمنيـــات

والتقـــاء الثغـــر بـــالثغر، ونســـيان الحيـــاة؟

واختفـــاء العـــين في العـــين انتشـــاءا

كانثيـــال عـــاد يفـــنى في هـــدير

نشرت هذه القصيدة في ديوان "أزهار ذابلة" – ص ٦٨، وهي مؤرخة بتـاريخ: ١٩٤٦/١١/٢٩ وقـد كتبها الشاعر في بغداد، وبها يؤرخ لتاريخ كتابته أول قصيدة من الشعر الحر، وهي القصيدة التي يعده – بفضلها – كثيرون من النقاد والباحثين رائد الشعر الحر في الوطن العربي. وقد نشرت هذه القصيدة مرة أخرى في ديوان "أزهار وأساطير"، – ص ١٣٩. وقد أجرى الشاعر تعديلات كثيرة على الـنص الثاني المنشور في "أزهار وأساطير" كما سابين.

أو كظــــــــــل في غــــــــــــــدير ...

أمــــس... بـــــالأمس التقينــــا في ســــفار

هـــاج ذكـــرى كـــاد ينســـاها وينســـاني زمــاني

كـــان يـــوم آمنـــتْ فيـــه الأمـــاني بالأمـــاني

كـــان يـــوم فـــك عـــن ســـاعاته غـــل المـــدار

ثم أمســـــــى تحـــــت أقـــــدام الليـــــالي

مثـــــــل جـــــــرح في الرمــــــــال

داســــــــه الركـــــــب وســـــــارا...

يومــك المرمــوق... لا يــوم تقضّــى قبــل عــام

فـــاسمعيني، فالأمـــاني كلـــها أن تســـمعيني:

أذكـــرتني فرحـــة اللقيـــا بصـــهبائي وجـــامي

آن أن تحســـي علـــى نخـــب العيـــون!

بـــــــت أســـــــقاها دهاقـــــــا

أحســـــــب الشـــــــرب اعتناقـــــــا

بيننـــا، هـــل كـــان حبـــا مـــا أعـــاني؟!

العيـــون الحـــور، لـــو أصـــبحن ظـــلا في شـــرابي

جفـــت الأقـــداح في أيـــدي صـــحابي

دون أن يحظـــــين[1] حـــــتى بالحبـــــاب

هيئـــي يـــا كـــأس مـــن حافاتـــك الســـكري مكانـــا

تتلاقـــــى فيـــــه يومـــــا شـــــفتانا

في خفـــــــــوق والتـــــــــهاب

وابتعـــاد شـــاع في آفاقـــه ظـــل اقتـــراب!

أهـــي حـــب كـــل هاتيـــك الأمـــاني؟

أم رؤى ســـكران بجنـــون اللغـــى طلـــق المعـــاني

غـــارق الألحـــاظ في غـــور مـــن الأقـــداح ... نـــاء

راســـم بالإصـــبع الحمقـــاء، في عـــرض الفضـــاء

كـــل أسمـــاء الحبيبـــات الحســـان

كلمـــا نـــادى ... أتـــاه الســـاقيان

بـــالطلى آنـــا ... وآنـــا بالأغـــاني؟

كـــم تمـــنى قلـــبي المكلـــوم لـــو لم تســـتجيي

مـــن بعيـــد للـــهوى أو مـــن قريـــب

آه لـــو لم تعـــرفي، قبـــل التلاقـــي مـــن حبيـــب!

أي ثغـــر مـــس هاتيـــك الشـــفاها

ســـاكبا شـــكواه آهـــا ثم آهـــا؟؟

---

[1] ورد فعل "يحظين" على هذا النحو: "يحضين" وأعتقد أن الشاعر عندما نسخ قصيدته من جديد كتب "الظاء" "ضادا"، على طريقة النطق في العامية العراقية.

غـــير أني جاهـــل معـــنى ســـؤالي عـــن هواهـــا

أهـــو شـــيء مـــن هواهـــا... يـــا هواهـــا؟!

أحســـــــــد الضـــــــــوء الطروبـــــــــا

موشـــــكا، ممـــــا يلاقـــــي، أن يـــــذوبا

في ربـــــاط أوســـــع الشـــــعر التثامـــــا

الســـماء البكـــر مـــن ألوانـــه آنـــا وآنـــا

لا ينيـــــــل الطـــــــرف إلا أرجوانـــــــا

ليـــت قلـــبي لمعـــة مـــن ذلـــك الضـــوء الســـجين.

أهـــو حـــب كـــل هـــذا؟؟ خـــبريني!

أنـــا لا أزال وفي يـــدي قـــدحي ... يا ليل.. أيــن تفــرق الشــرب؟

مـــا زلـــت أشــربها، وأشــربها ... حـــتى تـــرنح أفقـــك الرحـــب

الشـــرق عُفِّـــر بالضـــباب فمـــا ... يبدو، فـــأين ســـناك يـــا غـــرب؟

ما للنجوم غرقن — مـــن ســـأم — ... في ضـــوئهن وكـــادت الشـــهب؟

أنـــا لا أزال وفي يـــدي قـــدحي ... يا ليل — أيـــن تفـــرق الشـــرب؟

الحـــان بالشـــهوات مصـــطخب ... حـــتى يكـــاد بهـــن ينـــهار

وكـــأن مصـــباحيه مـــن ضـــرج ... كفـــان مـــدهما لِـــيَ العـــار

كفان!! بـــل ثغـــران قـــد صـــبغا ... بـــدم تـــدفق منـــه تيـــار

كأسان ملؤهمـــا طلـــى عصـــرت ... مـــن مهجـــتين رماهمـــا الحـــب

أو مخلبـــان عليهمـــا مـــزق ... حمـــراء تـــزعم أنهـــا قلـــب!!

الخمـــر جمعـــت الـــدهور، ومـــا ... فـــيهن بـــين جوانـــب الحـــان

يا ويحهـــا! أســـكرتُ أم ســـكرتْ ... أم نحـــن في الســـكرات ســـيان؟

رمـــت العـــوالم والـــدهور علـــى ... ثغـــري وفـــوق يـــدي وأجفـــاني

كفـــي تمـــد فمـــا تنـــاولني ... كأســـا لعَـــيني خمرهـــا نهـــب

وأصـــافح الـــدنيا.. فيـــا عجبـــا ... البعـــدُ لانَ.. وأعـــرض القـــرب!

يا ليـل أيـن تطـوف بي قـدمي
في أي منعـرج مـن الظلـم

تلك السبيل.. أكاد أعرفها
بالأمس خاصر طيفها حلمي

هي غمد خنجرك الرهيب وقد
جردته ومسحت عنه دمي

تلك السبيل، على جوانبها
تتمزق الخطوات أو تكبو

تتثاءب الأجساد جائعة
فيها... كما يتثاءب الذئب!

حسناء يلهب عريها ظمئي
فأكاد أشرب ذلك العريا

وأكاد أحْطِمُه فتحطمني
عينان جائعتان، كالدنيا

غرستْ يدُ الحمَّى على فمها
زهرا طوى شهواتها طيا

إن فتحته بحَرِّها شفة
سكرى يعربد فوقها ندب

رقص اللهيب على كمائمه
ومشى الطلاء يهزه الوثب!

عين يرنح هدبها نفسي
وفم يقطع همسه الداء

ويد على كتفي ملجلجة
رباه.. ويلك! أتلك حواء؟!

لا كنت آدمها ولا لفحت
فردوسي الخمريَّ صحراء!

صوت النعاس يرن في أفقي
فتذوب ناعسة به السحب

إن الفراش يقيك يا قدمي
سوء العثار إذا دجى درب

أنا حائر... متوجف... قلق
كالظل بين جوانب البحر

المد قربني إلى شبحي
والآن تبعدني يد الجزر

وأنا الضياء تخيفني دجن
وأخاف أن سأضيع في الفجر

يا نوم كلُّ عوالمي حجب
ولو التقيتك ذابت الحجب

وانثال من سهري على سهري ... ينبوعك المتثائب الرطب

أثملت بين جوانحي أملا ... ما كنت أعلم أنه أمل

مثل الفراشة عاد يحبسها ... دوح بذائب طله خضل

لولا خفوق جناحها غفلت ... بيض الأزاهر عنه والمقل

أنا من ظلالك بين أودية ... عذراء، كل سهادها عشب

هام الضباب على جوانبها ... طل الوشاح... كنجمة تخبو

أنا كوكب ظمآن ترعشه ... نطف مؤرجة من السحر

أنا غير جسمي – عالمي حلم ... بكر الظلال، ولحنه عمري

قلبي تغرب عن أحبته ... وانسلّ من نغماته وتري

فإذا لثمت فغير خادعة ... باتت لكل مخادع تصبو

وإذا شدوت أرنّ في أفق ... عبر السماء، غنائي العذب

هو يا فؤادي طيفها مسحتْ ... عنه الترابَ أناملُ الغسق

هو غير تلك... أما ترى ألقا؟ ... هو من دمائك أنت من حرقي

هو غيرها... غدرت، وبادلني ... حبي، وضمد بالسنا أفقي

ومن المهازل أن يرى أمدا ... بين الخيانة والهوى هدب!

أين العوالم؟! كيف غيّرها ... نوم يرف وخاطر صب؟!

خفقت ذوائبها على شفتي ... وسنى، فأسكر عطرها نفسي

نهر من النفحات أرشفني ... ريحا تريب بجامر الغلس

فكأن نايًا ضمخته يَدًا ... آذارَ، ناغَمَ ليلةَ العرس
فغفا وما زالت ملاحِنُه ... ملء الفضاء، يعيدها الحب
أو أن سوسنةٌ يراقصها ... رجع الغناء، بشعرها تربو

يا قبلة أخذت على عجل ... أفدي بعمري ذلك العجلا
الشعر سَتَّرَ بالظلال فمي ... فهوى على الوجنات واشتعلا
فعلى جوانبهن منه سنا ... يدعوه من جهل الهوى: خجلا
فضح احمرارك يا خدود فما ... ما زال يفضحني بما يحبو
هو طفلك اللاهي ينازعه ... أبدا إلى زهراتك اللعب

يا جسم ذاك الطيف، يا شبحا ... من ذكرياتي، يا هوى خدعا
لعناقي الحنقات ما برحت ... تعتاد خدرك والظلام معا
خفقت بأجنحة الغراب على ... عينيك تنشر حولك الفزعا
الصبح، صبحك، ضحك شامتة ... دام، وليلك مضجع ينبو
وإذا هلكت غدا.. فلا تجدي ... قبرا... ومزق صدرك الذئب!

والبوم يملأ عشه نتفا ... من شعرك المتعفر الضجر
ويعود ثغرك للذباب لقى ... ويداك مثقلتان بالحجر!
لا تدفعان أذاه عن شفة ... بالأمس أخرس لغوها وتري
وليسق من دمك الخبيث غدا ... دوح تعشش فوقه الغرب
تأوي الصلال إلى جوانبه ... غرثى... ويعوي تحته الكلب

ويعــود، مــن خشــباته، نــزق | جــان، بمقــبض خنجــر دام
ويعــد منــه ســرير زانيــة | تهــوى فتثقلــه بآثــام
وتظــل أعــواد المشــانق مــن | أعــواده، كُسِــيتْ بأجســام
حــتى إذا عصــف الــذبول بــه | وهــوى عليــه المعــول العضــب
كــان الوقــود لقــدر ســاحرة | بــين المقــابر شــأنها القشــب

أعـــاصيـــر

(١٩٤٨)

هذه المجموعة

جمع هذه المجموعة وأعدها للنشر عبد الجبار العاشور. وقد أصدرتها، في طبعتها الأولى، وزارة الأعلام، مديرية الثقافة العامة في العراق.

واليوم تعيد دار العودة طباعتها، كما هي، دون حذف أو تغيير.

وتأتي هذه المجموعة "الأعاصير" الثالثة بين مجموعاته الأولى، بعد أن صدرت قبل البواكير وقيثارة الريح.

ويلاحظ قارئ هذه المجموعة أنها من الشعر السياسي الملتزم، وأنها تمثل مرحلة أكثر تطوراً من المجموعتين السابقتين من الناحية الفنية، ومن ناحية الالتزام السياسي.

هل تعود هذه المجموعة إلى سنة ١٩٤٦؟ هذا ما يتساءله الأخ عبد الجبار العاشور، الذي أعدها للنشر. ولكنه يضيف أنّ بدراً ألقاها في وثبة ١٩٤٨. فهل يعني هذا أن بدراً لم يستلهم من الوثبة شيئاً؟

إن قصيدة "عربد الثأر فاهتفي يا ضحايا" تشير إلى قبر "جعفر" البارد المحزون. وجعفر المذكور هنا هو جعفر الجواهري، أخو الشاعر محمد مهدي الجواهري، الذي قتل سنة ١٩٤٨، أثناء الوثبة. وهذا يرجح أن تكون القصيدة

المذكورة من انتاج سنة ١٩٤٨، أو أن يكون بدر قد أضاف هذا البيت بعـــد استشهاد جعفر.

وعلى كل حال فالمجموعة تغطي المرحلة ١٩٤٦ – ١٩٤٨ من حياة بـــدر الشعرية، وهي المرحلة السابقة على "أزهار ذابلة".

ونكون بإصدار هذه المجموعة قد غطينا سنوات بدر الشعرية الأولى كلـــها (١٩٤١ – ١٩٤٨) ومن هنا تنبع أهمية المجموعات الثلاث: البواكير، قيثـــارة الريح، الأعاصير.

٧٢/١٠/١٧

مقدمـــــة

من المهم جداً أن أبين أن قصائد هذه المجموعة كلها كانت وليـــدة ســـنة ١٩٤٦، وقبل هذا التاريخ. فقد ألقاها الشاعر جميعاً في تجمعات سياسية أقيمت على وجه التحديد في قاعة المكتبة الإسلامية الواقعة في محلة السيف في البصرة، وكان بدر وقتها يعيش فترة فصله من دار المعلمين العالية.

حصلت على أغلب هذه القصائد منه شخصياً. وفي وثبـــة كـــانون ســـنة ١٩٤٨ كانت كل القصائد التي ألقاها في حشود المتظاهرين هي بالذات بعض قصائد هذه المجموعة دون أن أسمع منه شيئاً آخر غيرها. سألته عـــن إصـــدارها بديوان حين عاد إلى دار المعلمين وكنت أنا أحد طلابها فأكد رغبته في إصـــدار الأعاصير وكان يأمل أن يتمكن من ذلك بعيد إصداره لديوانه الأول (أزهـــار ذابلة)، ولكنه لم يكن يتوقع موافقة السلطة يومذاك على نشر هذا النوع مـــن النتاج، فهي تحاربه وتسد عليه المنافذ، ويلوح لي أنه حين تقدَّم به الزمن وابتعد عن التزامه السياسي وقت كتابتها رغب في أن يترك كل ما كان له مع ذلـــك الالتزام أو أنه فقدها لأنها لم تظهر في واحد من دواوينه.

وأرى أخيراً أن أشير إلى روابط صداقة جمعتنا في فترات متباعدة أهمها السنوات الأخيرة من حياته في المعتقل في مدينتنا البصرة، حملتني دوافع الوفاء له وللأدب العربي أن لا أدع هذه القصائد تقبع في زوايا النسيان ثم الضياع فدفعتها إلى وزارة الإعلام فكانت هذه المجموعة...

عبد الجبار العاشور

ملاحظة:

قصيدتا "عربد الثأر فاهتفي يا ضحايا" و "حطمت قيداً من قيود" أضيفتا إلى المجموعة من قبل الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد.

عربد الثأر فاهتفي يا ضحايا

بسـة النور في ثغور الجراحِ ... أنتِ قبل الصباح نجمُ الصباحِ
كلما حتِ في خيال الطواغيت، ... وألهبتِ مرقدَ السفّاح
ذابَ قيدٌ على اللظى، وتراخت ... قبضاتٌ على حطامِ السلاح
واختفتْ كالظلالِ تنحلُّ في النار، ... وجوهٌ تخفُّ بالأقداحِ

* * *

كلما لحتِ هللَ الشعبُ أسوان، ... يبثُّ ابتهاجهُ في النواح
وتحدّى الطغاةَ بالساعدِ المفتول ... من عاملٍ، ومن فلّاح
كان في غفوةٍ، فلما ملأتِ الـ ... ـنوم في مقلتيه بالأشباح
هبّ غضبان، يهمز الثأر بالثأر، ... ويمشي على لهيب الكفاح
يا عيون الجراح، لولاكِ ما امتـ ... ـدتْ عيونٌ إلى الستار المزاحِ
تبصرُ الظلمَ عارياً، والطواغيت ... كأوراقِ دوحةٍ في الرياح

* * *

جرَّد البغيُّ خنجراً في دجى الليل، ... وأهوى على الحمى المستباح
فاهتدتْ أُمة على لمعةِ النصل ... وقد عبَّ من دماء الأضاحي
واستضاءت في بسمةٍ من شهيدٍ ... ومشتْ فوق معبرٍ من جراح

* * *

عربدَ الثأر فاهضي يا ضحايا ... واطرحي عنكِ باردات الصفاحِ
كلما ألهبَ الدجى حزن بغداد ... فغصَّتْ بدمعها النضّاح

وانظري، هـل تـرين إلا ثكـالى وأيـامى يضـربن راحـاً بـراح

وانظري!! ما يزال جلاّدك السكران فـوق الثـرى طليـقَ الجنـاح

واسألي قبرَ "جعفر" البارد المحـزون مـا ذنـبُ هـذه الأرواح

* * *

جعفرَ الحق، يا نشـيد البطـولات تغنّيـه تحـت ظـلِّ الصـفاح

مُدَّ من قـبرك المـدمى بيمنـاك.. فمـا زلـتَ حامـل المصـباح

أنتَ مزَّقت ظلمة الليـل بـالنور، فـلا تهـنَ مقلـةُ السـفاح

حطمت قيداً من قيود

حرَّرت بالـدم كـلَّ جيـلٍ نـاء ... آتٍ سـيذكر منـةَ الآبـاءِ
ورقيت من جثث الضحايا سلماً ... يُفضـي إلى الحريـة الشـماء
وجعلتَ أحجارَ القبـور صـحائفاً ... وملأتهـنَّ بروائـعِ الأنبـاء
فتلفَّـت التـأريخ يلقـي نظـرةً ... عجلى، ويـومئ باليـدِ الحمـراءِ:
أنَّ الضـحايا قصَّـرتْ أعمارُهـا ... في الموت، عمرَ "السـادة" الأحيـاء

* * *

وعصابةٍ جمع الشـرابُ لصوصـها ... في مخـدعِ الآثـام ذات مسـاء
آلت تبيعك للغريـب. وأقسـمتْ ... بالليـل، والخمـار، والصـهباء
ألاّ يـذوبَ الصـبحُ في أقـداحها ... إلا وأنـت مكبـلُ الأعضـاء
وتسلمتْ عن كـل جـرحٍ مثلـهُ ... ذهباً، فـأثرتْ مـن دمِ الأشـلاءِ
قال "الحليفُ" كما يشاء، ووقَّعـتْ ... باسمِ الجياع، "صـحائفَ" الأرزاء
في كـلِّ سـطرٍ آهـةٌ مـن أيّـمٍ ... ولهـى، وكفّـا سـائلٍ بَكّـاء
عشرون عاماً روَّعـتْ أشـباحها ... مهدَ الرضـيع، ومرقـدَ العـذراء
سوداء، يحتضنُ السـنابلَ طيفهـا ... ويهـدّدُ التنـورَ بالإطفـاء
ويظلُّ يرسـمُ في الفضـاء بأصـبعٍ ... حمقاء، ظـلَّ "الخبـزةِ" السـوداء
ويظلّ ينظر مـن نوافـذ مجلـسٍ ... عالي الـدعائم، واطـئ الأهـواءِ
قذف "الأجيرُ" برائديـه وصـحبهِ ... في جانبيـه، فغـصَّ "بـالعُمَلاء"
النائمين علـى الحريـر وحـولهم ... شـعبٌ مراقـدُهُ علـى الغـبراء

التاركين لكلِّ كوخ آهةً ولكلِّ قصرٍ ضحكةَ استهزاء
السارقين من الرضيعِ وأمِّه "لبناً" لكلبِ نابحٍ وجِراء
السالبين من العذارى بسمةً ذابتْ فكانت "لمعةً" لحذاء
والصانعين "قياثراً" أوتارها أعراقُ هذي الأمةِ "الخرساءِ"

* * *

ومشتْ لتفرضَ بالحديد قيودَها والنارِ، "شرذمةٌ" من الأُجراء
حتى انتفضتَ، فلا الرصاص مزمجراً يثني خطاك، ولا "الوعيد" النائي
ووقفت تهزأ بالمنايا، عاضداً عزمَ الشباب بصبيةٍ ونساء
ووقفت تدفعُ بالحجارةِ والحصا كيدَ الطغاة، وباليدِ العزلاء
حطَّمتَ قيداً من "قيودٍ" فاتَّخذْ للباقيات تأهُّبَ الأكفاءِ
إنَّ "الحليف" هو الحليف وإن صفا لا تخدعنَّك صبغة الحرباء

* * *

حيث التفتَّ رأيت شعباً جائعاً عريان، يملأ جوفه بالماء
يسقي الزروع دماً لتثري "طغمةٌ" تبني سعادتها على الإشقاء
وإذا تضجرَ "أطعمته" رصاصها و"كسته" بالأكفان والبوغاء
عادت مناجله سرايا يجتلي فيهنّ وجه الثورة الحمراء

* * *

قلْ للحليفةِ ليس يجدي "برقعٌ" فاليوم تهتكه يدُ الأنواء
بالأمس عبأت الجيوش وأعلنتْ حرباً على الفاشيةِ النكراء
فتحطمتْ بيدِ الشعوب سلاسلٌ ومدى، وأجنحةٌ من الظلماء
واليوم تلتقط الشظايا في الثرى وتلمُّ ريشاً طار في النكباء
أتكون "منقذة الشعوب!" كهتلرٍ ويفوقُ "روما" محورُ الحلفاء؟

يا حافز "الغوغاء"، يعصرُ مجدَهُ ... بالسوط، من أجسادها الصفراء
إنّ الجراح، وقد فتحتَ ثغورها، ... يحفرنَ قبركَ في الغدِ المترائي
حرّكتَ في المستقبل الداجي يداً ... بيضاء تمسحُ أدمعَ البؤساء
وعوالمَ اغتصبَ الخيالُ رتاجها ... في لجةٍ هي "واقعُ" الأبناء
الظلمُ يزرع في السجون بذورَها ... والشعب يحصدُها على الأشلاء!
ويكاد يخترق الزمانَ بنوره ... يومٌ أطلّ بأعينِ الشهداء
صبغتْ حواشيه الدماءُ، ولوّنتْ ... فيه الظهيرةُ أوجهَ "الغوغاءِ"
وأكاد ألمحُ في بقايا نقعهِ ... جيشَ الطغاة مبعثر الأجزاء

* * *

عاد الحليفُ بباليات عهودهِ ... فرقاً يُحجّبها عن "الإلغاء"
يتلمسُ "التعديلَ" من أعوانهِ ... ويحوك ألفَ دسيسة عمياء
ويبثُّ في الظلماءِ من أذنابه ... زُمَراً تنافق جهرةً، وتُرائي
واستيقظ الإرهابُ يفركُ مقلةً ... رغم النعاس، دقيقة الإحصاء
عدّتْ على الأحرار آثار الخطى ... والآهة الحرّى على السجناء

* * *

قلْ للحليفةِ إنّ شعباً واعياً ... هيهات أن يرضى بغير جلاء

في يوم فلسطين

يا راقصين على دمِ الصحراءِ ... قد آن يوم الثورة الحمراءِ
تلك الشرارةُ بعدَ حين تنجلي ... عن زاخرٍ بالنار والأضواء
اليوم يحطم كلُّ شعبٍ ثائرٍ ... سودَ القيودِ بضحكةِ استهزاء
ويدٍ يفرُّ البغي من هزّاتها ... حمراءَ ضرَّجَها دمُ الشهداءِ
فضتْ فمَ المستعمرين بلطمةٍ ... لا غيرَ قاتلةٍ ولا شلاّء
واليوم يصرخُ كلُّ حرٍّ غاضبٍ ... في وجه كل مهوّسِ الآراء
تلك المواطنُ أين عنها أهلُها ... فتروح تعرضها على الغرباء؟
والقدسُ ما للقدس يمشي فوقها ... صهيونُ بين الدمع والأشلاء
ما هتلرُ السفاح أقسى مديةً ... يوم الوغى من هتلر الحلفاءِ
يا أختَ يعرب لن تزالي حرةً ... بين الدم المسفوك والأعداء
ثاراتُ أهلكِ في دمانا تلتظي ... هيهاتَ ليس لهنَّ من إطفاء
حتى يضمَّ ثرى الجزيرة أهلها ... أو يلبسون[1] مطارف العلياء
ما العاطفون على الضعيف لغايةٍ ... مفضوحةٍ لم تبق طيّ خفاء
الأسخياء له بغير بلادهم ... الباخلون بها على الضعفاءِ
بالقادرين على اغتصابك عنوةً ... فاليوم هبَّ الشعب من إغفاء
يا شعبُ ليس القدسُ تشكو وحدها ... هولَ الجراح من اليدِ الرعناء

[1] هكذا ورد في المخطوطة.

ما زال جرحك وهـو دامٍ دافـقٌ رغـم انتـهاء الطعنـة الـنجلاء

والحرُّ أبعدُ غايـةً مـن أن يـرى في الـدمع تخفيفـاً مـن البرحـاء

فالحكم للدم والسـلاح المنتضـى والحـربُ لا للدمعـة الخرسـاء

والنصرُ للشـعبِ الـذي لا ينـثني عـن عزمـه، والصـولة النكـراءِ

أجلُ الطغاة بكـلِّ حـد صـارم مـا أنْ يزيـلَ العـارَ كـالإجلاء

حـتى أراك وأنـتَ راضٍ هـانئٌ حـر بـرغم الأعـين الزرقـاء

وأرى الجزيرةَ وهـي روضٌ مونـقٌ محميـةَ الأبنـاء بالأبنـاء

والقدس يسكن كلُّ حـرٍ ربعهـا بالعـاملين وضـيئةَ الأنحـاء

يا شعبُ ناد بكـلِّ سـاهٍ غافـلٍ عما تذوق القـدس مـن بأسـاء

ما أشرعَ الأعـداءُ فيهـا حربـةً إلاّ لشـلِّ يـدٍ وسـفكِ دمـاء

ما نفـعُ جنَّتـك الـتي نضّـرتها والنـارُ حـولَ الجنـةِ الخضـراء؟

يا شـعبي المظلـومُ هـذا موقـفٌ بـان الـوفيُّ بـه مـن الحربـاء

ما بال رهطكَ وهو بـاقٍ وحـده لم يخـشَ بـأس القـوةِ العميـاء؟

عاش التحرر كـلُّ رهـطٍ غائـب - إلاّهُ - يـومَ الجـدِّ والإعيـاء

وغدا فـداء الكـادحين وجمعهـم أصحابُ تلـك الشـارةِ السـوداء

يا شعبُ هذا أنتَ جـأشٌ رابـطٌ إن حـان يـومُ الثـورة الحمـراء

أعاصير

أصبحَ الكون وهو نورٌ ونارُ   أيها الظالمونَ أين الفرارُ؟

الأعاصيرُ تملأُ الشرق والغر   بَ وقد جاشَ حولهنَّ الشرارُ

كلّما حاقتِ المنايا بإعصا   رٍ نزا فوق نعشه إعصار

فالتهابٌ خبا، فكان التهابٌ   وانفجارٌ مضى، فجاء انفجار

فاعصفي يا شعوب فالكون لا يُر   ضيهِ إلا أن يعصفَ الأحرار

واحطمي القيدَ فوق هامِ الطواغيتِ   وثوري فالفائز الثوّار

همسةٌ، فانتباهةٌ، فهتافٌ   فانتفاضٌ فثورةٌ فانتصار

هذه قصةُ الشعوب رواها   للورى تاجُ قيصرَ المنهار

حرّك الشرقُ عقرب الساعة الوسنى   فهبّت تقول: لاحَ النهار

فامضِ يا ليلُ ما عيونُ الجماهير   بعمياءَ أو عليها ستار

أيها الواقفون في زحمة الدنيا   وقدْ عصبَ الرؤوسَ الدوار

إنْ وقفتم فما أرى موقف التاريخ   يعتاقُ من خطاهُ انتظار

فاجعلوا في (اليمين) عرشاً من الظلم   فما يعرف العروش اليسار

يا وجوهَ الجياعِ، يا قصةً أضـ   ـحى لها من مواطني أسفار

حاكَ أحداثها الرهيبات جلادٌ   زها سيفه الذميم اقتدار

أنتَ للجوع لاحَ فيك اصفرارٌ   وهو للتبر في يديه اصفرارُ

خيّب المستبدُ. لا يكتبُ التا   ريخَ نابٌ له ولا اظفارُ

إنمـا نحـنُ وارثـو هـذه الـدنيا   لنـا المجـد كلـه والفخـار

إن في صـفرةِ الخريـف انتفاضـاً   كـان مـن معجزاتـه أيـار

قلْ لمن فضَّ روحه الرعبُ واسـتلَّ   السـنا مـن عيونـه الانـدحار

نقِّل الطرفَ بـين شـرقٍ وغـربٍ   يحمد الطـرفَ قلبـكَ المسـتطار

تلق كأس الطغاةِ في كفِّ سـاقيها   حطامـاً تجـفُّ فيـه العقـار

في غدٍ تُسحق القيـودُ ويهـوي   فـوق أشـلاء تاجـهِ اسـتعمارُ

لألأ الصبح يـا بـلادي أيبقـى   في حماك (السفير) و (المستشـار)؟

إبعثـي صـرخة الجـلاء ابعثيهـا   مثلمـا ترسـل الهـدير البحـار

شعبك الحرُّ ما انثنى عـن نضـالٍ   لا فهيهـات أنْ يـدوم الإسـار

وهو لو كان كوكبـاً يـذرعُ الآ   فاقَ، ما حدَّ مـن خطـاهُ المـدار

عالم الظالمين قـد هـدمَ المظلـومُ   ركنيـهِ، فـاحتواهُ انهيـار

فهو انْ ظلَّ واقفاً كـان للمـوت،   وإنْ سـارَ فالمسـير انتحـارُ

موضعُ القيدِ بعد حـينٍ سيمسـي   فـوق أنحائـه الجريحـات غـارُ

رثـــاء فــلاح

أيها الحاصدُ المعنّى يجوبُ السهل مستوحداً حزين الغناءِ

شاحب الناظرين، مضنىً، حريق الظل في لافح الثرى والسماء

يورد المنجل المعنّى جراحات بكفيهِ دافقات الدماء

كُفَّ لا تخطونَّ إلاَّ احتراساً بين تلك السنابلِ الصفراء

إصغِ هل أنت سامعٌ من أنينٍ خافت الجرس دائب في بكاء؟

طاف بين المقابر السود تبقيه بغيض اللظى صدورُ النساء

ذاك والله موكبٌ للجراحات وإن أخطأته عينُ الرثاء

إنهُ النعشُ، إنهُ الكادحُ المنكودُ يمضي إلى الردى والفناء

إنهُ مُطعم الورى وهو من راح قتيلَ الطوى، صريع العناء

إنه الخير والغنى. إنه الكاسي وإن عاشَ عارياً من رداء

سلْ إذا شئت عنه جدبَ الصحارى كيف حلاهُ بالزهورِ الوضاء

إنه المخصبُ الثرى إنه أنت فسلْ عنه معشرَ الأغنياء

مات لا شاعرٌ من القوم يبكيه ولا نادبٌ من الأوفياء

غير طفلين مرَّغا في ثرى القبر جبينين صوّحا من شقاء

وابنةٍ تعصف الهموم بخديها تريق الدموعَ دونَ انتهاء

مزق الثوب نفسه عند نهديها فوارتهما بكفٍّ الحياء

أمس قد مات صاحبُ القصر فانحلَّ على نعشه نسيج اللواء

واغتدى كلُّ "تاجرٍ بالقوافي | يثقلُ الصوتَ والصدى بالرثاء
واعتلى النعشُ هامةَ المدفعِ الضخم | رئيدَ الخطى رهيب الحداء
سار والحشد خلفه واجم الأنفاس | مثل القطيع خلف الرعاء
ذاك والله موكبٌ للظلامات | فهل أخطأتهُ عينُ السماء
مات... لم يجنِ منه في الناس خيراً | غير من كانَ وارثاً للثراء
ويلكَ هلْ شقَّ جدولاً ينبتْ الزهرُ | على جانبيه جمّ الرواء؟
هلْ سقى السنبلَ النضيرَ فراح الـ | ـناسُ من حَبهِ بأوفى غذاء؟
ويلكَ ما يخسرُ الوجودُ إذا ما | ماتَ من في الوجودِ من أغنياء؟
أيما جائع سيبقى بلا زادٍ | وعريان لا يرى من كساء؟
إنما يخسرُ الوجودُ إذا ما | غالت الكادحين كفُّ الفناء
فالجنى والأزاهر العينُ أحلامٌ | زواهنَّ عنكَ عسرُ اللقاء
والطوى صائد يحوش العرايا | والحضارات هَبةُ من هواء

ذوِّب الليــل يـــا شـــعاعَ النـــهار ... تلمــح العــين مــا وراء الســتارِ

ذوِّب الليلَ يبصر الشعب صــرعاه ... فمـــا زال واقفـــاً بانتظـــار

يبصر القومَ بين هــاوٍ إلى اللحــدِ ... وغرقـــان دائـــبٍ في احتضــار

إنهــا غضــبةُ الميــاه الحبيســات ... تــدفقن بعــدَ طــول الأســار

زمزمَ الموج في الســهول النــدياتِ ... مغيظـــاً وصـــاحَ في كـــلِّ دار

سائل الكوخ والــربى والصــحارى ... كيــف أرعشــن في يــدِ التيــار؟

أيها النائمون في الضــفة السكـــ ... رى على الجوع والضنى والصــغار

كيفَ باللهِ... كيف تغفــو عيــونٌ ... في حمــى كــلِّ ظــالمٍ غــدار..؟؟

علموا دجلة الظلامــاتِ والغــدرَ، ... فعــادتْ ولا تفــي عهــدَ جــارِ

أيها الضــاربون في ظلمــة الليــل ... إلى غـــير منتـــهى أو قـــرار

يسرقونَ الخطى على ضــوءِ نجــمٍ ... يسرق الخطــو في قصــيٍّ المــدارِ

كيفَ خلفــتم الــديارَ الحبيبــات ... ألا لفتـــةٌ لتلـــك الـــديار؟

ضربَ الماء مــا بــنى كــلُّ بــانٍ ... وطــوى كــلَّ مأمــلٍ بالثمـــار

فاشتكى صاحبُ القطيع من المــوجِ ... لـــــذئبٍ رآه أو جـــــزار

واشتكى الحاصدُ المعنى إلى "الشيخ" ... فمـــا كـــانَ منـــهُ غـــيرُ ازورار

وهو بالأمسِ واهبُ (القائد الغــر[1] ... بي) زلفــى إليــه ســيفَ النضــار

---

[1] القائد الغربي هو الجنرال مونت كمري فقد أهدى إليه أحد الشيوخ سيفا من ذهب محلى باليواقيت في نهاية الحرب العالمية الثانية أثناء مروره بالعراق.

صيغَ من أضلعِ الجياع العرايا ... تحت أنظار كلِّ جوعان عاري

وهو بالأمسِ، من حبا "لندن" الشو ... هاء ما شاء منه حب الفخار

وهو من يبخلُ الغداة على الشعبِ ... ويلقى انتحابهُ بافترارِ

ليتَ لي قوّة المياه فأقتصّ ... من (الشيخ) للدموع الغزار

ليتني أهدمُ القصورَ وأبنيهنَّ ... بيتاً لشاردٍ في القفار

ليتني أبدل القلوب التي تغفو ... على الذلِّ، بالحصى والحجار

أيها الشعبُ واحتمالك عارٌ ... ما على الحرِّ دونهُ كلُّ عارِ

طالما قد صبرتَ يا شعبي المظلوم ... فانهض.. كفاك طولُ اصطبار

أيها المرسلُ الأنين إلى الآذان ... يلبسن قرط الإستعمار[1]

حتى ما ترسل الأنين اليهنَّ ... اجتزازاً بصارم بتّار

فهي صماءُ حين تدعو، وصغواءُ ... إذا اهتزَّ شارب المستشار

ضلةً للنيام، والثعلب الرعديدُ ... يسطو بمخلبٍ مستعار

ربَّ ناجٍ من الردى خلّف الأبناءَ ... صرعى في المائج الهدارِ

مثقل الظهر بالسنين الطويلات ... وأشلاء بيته المنهار

لاحَ لي فانطلقتُ أُزجي إليه الشعر ... حَرّان قاذفاً بالشرار

أيها المبتلى، وأدعو بك الشعبَ ... وقد همَّ غيظه بانفجار

ذلك النهر فاض بعد احتباسٍ ... عاصفاً بالسدودِ عصفَ اقتدار

نبّئني أيَّ ساعةٍ أُبصرُ الشعبَ ... وقد فاضَ بعد طول الأسار؟

ساحقاً في اندفاعه ما أقام الظلمُ ... في دربهِ من الأسوار

قلْ لمن ثبّت العروش على الماء ... فقال امتلكتُ كلَ البحار

---

[1] في البيت اختلال في الوزن ولم نرد التدخل من عندنا فيه.

سوفَ تأتيك ساعةٌ توقظ الأمــواج فيهـــا انتفاضــــةُ الإعصـــارِ
أيها الشعبُ يعصب الـــداء عينيـــه فـــلا تبصـــران ضـــوء النـــهار
الـــدواء الـــذي ترجـــي ســـيأتيك اسمـــهُ مـــن حنـــاجر الثـــوار
تعصفُ الصـــيحة المـــدماةُ بالتـــاج علـــى كـــل مفـــرق مســـتطار
يـــومَ لا الظـــالم الغشـــوم بمنجيـــه مـــن الثـــائرين وشـــكُ الفـــرار
لا ولا القيد مستطيعٌ حيـــال النـــار صـــبراً ودونـــهُ ألـــفُ نـــار
الـــردى والهـــوانُ خـــطُّ الأذلاءِ وكـــل الحيـــاة للأحـــرار

مأساة الميناء

سل الميناءَ لو سمعَ الخطابا ... فروّى غلة الصادي جوابا

وأبطال (النقابة) كيف باتوا ... يذوقون المذلة والعذابا

أذنبٌ أن يقالَ لنا حقوق ... أبي أصحابهنَّ لها اغتصابا؟

وعدلٌ أن تجرّعَ كلُّ حرٍ ... يدُ المستعمرين قذىً وصابا

حلالٌ لابن (لندن) في حمانا ... دمُ ابن الرافدين.. فلا عتابا

وجورٌ أنْ نمدَّ يداً إليه ... وحقٌّ أن يمدّ لنا حرابا!

جموع الكادحين وجمعتنا ... مصائبُ لستُ أدركها حسابا

وحقدٌ إنْ ذممتُ سواهُ حقداً ... فلا ألقاه إلا مستطابا

على المستعمرين يصبُّ ناراً ... وأبناء الثراء لظىً مُذابا

ورثناه الأبوةَ وهو باقٍ ... سنورثه البنين منىً عذابا

ودنيا لا يغيب العدل عنها ... إذا هو عن سواها كان غابا

بربكِ حدّثيني أيُّ جانٍ ... تصيدَ منكَ أبناءً نجابا[1]؟

وأمسى منك دونَ حمىً أمينٍ ... تحدُّ جنوده ظفراً ونابا

أطلَّ على النقابة منه طرفٌ ... مغيظٌ كاد يلتهب التهابا

وأزجى مثقلين بنافثات ... لهيب النار، يحملن الحرابا

يذيقون المهانة كلَّ حرٍّ ... دعاهُ هوى النقابةِ فاستجابا

وما غير المطارق من سلاح ... وقد كرمتْ إلى الحق انتسابا

---

[1] هكذا ورد في المخطوطة.

لكِ الفخرُ المخلد من جيوشٍ ... على الجمع القليلِ تجوزُ بابا
وصانك من عدوك (مستشارٌ) ... وحسبك أنْ غدوتِ له ذنابى
رضاه بأن تريعي كلَّ دارٍ ... تضم الكادحين... وقد أصابا
فما كالكادحين لهُ عدوٌّ ... إذا استرضاه مرتزقٌ وحابى
أبالأغلالِ يخنق صوت شعب ... تهزّأ بالحمام؟؟ لقد تغابى
دعِ الآفاقَ تزخر بالضحايا ... وسمع الريحِ يمتلئ انتحابا
وغذِّ بنا السجونَ ومن دمانا ... فروِّ البيدَ أو فاسقِ السرابا
فما غيرُ الجلاءِ لكَ انتهاءٌ ... فإن الشعبَ قد هتك الحجابا
وألوى بالطغاة فما توانى ... وبالمستعمرينَ فما أنابا
جموع الكادحين.. وجلَّ عاراً ... رضانا بالهوان وخسَّ عابا
دعاك إلى النضالِ شقاءُ شعب ... تحمل من مذلته الصعابا
خذي بالثأر خصمك لا تليني ... وجدّي غيرَ قاصرةٍ طلابا
وسار لك الغدُ الزاهي فسيري ... وزيدي من محيَّاه اقترابا
وأصمي – في جوانحِ كلِّ طاغ – ... فؤاداً كان للشرِّ استجابا
يكادُ الظامئونَ من الضحايا ... يصيحونَ: اجعلي دمهُ شرابا
تطلُّ عليك أحداقُ العذارى ... من الأكفان حانقةً غضابا
دم الأعراضِ عاد بها اصفراراً ... وعادَ على يدِ الجاني خضابا
وأجسام الطغاة حجبن عنا ... ضياءً لا نريدُ له احتجابا
ستنصبُّ الأشعة من خروقٍ ... رصاص الشعبِ زاد بها انصبابا
لكِ الغدُ والحياةُ وللأعادي ... معاولُ تحفرين بها الترابا
فصيحي (بالحليف) إليك عنا ... فلا حلفاً نريدُ ولا انتدابا

صحيفـــة الأحــــرار

يـــا حابســـين صـــحيفةَ الأحـــرارِ ... هل يمنــع القيــدُ اســتعارَ النــارِ

إن تحجبوها فهـــي حقـــدٌ كـــامنٌ ... بين الضــلوع وصــرخة اســتنكارِ

بنتَ الكفاح وكلُّ ســطرٍ خالــدٍ ... عــرقٌ يفــور بــه، دمُ الثــوار

ضمَّ الشتاتَ بها (فكــاوا)[1] يجتلــي ... من عين (يعرب) ضحكة استبشــار

و(القدس) تُشهدُ كلَّ جــرحٍ أنهــا ... بُــرءٌ يــثيرُ مخــاوف الأشــرار

لم تكبُ في ساح الجهاد ولا ارتضت ... ذلاً ولا غفلـــت عـــن اســـتعمار

إن تحجبوهـــا فالليـــالي شـــأنها ... ألا يـــدوم بهـــا ســـنا الأقمـــار

ما إن نخور فلـيس فينـا جاهـلٌ ... إن الحيـــاة عطيـــةُ الأخطـــار

إنـــا لنغمـــد في اللظـــى أقـــدامنا ... هيهات نشكو ســطوة الأحجــار

* * *

واحــرَّ قلــبي يـــا بـــلادي أنـــي ... جُرِّدتُ فيك سوى مـــن الأشـــعارِ

مـــاذا ظننـــت بصـــادقٍ في حبـــه ... لو كـــان يملـــك قـــوة الأقـــدار؟

هلْ كانَ ينفضُ من نضـــالٍ كفـــهُ! ... أو كانَ يتركهـــا علـــى القيثـــار؟

ولَو استطعتُ لكنت حزبـــاً ثانيـــاً ... مثـــل التحـــرر صـــادقَ الآثـــار

أو عدتُ أجعلُ من دمـــائي ثـــورة ... تجلـــو غشـــاوة هـــذه الأبصـــار

الشعبُ يعلـــمُ عـــن يقـــين أنهـــا ... بـــوقُ النضـــالِ ومنـــبر الأحـــرار

---

[1]: لفظة كردية تعني الأخ.

حـان الكفـاح فأنزلتـها طعنـةً   حمراء في صدر الحليـف الضـاري

الجوُ فيـك لكـلّ نسـرٍ ضـيقٌ   رحـبٌ لكـلّ ملـوَّن المنقـار

قصّوا جناحَ النسرِ فيـه وأطلقـوا   لليـوم أجنحـةَ الخنـا والعـار

ومـن المهـازل أنَّ أوفى صـفحةٍ   للشـعب تطويهـا يـدا غـدارِ

ما راشَ جودُ الكـادحين جناحهـا   حـتى يـراهُ مقـصُّ الاسـتعمار

إنْ يحجبوهـا فهـي في أرواحنـا   وضـحاهُ تنشـرها يـدُ التـذكار

أو طاب يوم (الخائنـات) بيومهـا   فالخائنـات قصـيرة الأعمـار

إنّ المصاب وإن خلا مـن فرحـةٍ   لم يخلُ مـن عظـةٍ ومـن إنـذار

فالطـاعنُ الصـدرَ الأبيَّ بسـيفه   شـقَّ السـتار بطعنـة اسـتهتار

فإذا العيـونُ تُـرى وفي أهـدابها   لمـحُ الـدماء خبيئـة (الثرثـار)[1]

يجثو على فـرشِ الحريـر ودونـهُ   جسم الطعين على التراب العـاري

فالطرفُ يمسكُ بالكؤوسِ ورجلـهُ   بـالطرس. والكفـان بالـدينار

لو باركته يـدا (سـفير) سـاعةً   بـاعَ النضـالَ بحفلـة (اسـتيزار)

* * *

يا من يشـيدُ لكـلّ حـرٍ محبسـاً   خوفـاً علـى كرسـيّه المنـهار

إنَّ الظـلام إذا تنـاهى غيّـه   زاد العيـونَ صـدى إلى الأنـوار

والحابس الأبطالَ عـن أن يـزأروا   ظن الـزئير قضـى قتيـلَ إسـار

حتى تكشف عـن سـرابِ ظنـه   وانفضَّ جوف الصمتِ عن إعصـار

فإذا الخنـاجرُ والزمـازمُ تنـبري   غضبى تجـوزُ عليـهِ عقـرَ الـدارِ

هيهاتَ تغلبُ كـلُّ كـفٍّ شـأنها   لمـسُ الحريـرِ، تـدفقَ التيـار

[1] الثرثار: سدّ يصل مياه دجلة بالفرات.

هيهاتَ يصرع كلُّ فكرٍ ملؤه ... همس الطغاة صوارخَ الإنكار

ما دامَ بعض دمِ الضحية دافقاً ... فيها فلا ركنتْ إلى الأظفار

يا شعب أنتَ غدٌ فإن لم يؤمنوا ... بالكادحين، فلست للكفار

إنَّ الطغاةَ نجوم ليلٍ ترتدي ... ثوب المغيب، وأنت شمس نهار

أنتَ اندفعت إلى العلاء وغلغلوا ... في هوةٍ لا تنتهي بقرار

لا يستوي الجيلان هذا مقبلٌ ... نحو الحياةِ وذاك في إدبار

ظنوك سخرية الزمان وهزةً ... للطامعين ولعبة الأغرار

حتى أبنت عن اللظى في ملمسٍ ... وكشفت في شربٍ عن الأكدار

أنتَ العباب سجا وأغفى حاجباً ... خلفَ السجو منيةَ البحارِ

أنت الزمان صفا ليهوي سيفه ... بعدَ الصفاء على يدي جبّارِ

إنَّ الشعوبَ شكونَ داءً واحداً ... رغم التنائي واختلاف الدار

أغلالهنّ مجمعاتٌ في يد ... رعناء تنشرها على الأقطار

فإذا حطمتَ فلستَ وحدك حاطماً ... تلك القيود، غنيت بالأنصار

ولا وُفّق الأشرار في أن يخرقوا ... قلبَ النضال بكاذب الأخبار

هل يأمن المطعون من جلاّده ... إلا لقاء الصارم البتّار

والأرض ليسَ ترى لها من غاسلٍ ... رجسَ الطغاة سوى دمِ الثوارِ

غادة الريف يـــا شـــعاع الأمـــاني في دجى الكوخ.. في ظلام الزمـــان
ما لعطفيك تحت أسمالك الشـــوهاء غابـــــا كجـــــذوة في دخـــــان
ألصـــبا والربيـــع طافـــا بخـــديك فـــذاب الشـــحوب في أرجـــوان
والصـــبابات باسمـــات الأســـارير يبـــث اشـــتياقها النـــاظران
وعلى الثغر تســـتفيضُ ابتســـاماتٌ يحـــدثن عـــن خفـــيٍّ المعـــاني
عن سنا الصبح. عن رهيب الدجنات عـــن النـــار عـــن نعـــيم الجنـــان
عن خليٍّ وكادحين وعـــن قصـــرٍ وكـــوخين أصـــبحا في مكـــان
يا لحســـناء كـــاد مـــن يجتليهـــا يصرفَ الطرفَ عن فتون الحســـان
إحـــذري عاشـــقاً كـــثيرَ الـــتجني خـــف للصـــيد في دروب الغـــواني
قد كساه الثراء ثوبـــاً مـــن الكـــبرِ موشـــى بزائـــف الطغيـــان
دودة تسرق الرحيق مـــن الزهـــر وتلقيـــه في التـــراب المهـــان

* * *

أقفر الكـــوخ مـــن بقايـــا طعـــام ليتـــه ظـــلٌ كاتمـــاً مـــا يعـــاني
أقفر الكوخ فـــاعبثي يـــا مقـــادير وجـــودي يـــا عاديـــات الزمـــانِ
أقفر الكوخ والســـراب المصـــفى يملأ القصـــر بالشـــذى والأغـــاني
فاذهبي يا ابنة الجيـــاع إلى القصـــر وعـــودي بعـــاطرات الأمـــاني
أطرقـــي بابـــه بكـــفٌ ســـتدميها علـــى بابـــه يـــدُ الحـــدثان
ويك هزّيه، زلزلي صمته، ســـوميه ما شـــئتِ مـــن ضـــروب الهـــوان

إنها هزة الجياع المناكيد   تريع الطغاة في كلّ آن
هزّةٌ بات صوتها يذرع الغيب   ويومي لبائع الأكفان

* * *

إكدحي واجعلي الترابَ يواقيت   على شعرك الشقي المهان
واغسلي بالدموع ما دنّس المولى   على الخزّ والثياب الحسان
أطعمي الجائعين يا خادم القصر   بما ظلّ في بطون الأواني
واصبري إن طغى من القوم طاغٍ   وابسمي إن جنى على الكوخ الجان

* * *

رجّع القصرُ آهةَ السيد العاشقِ   فهيَ انتفاضة الأفعوان
آثمٌ يحسب الغرام احتراقاً   في لظى من جهنم الأبدانِ
غادة الريف.. أبصر الوجد في عينيكِ   تنساب في سناه الأماني
هذه الغرفة الموشاة مأوانا   هنا مجلسي وهذا مكاني
ها هنا مهده، وثمّ السرير الغضُّ   يا للقاءِ يا للتداني
أيها الشعر.. يا هوى. يا عذارى   يا أزاهير، يا ندى يا أغاني
غاب عنكن كوكب ختم الليلة   عن هذه الربى والمغاني
أرسل النور دافقاً ثم نحّاهُ   عن الأفق زلةُ الامتهانِ

* * *

زلة بعد زلةٍ جرعتها   غادة الريف عاديات الزمان
فإذا الليل والغنى والجهالات   يجلّلنها بثوبِ الزواني
أصبح الكوخ وَهْوَ مأوى لزوجين   على أيكة الهوى ينعمان
غادة الريف لست زوجاً لمولاك   وإن قال ذلك القاضيان
إنها خدعة التقاة المصلين   شيوخ الورى، هداة الأوان

* * *

هيّئ المهد للوليد الذي وافى … ألست الأب الكثير الحنان؟

هيّئ المهد "لا مجيب سوى الصمت … بعيد الصدى، خفي المكان"

"أيها الليل من ضلوعي وآهاتي... … ومن أنجم السماء الحسان

من دم العفة المراق من الكوخ... … من الذكريات.. ممن جفاني

هيّئ المهد للوليد الذي وافى... … فأنت الذي أعدَّ التداني"

* * *

أيبسَ الداءُ والطوى ثديي المرضع … فالطفلُ ساغبٌ كلَّ آن

صارخٌ ترجفُ النجومُ لشكواهُ … ويبكي النخيل مما يُعاني

غادة الريف أوصد القصر بابيه … على كلِّ ناعم البال هاني

فيمَ شكواك؟ وهو ما أن يعيها … أينَ شكواك من رنين المثاني

جاهلٌ من يريد أن تضمد الجرحَ … يدٌ تنتضي خضيبَ السنان

أيها الظلم يا ربيب المقاصيرِ … بناها لغيره كل بانِ

أيها الظلمُ يا شباةً صنعناها … فعادتْ مع العدى في الطعان

حاملُ الفأسِ قادرٌ أن يشقَّ القبرَ … للظالمين بعد الهوان

* * *

"جفَّ يا زوجي الرحيمَ من الآهاتِ … ثدياي... آه مما عراني"

غادةَ الريفِ أيُّ ذنبٍ تخطى … موضعَ السرِّ في عثارِ اللسان

فلَّ من زوجك المغيظ حناياه … بنارٍ من الغرور المهان

كيفَ ناديتِ سيد القصر "يا زوجي" … فدنستِ ناصعات المعاني؟

* * *

آهِ قد أنكر الوليد أبٌ جانِ … نؤوم الضمير فظُّ الجنانِ

"احرقي صفحة الفضاء بآهاتكِ … يا شمسُ واعبثي بالزمان

واملأي خدرَ كلِّ نجم يجوب   الأفق سهران باللظى والدخان
أغفلتْ أمريَ السماء وإني   سوف أشكو إلى الورى ما عناني"
إنما صرخةُ الجراحِ العميقاتِ   بها يُستطارُ قلب الجبانِ
في غدٍ يكنسُ الثرى بجذهُ العاتي   وتدميه قارصات اللسان
في غدٍ يسمعُ الورى قصةَ الكوخ   تدوّي بمسمع الأكوان
فارتضى الطفلُ لا حنانَ ولكنْ   يفعلُ الخوف مثلَ فعلِ الحنان

* * *

أيها الطفلُ في رحابِ الأبِ الجاحد   تغذوه مرضعاتُ الهوان
إنْ تبسمتَ قطّبَ الولدُ الغضبانُ   أو صحتَ فرّتِ العمتان
واتقى ظلَّ مهدكَ الطهر عمّاك   وجازا مداه لا ينظران
أيها الكوخُ أيّ همٍّ تغشّاكَ   وماذا طواكَ من أحزان؟
أينَ بانيك؟ ما لهُ صامت الأنفاسِ   والجرسِ ناضب الخفقان؟
فارقَ الأرضَ موجعاً يطعن العار   ثرى قبرِهِ بأمضى سنان

* * *

هزتِ الكوخ عاصفات المنايا   فارتمى باكياً على كلِّ فان
وطوى الموت زهرةً أذبلتْها   أعين الظالمين قبل الأوان
غادة الريف عافت النور عيناها   فنوّحن دونها يا غواني
ألصبا شاحبٌ وصوت الأساريرِ   نؤومُ السنا حبيس اللسان
غابَ في ظلمة الثرى فهو ناءٍ   عن هوى طامعٍ وعن كفٍّ زان
غاب والجوع راقدٌ في حناياه   قتيلُ الشجى صريعُ الأماني
لا تعكرن صمته بالأحاديث   عن البؤس والورى والزمان
فهو من قبضة الزمان المدماة   بعيدُ المدى طليق العنان

وهو من يحقر الورى، وهو مـن لا يعرف البـؤسَ بعـد ذاك المكـان

فـيمَ تعجـبن منـه إن رفَّ دون الجفـنِ بعـد انطباقـه دمعتـان

نامَ والطفل مبعـدٌ عنـه فاشـتاق فلـم تعصِـهِ دمـوع الحنـان

* * *

آه قد أرجـع الوليـد إلى الكـوخ وطرفـاه بالـدجى مغلقـان

عادَ واحسرتاه أعمى أبيـدَ الليـل مـا مُتعـت لـه مقلتـان

وانثنى سـاجياً إلى ظلمـة القـبرِ فأمسـى مـن الـورى في أمـان

نـوّحي دون قـبرِهِ يـا أمـاني واسكبي الدمعَ يـا عيـون الغـواني

واغمري مضجع الشهيدين يا شمس وغطـي ثـراه بـالأرجون

واخفضي الهمسَ يا رياحُ وكفـي عن مساعيك يـا خطـى الرعيـان

وأمضِ يا شعر لا تقل عنهما شـيئاً لا ولا تـدعُ راقـداتِ المعـاني

تبكينَ.... والريفُ الجميلُ يَكادُ يرقصه الغروبُ؟
والليلُ يدنو... والغيومُ بجمرها الخابي تذوبُ
أرخى يديه على أبيك... فكفَّ منجله الدؤوب
يا غادةَ الكوخِ الكئيب، يلفه الحقل الكئيب
لولا يقيني أنّ يوماً تضحكين له قريب
لولا أمانِ هاتفاتٌ سوفَ تنتصر الشعوب
قاسمتُ عينيكِ الدموع فكانَ لي منها نصيب
رجّعتِ آهاتِ الجداولِ وهيَ تشرَقُ بالخريرِ
بين الظلالِ النائماتِ، من السنابلِ في سريرِ
واحسرتا... أيُّ اكتئابٍ جاشَ في الصدرِ الصغير؟
هذي سجونُ الكادحينَ حطمن أغلاقَ الدهور
حتى بُعثن على يديكِ تنهداتٍ من سعير
هذي شكاةُ الجائعين يبثها الدمعُ الصبيب
لا يستبدُّ بكِ الأنينُ... سيؤخذُ الحقُ السليب

* * *

فاضَ الأنينُ على خطاي فبتُّ أعثرُ بالأنين
حيوانُ... حتى لا أقرَّ من الظنون، على ظنون
حتىَ يئستُ من الشكوكِ... وكدتُ أيأسُ من يقيني

لا تطلق الهمَّ الدفين سوى يد الهم الدفين
فإذا بكيت فعن مصابٍ سوف ينطقُ بعد حينِ
لو كنتُ من أهل "البروج" لقلتُ أبكاك الحبيبُ
فاستبشر المستعمرون ورددوا عاشَ الأديبُ

* * *

أيُّ الثلاث القائلات المطفئات سنا الحياة؟
الملقيات الأرض في أسر الجراح الداميات؟
الجاعلات الكادحين لظىً يثورُ على الطغاة
هاجَ التنهد في فؤادك واستفزَّ من الشكاة
جهل أعاد الحاضرين[1] إلى الخيام الباليات...؟
أم كشَّرَ الداء اللئيم فسدَّ عينيه الطبيبُ؟
أم ذاك جلادُ القلوب، عدوِّك الفقرُ الرهيبُ؟
أينَ الأناشيدُ العذابُ الظامئاتُ إلى الحقولِ؟
يهمسن باسم القرية العذراء في أذن الدليلِ
والمنشدون الهاربون إلى ضفاف المستحيل
القانعون من الحياة بكوخةٍ بينَ النخيل
الثائرون على ضجيج المدن والعلم (الدخيل)
القريةُ السجواء نايٌ في يد الراعي طروبُ...
أو جنة صبَّ الغناءَ على رُباها عندليب

* * *

---

[1] الحاضرون: الحضر.

إن نـــاح فـــلاحٌ... فمفجـــوعٌ مـــن العشـــاقِ ناحـــا

أو ســـارَ عريـــان الإهـــاب فقـــد تعـــرى فاســـتراحا

لا يأســـفنّ علـــى كســـاء ضـــاق، مـــن لـــبسَ البطاحـــا

أو مـــدَّ للمحـــراثِ ســـاعده... فقـــد نشـــر الجناحـــا

نـــاموا علـــى خضـــر الـــروابي واسمعـــوا منـــه الصـــداحا

هـــذا هـــزار في الخميلـــة، عشـــه القـــبر "الرحيـــب"؟

بوركـــت يـــا هـــذا الهـــزار، وبـــورك العـــش العجيـــبُ!

* * *

يـــا زاعمـــين الآلـــة (الصـــماء) مـــدعاة الشـــقاءِ

خلـــف الـــدخان الثـــائر، المنفـــوث في عـــرض الفضـــاء

والمرجـــل الفـــوار، يزفـــر بـــاللظى دون انتـــهاء

يـــومٌ هـــو التـــاريخ، مخضـــوب الحواشـــي بالـــدماء

تلـــك الأكـــفّ الهاويـــات علـــى الطغـــاةِ الأدنيـــاء

تلـــك العيـــونُ الـــدامعاتُ يـــؤجُ منـــهن اللـــهيبُ

تلـــك اللـــواتي ترهبـــون وفـــرَّ منـــهنّ المريـــبُ

تلك الـــدموعُ بـــأيِّ كـــفٌّ ســـوف أمســـح مـــن نـــداها؟

يمنـــاي قـــد ركـــضَ اليـــراعُ بهـــا وشـــدّ علـــى خُطاهـــا

وامتـــدت اليســـرى يطـــوف علـــى جبـــيني إصـــبعاها

ليـــت ينتحـــر الســـراج علـــى صـــحائف لـــن يراهـــا!!

الثـــورة الحمـــراء تحتـــرق الســـطور علـــى لظاهـــا

والشـــعر محمـــوم القـــوافي يســـتبد بـــه الوثـــوبُ

فالقبضة الهوجاء ترقص وهي تصدعُ من تصيبُ

* * *

شعري لُهاثُ الكادحينَ، وليسَ أنفاس الغواني
توحيه آلافُ الأكفِّ القابضات على الزمانِ
وافرحتاه إذا تلاقى في اللهيبِ الثائران
داس القيود "ابن المصانع" فاقتفاه "ابن الجنان"
واهتزت الكفان فاتقدَ الترابُ من الدخانِ
العزم يعصف بالصدور، فتنفث النار الدروبُ
حسناء، تلك... أتبصرين...؟ أليسَ تلك هي الشعوبُ؟

* * *

الآن طابَ لك الغناء، فلا تكلّي يا حناجرْ
اليوم ينفضُ كلُّ حرٍّ عن يديه، دم المجازر
واليوم تنتفض القرون الغابرات من المقابر
سارت بموكبها الضحايا... وهي تعثر بالحناجر
مدّت من الأكفان أيديها تحيي كلَّ ثائر
والرمل منه نزا هلالٌ بالدم القاني خضيبُ
وافتضّ أختام الثلوج وراح يلثمه صليبُ
أين الكؤوسُ الدائراتُ على سكارى بينَ غيدِ؟
نبهنَ من آذار أكماماً معفرة المهودِ....؟
ينفضن عنهن الغبار... فكانَ من حظّ العبيدِ
أينَ الورودُ العاطرات، الناظرات من الخدودِ
حمراء... تهزأ بالسنابل وهي ترقص من بعيدِ

القصــــر آلى يــــا ســـنابل أن تفـــيض بكـــنَّ كـــوبُ
واليخـــت تنـــور الجيـــاع ويحـــزن الكـــوخ الكئيـــبُ

* * *

أيـــن الجبـــاه الســـاحباتُ الناكســـاتُ مـــن العـــذابِ؟
اللاثمـــــات مـــــواطئ الأقـــــدام بالـــــدم والشـــبابِ
الهاربـــات مـــن الأســـنة بـــالجراح إلى الحـــراب
اليـــوم ترفعهـــا أكـــف الثـــائرين عـــن الـــتراب
واليـــومَ يمـــلأ ظلـــها المكلـــوم أكـــواب الشـــراب
واليـــومَ تســـتلم الجـــراحَ يـــدٌ تحركُهـــا القلـــوب
فيهـــا مـــن اليـــوم الجديـــد ومـــن دم الأحـــرار طيـــب
أيـــن الطغـــاة الحـــاجبون عـــن الوثـــوبِ خطـــى الصـــغار؟
الســـاحقونَ ســـواعدَ الأطفـــالِ فـــوقَ دمٍ ونـــار
ويـــح الصـــغار الكـــادحين مـــن الطواغيـــت الكبـــار!!
اليـــوم ينـــتقم الأبُ الموتـــورُ مـــن ذاك النضـــار
يجـــري عليـــه دمُ ابنـــهِ المســـفوح أيُّ دم ونـــار
الدميـــةُ الحمـــراءُ تقـــذف مـــن يديـــه بـــه النـــدوب
تستصـــرخُ الأبَ أن يطـــوّحَ بالطغـــاة فيســـتجيب
لـــو تســـألين الـــذكرياتِ اللامحـــات مـــن الرمـــاد
والليـــلُ يهـــوي بـــالنجوم الشـــاحبات علـــى الســـواد
عمـــا جنيـــتِ مـــن الطفولـــة... لامتنعـــتِ عـــن الرقـــاد
لـــو حـــدثتك الـــذكريات لصـــمتِ واجفـــة الفـــؤاد

لا... لـيس هـذا مـا أريـد... فتلـك أيـام الحصـاد
بل أيـن أيـامي؟ أجيبـي... وهـي تسكت لا تجيبُ
مـاذا عسـاها أن تقـول؟ أيـورق الـروض الجـديب؟

* * *

تلـك الخمائـل هـل أويـت إلى حفـافيهن سـاعا؟!
تبـنين بيتـاً يسـتعير مـن الخيـال لـه ارتفاعـا!
فـازدان، مـا أخـذَ الشـقاءُ بجانبيـه ولا تـداعى
نـاداكِ مـن بـين النخيـلِ أبٌ تعـوَّدَ أنْ يطاعـا
واهـا إذا انتـزعَ النـداءُ ملاعـبَ الـدارِ انتزاعـا
مـن نـاظرين، سـنا الطفولـة في دموعهـما يغيـبُ
للكـد لا للطيبـات، يـدٌ يصـوّحها اللغـوب
إنَ الشـبابَ هـو الربيـع، فـأينَ أنـتِ مـن الربيـعِ؟
ضاعَ الهـوى مـن أصـغريكِ، فقلـت للأحـلام ضـيعي
تلـك الكـروم الناشـراتُ ظلالهـن علـى الجـذوعِ
الراقصـاتُ مـع الخريـرِ الراعشـاتُ مـع الضـلوع
يشهدن أنكِ مـا حملـتِ مـن الحقـولِ سـوى الـدموع
والمنجـل المحطـوم، والآمـال تقتـل أو تخيـبُ
والحـب يعـوزه التلاقـي، والتحايـا، والحبيـبُ

* * *

يـا شـعلةً في الموقـد المهجـور يحرقهـا سـناها
يـا نغمـة عـادت تـذوب سـدىً وتفـنى في صـداها
يـا بـؤس عاشـقة يفـيض هـوىً عليهـا سـاعداها

عــــذراء تحلـــم بالعنـــاق فمـــا يعانقهـــا ســـواها
كـــالزهرةِ الظمـــأى يفتحهـــا لغـــير نـــدى شـــذاها
مـــن كـــل عـــبءٍ في الحيـــاة عليـــك واشٍ أو رقيـــبُ
هيهـــاتَ أن تـــدع المناجـــل مـــن حيَاتـــك مـــا يطيـــبُ
* * *
لاقـــى شـــقاء الكـــادحين لـــديك حرمـــان العـــذارى
مـــا طـــائرٌ فـــوق الرمـــال مشـــى الهجـــيرُ بهـــنَّ نـــارا
ظمـــآن، كبلـــتِ الجـــراحُ أمـــام عينيـــه المطـــارا
فانكـــبَّ يشـــربُ مـــن دمـــاه صـــدىً وأينـــاً وانتحـــارا
يومـــاً بـــأنكى في عـــذاب منـــكِ لـــيلاً أو نهـــارا
أصبحت أشقى مـــن يـــروحُ، وبـــتّ أشـــقى مـــن يـــؤوب
عـــيش يهـــان بـــه المشـــيب إذا يقـــال: هـــو المشـــيبُ
* * *
واحســـــرتاه إذا تأوهـــــت المعـــــاول في الصـــباحِ
بـــين القبـــور الصـــامتات الموصـــدات علـــى الجـــراح
أللحـــد شـــدَّ علـــى أبيـــك فشـــدّ منـــك علـــى جنـــاح
وانفـــضَّ عنـــك الحاضـــرون وأســـلموك إلى النـــواح
أيـــن الفـــرار إذا أطـــلَّ علـــى حمـــاك المســـتباح
ليـــلٌ كـــأن الـــنجم في آفاقـــه القصـــوى نيـــوبُ
مـــزَّقن أســـتار العفـــاف وأظهـــرت غـــدَكِ الثقـــوب
* * *
يـــا مـــن تبيـــع شـــبابها المضـــنى بمـــا يئـــد الشـــبابا

إن جرّدتك من الثياب يدٌ لتلبسك الثيابا

أو علّ من فمك الشرابَ فمٌ ليسقيك الشرابا

أو طاف حولك آكلون ليطعموك.. فلا عتابا

جور الشرائع كم أذلّ فتى وكم أفنى كعابا

يا شقوة الحسن الأجير كأنه الشاة الحلوبُ

والشاةُ تنعم بالأمومة وهو ترضعه الكروب

* * *

حتى إذا انكسف الشباب وخان خديك الطلاءُ

والتفَّ بالنهدين ثوبٌ كان يعليه امتلاءُ

آواك ركنٌ في الرصيف يهينه منك اجتداء

ويلاه إن خاب السؤال وفاض بالصمت الهواء

واحتار فيك المعوزون وصدَّ عنك الأغنياء

اليوم تسخر من عصاك الغانيات، بل الخطوبُ

يسخرن منك فتصرخين: إلامَ أبقى يا شعوبُ

هل تبصرين الكوكب المنثال في الظلماء نورا

بين اعتناق الغيمتين يبدد العمر القصيرا

هل تبصرين فأنتِ ذاك النجم تلقين المصيرا

حسناء تلك هي المدينة فاتبعيني كي نسيرا

بين النساء الجائعات فنرقب الحسن الأجيرا

بين الرجال العاطلين إلى الهلاك لهم دبيبُ

ما بين شحّاذ يئنُّ وبين ملتاعٍ يلوب

* * *

نـــادي أبـــاكِ المســـتكين إلامَ تبقـــى مســـتكينا

نـــادي آبـــاكِ الجـــائعَ العريـــان: هـــبّ الجائعونـــا

العـــالم المخمـــور ثـــار علـــى الســـقاة الخادعينـــا

والصـــحو قـــد فضـــح الكـــؤوس... وخيـــبَ المســـتعمرينا

الضـــاربين شـــوارد الأمثـــال فـــاه بهـــا (لبيـــبُ)

(بالصـــبر) يخفـــي مخلبيـــه... أينصـــح الأغنـــام ذيـــبُ

* * *

-تســـناء مـــا جمـــح الخيـــال ولا جمحـــتُ مـــع الخيـــالِ

لا بـــدَّ أن تثـــبَ الشـــعوبُ الظامئـــات إلى النـــزالِ

إن قلـــتُ نعصـــف بالطغـــاة الظـــالمين فبالنضـــال

حاشـــا أديـــب الكـــادحين فمـــا تحـــدث بالمحـــال

مـــا كـــان خـــداع النســـاء ولا المغـــرر بالرجـــال

لا والنضـــال... وتعلمـــين، إذا تلـــهبت الحـــروبُ

وطغـــى الـــدخان، وحـــمَّ يـــوم الظـــالمين مـــن الكـــذوبُ

حســـناء صـــبح غـــد نفـــيض لظـــى فويـــلٌ للظـــلامِ

حـــتى جـــراح الكـــادحين... غـــداً تثـــور علـــى الســـهام

يـــوم سيســـفر عـــن حيـــاة مـــن غنـــاء وابتســـام

تـــوفي عليـــك يـــدا حبيبـــك بـــالرغيف وبـــالغرام

هـــو في صـــفوف الثـــائرين فـــتىً يطـــلُّ مـــن القتـــام

جذلان... يهمـــس وهـــو يمســـح مقلتيـــك: لم النحيـــبُ؟

تـــبكين والريـــف الجميـــل يكـــاد يرقصـــه الغـــروبُ

أزهار وأساطير

(١٩٥٠)

"إلى المنتظرة..."

أطلّــي علــى طــرفيَ الــدامع خيــالاً مــن الكوكــب السّــاطعِ
وظــلاً مــن الأغصــن الحالمــات علــى ضــفّة الجــدول الــوادعِ
وطــوفي أناشــيد في خــاطري ينــاغين مــن حُبّــيَ الضــائع
يفجّــرْنَ مــن قلــبي المســتفيض ويقطــرْنَ في قلــبي الســامع

* * *

لعينيــكِ، للكــوكبين اللــذين يصــبان في نــاظريّ الضــياءْ
لنــبعين، كالــدهر، لا ينضــبان ولا يســقيان الحيــارى الظمــاء
لعينيــك ينثــال بالأغنيــات فــؤاد أطــال انثيــال الــدماء
يــودُّ، إذا مــا دعــاك اللســانُ على البُعدِ، لــو ذاب فيــه النــداء

* * *

يطــول انتظــاري، لعلــي أراك لعلــي، ألاقيــكِ بــين البَشَــرْ
ســـألقاكِ. لا بــد لي أن أراك وإن كــان بالنــاظر المحتضــر
فــدْيتُ الــتي صــوّرتْها منــاي وظلُّ الكــرى في هجــير السَّــهرْ
أطلّي علــى مــن حبــاكِ الحيــاة فأصبحت حســناء مــلء النظــرْ!

* * *

أطلّــي فتــاةَ الهــوى والخيــال علــى نــاظرٍ بــالرؤى عــالقٍ،
بعشــرينَ مــن ريّقــاتِ الســنين عَبَــرنَ المــدارات في خــافقي

بعشرين كُلاً وهبتُ الربيعَ   وما فيه، من عُمري العاشقِ
فما ظلَّ إلا ربيعٌ صغير   أُخبِّيه للموعد الرائقِ

* * *

سأروي على مسمعَيكِ الغداةَ   أحاديث سمّيتهُنّ الهوى
وأنباءَ قلبٍ غريق السراب   شقيٍّ التداني، كئيب النوى
أصيخي.. فهذي فتاة الحقول   وهذا غرامٌ هناك انطوى
أتدرين عن ربّة الراعيات؟   عن الريف؟ عما يكونُ الجوى؟

* * *

هو الريف، هل تبصرين النخيل؟   هذي أغانيه، هل تسمعين؟
وذاك الفتى شاعرٌ في صباه   وتلك التي علّمته الحنين
هي الفنُّ من نبعه المستطاب،   هي الحبُّ من مُستقاهُ الحزين،
رآها تغني وراء القطيع   كـ (بَنلوبَ) تستمهل العاشقين

* * *

فما كان غيرُ التقاء الفؤادَينِ   في خَفقةٍ منهما عاتِيه
وما كان غيرُ افترار الشفاه   بما يُشبه البسمةَ الحانيه
وكان الهوى، ثم كان اللقاء   لقاء الحبيبَين في ناحيه
فما قال: أهواكِ، حتى ترامى   عياءً على ضفة الساقيه

* * *

وأوْفى على العاشقَين الشتاء   ويومٌ دجا في ضُحاه السحاب
خلا الغابُ ما فيه إلا النَّخيل   وإلا العصافير، فهو ارتقاب
وبين الحبيبين في جانبيه   من السَّعف في كل ممشى، حجاب
فما كان إلا وميضٌ أضاءَ   ذُرى النخل، وانحلّ غيمٌ وذاب

* * *

ويا سدرةَ الغاب كيف استجارا بأفنانك الناطفاتِ المياه
رآها وقد بلّ من ثوبها حياً زخّ، فاستقبلتها يداه
على الجذع يستدفئان الصدور على موعدٍ، كلُّ آهٍ بآه
سلي الجذع كيف التصاق الصدور بهزّاتها، وابتعادُ الشفاه؟

* * *

أشاهدتَ يا غابُ رقص الضياء على قطرةٍ بينَ أهدابها؟
تُرى أهي تبكي بدمع السماء أساها وأحزان أترابها؟
ولكنها كلُّ نوّر الحقول ودفءِ الشذى بين أعشابها
وأفراحُ كلّ العصافير فيها وكلّ الفراشات في غابها

* * *

وذاك الخصام الذي لو يُفدى لفدّيتُ ساعاته بالوئام
أفدّيه من أجل يومٍ ترفّ يدٌ فيه أو لفتةٌ، بالسلام
ومن أجل عينين لا تستطيعان أن تنظرا دون ظلّ ابتسام
تذوب له قسوة في الأسارير، كالصحو ينحلُّ عنه الغمام

* * *

خصاماً ولمّا نعلّ الكؤوس؟ أحطّمتِها قبل أن نسكرا؟
خصاماً، وما زال بعض الربيع ندّياً على الصيف مخضوْضرا؟
خصاماً؟ فهل تمنعين العيونَ إذا لألأ النُّورُ، أن تنظرا؟
وهل تُوقفين انعكاس الخيالِ من النهر، أن يملك المعبرا؟

* * *

أغانيُّ شبّابتي تَستبيكِ وتُدنيكِ مني، ففيمَ الجفاء؟
كأنّ قوى ساحرٍ تستبدُّ بأقدامك البيض، عند المساء

ويُفضي بك الدَّرْب حيثُ استدار، إلى مَوْعدي بين ظلٍّ وماء
على الشطّ، بين ارتجاف القلوع وهمس النخيل، وصمت السماء

* * *

وحجّبتِ خدّيك عن ناظريّ بكفّيكِ حيناً، وبالمروحات
سأشدو، وأشدو، فما تصنعين إذا احمر خدّاكِ للأغنيات؟
وأرخيتِ كفيكِ مبهورتَين وأصغيتِ، واخضل حتى الموات
إلى أن يموت الشعاعُ الأخيرُ على الشرق، والحب، والأمنيات

* * *

وهيهات، إن الهوى لن يموت ولكنّ بعض الهوى يأفلُ
كما تأفل الأنجمُ الساهرات، كما يغرب الناظرِ المُسبَلُ،
كما تستجمُّ البحارُ الفساح مليّاً، كما يرقد الجدول
كنَوْمِ اللظى، كانطواء الجناح كما يصمتُ النايُ والشمألُ!

* * *

أعامٌ مضى والهوى ما يزالُ كما كان، لا يعتريه الفتورْ؟
أهذا هو الصّيفُ يوفي علينا فنلقاه، ثانيةً، كالزهور؟
ولكنّهن زهور الخلود فلا أظمأتْ ريّهنّ الحرور
ولا نال من لونهن الشتاءُ ولا استنزَفت عطرَهُنّ الدهور
أغانيّ، والغاب قَفرُ الوكون حبيسُ النسائم تحت الدوالي
ترى ماءه، لاتّقاد الهجير، حريقاً بما فوقه من ظلال
وفوق التعاشيب، حيث الغصون ينؤنَ بأفيائهن الثقالِ،
هنا مضجعٌ هدهدَتْه العطور؛ أأبصرت كيف اضطجاع الجمال؟

* * *

أأمسيتُ أستحضر الذكرياتِ وما كان بالأمسِ كلَّ الحياه؟
أضاعت حياتي؟ أغاب الغرامُ؟ أماتتْ، على الأغنياتْ، الشفاه؟
أُمسي، وما زال غابُ النخيل خضيلاً وما زال فيه الرعاه،
حديثاً على مَوقد السامرين: أحبّا، وخابا، فوا حسرتاه؟!

* * *

أُناديك، لو تسمعين النداء وأدعوكِ – أدعوكِ؟! يا للجنون!
إذا رنّ في مسمعَيك الغداة من المهد صوتُ الرضيع الحنون
ونادى بك الزّوجُ أن ترضعيه ونادى صدىً أخفقته السنون
فما نفعُها صرخةً من لهيب أدوّي بها؟ من عساني أكون؟!

* * *

أعفّرتُ من كبرياءِ النداء؟ وأرْجعتُ آمادي القهقرى؟
نسيتُ التي صوّرتها مُناي وناديْتُ أنثى ككل الورى؟!
وأعرضتُ عن مسمَعٍ في السماء إلى مسمع في تُراب القرى!
أتُصغي فتاةُ الهوى والخيالِ وأدعو فتاة الهوى والثرى!؟

* * *

..وودّعتُ سجواءَ بين الحقول ودنيا عن الشرّ في معزل
وخلفتُ، في كلّ ركن خضيلٍ من الريف، ذكرى هوىً أوّل
قصاصاتِ أوراقيَ الهامساتِ بشِعري، على ضفّة الجدول
وجِذْعاً كتبتُ اسمها الحُلوَ فيه ونايا يغني مع الشمألِ.

* * *

فمنْ هذه المسترقُّ القلوبَ صبيٌ ملؤها روحُه الطافره

أما كنتُ ودّعتُ تلك العيونَ الظليلاتِ والخصلة النافرة؟
كأني ترشَّفتُ قبل الغداة سنى هذه النظرة الآسرة!
أما كان في الريف شيءٌ كهذا؟ أما تُشبه الربّة الغابرة؟!

* * *

مشى العُمرُ ما بيننا فاصلاً فمن لي بأن أسبق الموْعدا؟
ولكنه الحبُّ منه الزمانُ ثوان، ومما احتواهُ المدى
أراها فأنفض عنها السنين كما تَنْفِضُ الريحُ بَردَ الندى
فتغدو وعمري أخو عُمرها ويستوقفُ المولِدُ المؤلدا

* * *

وهل تسمع الشعرَ إن قُلته وفي مسمعيها ضجيجُ السنين
أطلت على السبعِ من قبل عشرين عاماً، وما كن إلا جنين؟
وأمسى — و لم تدرِ أنت الغرام — هواها حديث الورى أجمعين
لقد نبَّأوها بهذا الهوى فقالت: وما أكثر العاشقين؟!

* * *

أمن قلبهِ انثال هذا النشيدُ إليها، إلى الذئبة الضاريه؟
ولو لم يكن فيه طعمُ الدماءِ ما استشعرت رنة القافيه
وما زال تسبيه غمّازتان تبوحان بالبسمةِ الخافيه
وما زالتا تُذكران الخيال بما كان في الأعصُر الخاليه:
وبالحُبّ والغادةِ المستبد صباها به، يلعبان الورَقْ
وكيف استكان الاله الصغير فألقى سهامَ الهوى والحَنَقْ
رهانٌ، رمى فيه غمّازتيه وَوَرْدَ الخدود، ونور الحدق؛

لكِ اللهُ، كيف اقتحمتِ القرونَ   ولم يخبُ في وجنتيكِ الألَق؟

* * *

كأن ابتسامتها والربيعَ   شقيقان، لولا ذبول الزَّهر

أآذارُ ينثر تلك الورودَ   على ثغرها؟ أم شُعاع القمر؟

ففي ثغرها افترَّ كلُّ الزمانِ   وما عُمُرُ آذار إلاَّ شَهر

وبالروح فدَّيْت تلك الشفاه   وإن أذكرتْني بكاس القدر!

* * *

أطلّي على طرفيَ الدامع   خيالاً من الكوكب الساطع

وظلاً من الأغصن الحالمات   على ضفة الجدول الوادع

وطوفي أناشيد في خاطري   يناغين من حبيَ الضائع

يفجّرن من قلبي المستفيض   ويقطرن في قلبي السامع

١٩٤٧/٢/١

في السوق القديم

الليل، والسوق القديم
خفتت به الأصوات إلا غمغمات العابرين
وخطى الغريب وما تبثُّ الريح من نغم حزين
في ذلك الليل البهيم.
الليل، والسوق القديم، وغمغمات العابرين؛
والنور تعصره المصابيح الحزانى في شحوب،
- مثل الضباب على الطريق -
من كل حانوت عتيق،
بين الوجوه الشاحبات، كأنه نغم يذوب
في ذلك السوق القديم.

* * *

كم طاف قبلي من غريب،
في ذلك السوق الكئيب.
فرأى، وأغمض مقلتيه، وغاب في الليل البهيم.
وارتجّ في حلق الدخان خيال نافذة تضاء،
والريح تعبث بالدخان...
الريح تعبث، في فتور واكتئاب، بالدخان،
وصدى غناء...

ناءٍ يذكّر بالليالي المقمرات وبالنخيل؛
وأنا الغريب... أظلّ أسمعه وأحلم بالرحيل
في ذلك السوق القديم.

* * *

وتناثر الضوء الضئيل على البضائعِ كالغُبار؛
يرمي الظلال على الظلال؛ كأنها اللحن الرتيب،
ويُريق ألوان المغيب الباردات، على الجدار
بين الرفوف الرازحات كأنها سحب المغيب.
الكوب يحلم بالشراب وبالشفاه
ويدٍ تلوّنها الظهيرة والسراج أو النجوم.
ولربما بردتْ عليه وحشرجت فيه الحياة،
في ليلة ظلماء باردة الكواكب والرياح؛
في مخدع سهر السراجُ به، وأطفأه الصباح

* * *

ورأيت، من خلل الدُّخان، مشاهد الغد كالظلال.
تلك المناديل الحيارى وهي تومئ بالوداع
أو تشرب الدمع الثقيل، وما تزال
تطفو وترسب في خيالي — هوّم العطر المضاع
فيها، وخضّبها الدم الجاري!
لون الدجى وتوقُّدُ النارِ
يجلو الأريكة ثم تخفيها الظلال الراعشاتْ —
وجه أضاء شحوبه اللهبُ

يخبو، ويسطع، ثم يحتجبُ
ودم يغمغم وهو يقطر ثم يقطر: مات....ماتْ!

* * *

الليل، والسوق القديم، وغمغمات العابرين،
وخطى الغريب.

وأنت أيتها الشموع ستوقدين
في المخدع المجهول، في الليل الذي لن تعرفيه،
تلقين ضوءك في ارتخاءٍ مثل أمساء الخريف
- حقل تموج به السنابل تحت أضواء الغروب
تتجمع الغربان فيه —
تلقين ضوءك في ارتخاء مثل أوراق الخريف
في ليلة قمراء سكرى بالأغاني، في الجنوب:
نقر [الدرابك] من بعيد
يتهامس السعف الثقيل، به، ويصمت من جديد!

* * *

قد كان قلبي مثلكن، وكان يحلم باللهيب،
حتى أتاح له الزمان يداً ووجهاً في الظلام
نار الهوى ويد الحبيب —
ما زال يحترق الحياة، وكان عام بعد عام
يمضي، ووجه بعد وجه مثلما غاب الشراع
بعد الشراع — وكان يحلم في سكون، في سكون:
بالصدر، والفم، والعيون؛

والحب ظلله الخلود ... فلا لقاء ولا وداع
لكنه الحلم الطويل
بين التمطي والتثاؤب تحت أفياء النخيل.

* * *

بالأمس كان وكان — ثم خبا، وأنساه الملال
واليأس؛ حتى كيف يحلم بالضياء — فلا حنين
يغشى دجاه، ولا اكتئاب، ولا بكاء، ولا أنين
الصيف يحتضن الشتاء، ويذهبان... وما يزال
كالمنـــزل المهجور تعوي في جوانبه الرياح،
كالسلم المنهار، لا ترقاه في الليل الكئيب
قدم، ولا قدم ستهبطه إذا التمع الصباح.
ما زال قلبي في المغيب
ما زال قلبي في المغيب فلا أصيل ولا مساء،
حتى أتت هي والضياء!

* * *

ما كان لي منها سوى أنا التقينا منذ عام
عند المساء، وطوقتني تحت أضواء الطريق
ثم ارتخت عني يداها وهي تهمس — والظلام
يحبو، وتنطفئ المصابيح الحزانى والطريق —:
"أتسير وحدك في الظلام؟
أتسير؛ والأشباح تعترض السبيل، بلا رفيق؟"
فأجبتها والذئب يعوي من بعيد، من بعيد

أنا سوف أمضي باحثاً عنها، سألقاها هناك
عند السراب وسوف ابني مخدعين لنا هناك".
قالت – ورَّجع ما تبوح به الصدى "أنا من تريد!"

* * *

"أنا من تريد، فأين تمضي؛ فيم تضرب في القفار
مثل الشريد؟ أنا الحبيبة كنت منك على انتظار.
أنا من تريد.." وقبلتني ثم قالت – والدموع
في مقلتيها – "غير أنك لن ترى حلم الشباب:
بيتاً على التل البعيد يكاد يخفيه الضباب
لولا الأغاني، وهي تعلو نصف وسنى، والشموع
تلقي الضياء من النوافذ في ارتخاء؛ في ارتخاء!
أنا من تريد وسوف تبقى لا ثواء ولا رحيل:
حب إذا أعطى الكثير فسوف يبخل بالقليل،
لا يأس فيه ولا رجاء

* * *

أنا أيها النائي القريب،
لك أنت وحدك؛ غير أني لن أكون
لك أنت – أسمعها؛ وأسمعهم ورائي يلعنون
هذا الغرام. أكاد أسمع أيها الحلم الحبيب
لعنات أُمي وهي تبكي. أيها الرجل الغريب
إني لغيرك... بيد انك سوف تبقى، لن تسير!
قدماك سُمِّرتا فما تتحركان؛ ومقلتاك

لا تبصران سوى طريقي، أيها العبد الأسير!؟

* *

"– أنا سوف أمضي فاتركيني: سوف ألقاها هناك

عند السراب"

فطوقتني وعي همس: "لن تسيرا!"

* * *

"أنا من تريد؛ فأين تمضي بين أحداق الذئاب

تتلمّس الدرب البعيد؟"

فصرختُ: سوف أسير، ما دام الحنين إلى السراب

في قلبي الظامي! دعيني أسلك الدرب البعيد

حتى أراها في انتظاري: ليس أحداق الذئاب

أقسى عليَّ من الشموع

في ليلة العرس التي ترقبين، ولا الظلام

والريح والأشباح، أقسى منك أنتِ أو الأنام!

أنا سوف أمضي! فارتخت عني يداها، والظلام

يطغى...

ولكني وقفت وملء عينيّ الدموع!

١٩٤٨/١١/٣

والتف حولك ساعداي، ومال جيدك في اشتهاء،
كالزهرة الوسنى – فما أحسستُ الا والشفاه
فوق الشفاه. وللمساء
عطر، يضوع فتسكرين به، وأسكر من شذاه
في الجيد والفم والذراع،
فأغيب في أفق بعيد، مثلما ذاب الشراع
في أرجوان الشاطئ النائي وأوغل في مداه!

* * *

شفتاك في شفتيّ عالقتان – والنجم الضئيلْ
يُلقي سناه على بقايا راعشات من عناق –
ثم ارتخت عني يداك، وأُطبق الصمت الثقيل.
يا نشوةً عبرى؛ وإغفاءً على ظل الفراق
حلواً؛ كإغماء الفراشة من ذهول وانتشاء...
دوماً إلى غير انتهاء!

* * *

يا همسةً فوق الشفاه
ذابت فكانت شبه آه،
يا سكرةً مثل ارتجافات الغروب الهائمات

رانت كما سكن الجناح وقد تناءى في الفضاء

غرقي إلى غير انتهاء

مثل النجوم الآفلات.

* * *

- "لا... لن تراني. لن أعود

"هيهات. لكنّ الوعود

"تبقى تُلحُّ.. فخفّ أنت، وسوف آتي في الخيال

"يوماً، إذا ما جئتَ أنت. وربما سال الضياء

"فوق الوجوه الضاحكات - وقد نسيتَ؛ وما يزال

"بين الأرائك موضعٌ خال يحدق في غباء!

"هذا الفراغ! أما تحس به يحدق في وجوم؟

"هذا الفراغ.. أنا الفراغ، فخفّ أنت لكي يدوم!"

* * *

هذا هو اليوم الأخير؟!

واحسرتاه! أتصدقين؟ ألن تخفَّ إلى لقاء؟!

هذا هو اليوم الأخير. فليته دون انتهاء!

ليت الكواكب لا تسير؛

والساعة العجلى تنام على الزمان فلا تفيق!

خلفتني وحدي - أسير إلى السراب بلا رفيق.

* * *

يا للعذاب! أما بوسعك أن تقولي: "يعجزون

عنا. فماذا يصنعون؟

لو أنني – حان اللقاء

فاقتادني نجم المساء،

في غمرة لا أستفيق

ألا وأنت تلف خصري تحت أضواء الطريق؟!"

* * *

ليل، ونافذة تُضاء.. تقول إنك تسهرين.

إني أحسُّك همسين

في ذلك الصمت المميت: "ألن تخفَّ إلى لقاء؟"

ليل، ونافذة تضاء

تغشى رؤاي، وأنتِ فيها... ثم ينحل الشعاع

في ظلمة الليل العميق

ويلوح ظلك من بعيد وهو يومئ بالوداع،

وأظل وحدي في الطريق!

١٩٤٨

أســـاطير

وقف اختلافهما في المذهب حائلاً بينـــهما
وبين السعادة.. فآلى هو أن يلعن الأوثان!
[قصة حب في اليونان الوثنية]

أساطيرُ من حشرجات الزمان
نسيجُ اليد البالية،
رواها ظلام من الهاوية
وغنّى بها ميّتان.
أساطير كالبيد، ماجَ السراب
عليها، وشقّتْ بقايا شِهاب،
وأبصرتُ فيها بريق النُّضّار
يلاقي سَدىً من ظلال الرغيف،
وأبصرتُني؛ والستار الكثيف
يواريك عني فضاع انتظار
وخابت منىً؛ وانتهى عاشقان.
* * *
أساطير، مثل المُدى القاسيات
تلاوينها من دم البائسين،

فكم أومضت في عيون الطغاة

بما حُمِّلتْ من غبار السنين

يقولون: وحيُ السماء،

فلو يَسمعُ الأنبياء

لما قهقهت ظلمة الهاوية

بأسطورة بالية

تجرُّ القرون

بمركبة من لظى، في جنون

لظى كالجنون!

* * *

وهذا الغرامُ اللجوج

أيرتدُّ من لمسةٍ باردة...

على إصبع من خيال الثلوج،

وأسطورة بائدة؟

وعرّافةٍ أطلقت في الرمال

بقايا سؤال

وعينين تستطلعان الغيُوب

وتستشرفان الدروب،

فكان ابتهالٌ... وكانت صلاة

تُعفر وجهَ الآله

وتحثو عليه انطباق الشفاه

* * *

تعالي فما زال نجم المساء

يذيب السنا في النهار الغريق

ويغشى سكونَ الطريق

بلونين من ومضة وانطفاء.

وهمسُ الهواء الثقيل

بدفء الشذى واكتئاب الغروب،

يذكرني بالرحيل:

شراع خلال التحايا يذوب

وكفٌّ تلوّح. يا للعذاب!

* * *

تعالي فما زال لون السحاب

حزيناً.. يذكرني بالرحيل

رحيل؟!

تعالي، تعالي... نذيب الزمان.

وساعاته؛ في عناق طويل،

ونصبغ بالأرجوان

شراعاً وراء المدى،

وننسى الغدا

على صدرك الدافئ العاطر

كتهويمة الشاعر.

تعالي؛ فملء الفضاء

صدى هامس باللقاء

يوسوس دون انتهاء

* * *

على مقلتيك انتظار بعيد

وشيء يريد..:

ظلال

يغمغم في جانبيها سؤال،

وشوق حزين

يريد اعتصار السراب

وتمزيق أسطورة الأولين

فيا للعذاب!!

جناحان خلف الحجاب

شراع..

وغمغمة بالوداع!!!

١٩٤٨/٣/٢٤

اتبعيني

إتبعيني
فالضحى رانت به الذكرى على شطٍّ بعيدِ
حالمِ الأغوارِ بالنجم الوحيدِ
وشراع يتوارى، و "اتبعيني"
همسة في الزرقة الوسنى .. وظلُّ
من جناح يضمحلُّ
في بقايا ناعسات من سكونِ
في بقايا من سكونِ
في سكون!

* * *

هذه الأغوارُ يغشاها خيالُ؛
هذه الأغوارُ لا يسبرها إلا ملالُ
تعكس الأمواج، في شبه انطفاءِ،
لونَهُ المهجور في الشطِّ الكئيب،
في صباح ومساء،
وأساطيرُ سكارى.. في دروبِ،
في دروبٍ أطفأ الماضي مداها.
وطواها.

فاتبعيني... إتبعيني

* * *

إتبعيني.. ها هي الشطآن يعلوها ذهولُ

ناصلُ الألوانِ، كالحلمِ القديمِ

عادت الذكرى به – ساج كأشباحِ نجومِ

نسيَ الصبحُ سناها والأفولُ

في سهادٍ ناعس...، بين جُفونِ!

في وجوم الشاطئ الخالي، كعينيك، انتظارُ

وظلال تصبغ الريح... وليل ونهارُ.

صفحةٌ زرقاء تجلو، في برود

وابتسامٍ غامض، ظلّ الزمان

للفراغ المتعب البالي على الشط الوحيد.

إتبعيني.. في غدٍ يأتي سوانا عاشقان،

في غد، حتى وإن لم تتبعيني،

يعكس الموج؛ على الشط الحزين

والفراغ المتعب المخنوق؛ أشباحَ السنين.

* * *

أمس جاء الموعدُ الخاوي.. وراحا،

يطرق الباب على الماضي.. على اليأس.. عليّا!

كنت وحدي.. أرقب الساعة تقتات الصباحا

وهي ترنو مثل عين القاتل القاسي إليّا –

أمس... في الأمس الذي لا تذكرينه

ضوّأ الشطآن مصباح كئيب.. في سفينة
واختفى في ظلمة الليل قليلاً فقليلا،
وتناءت، في ارتخاء وتوانِ
غمغمات مجهدات، وأغاني
وتلاشت، تتبع الضوء الضئيلا.
أقبلي الآن... ففي الأمس الذي لا تذكرينه
ضوّأ الشطآن مصباح كئيب في سفينه
واختفى في ظلمة الليل قليلاً فقليلا.

١٩٤٨/٤/٢١

الداءُ يثلج راحتيَّ، ويطفئ الغد.. في خيالي

ويشلّ أنفاسي، ويطلقها كأنفاس الذبال

تهتز في رئتين يرقص فيهما شبح الزوال

مشدودتين إلى ظلام القبر بالدّم والسعال..

* * *

واحسرتا!؟ أكذا أموت؟ كما يجف ندى الصباحِ؟

ما كاد يلمع بين أفواف الزنابق والأقاحي،

فتضوع أنفاسُ الربيع تهزُّ أفياء الدوالي،

حتى تلاشى في الهواء.. كأنه خفق الجناح!

كم ليلة ناديت باسمك أيها الموت الرهيبُ

وودت لوْ طلع الشروق علي إن مال الغروب

بالأمس كنت أرى دجاك أحب من خفقات آلِ

راقصنَ آمال الظماء.. فبَلّها الدم واللهيب!

* * *

بالأمس كنت أصيح: خذني في الظلام إلى ذراعك

واعبر بي الأحقاب يطويهن ظل من شراعك

خذني إلى كهف تهوّم حوله ريح الشمال..

نام الزمان على الزمان، به، وذابا في شعاعك.

* * *

كان الهوى وهماً يعذبني الحنين إلى لقائه
ساءلت عنه الأمنيات؛ وبت أحلم بارتمائه
زهراً ونوراً في فراغ من شكاة وابتهال..
في ظلمة بين الأضالع تشرئب إلى ضيائه

* * *

واليوم حببت الحياة إلي، وابتسم الزمان
في ثغرها، وطفا على أهدابها الغد والحنان —
سمراء.. تلتفت النخيل الساهمات إلى الرمال
في لونها.. وتفر ورقاء.. ويأرج إقحوان..

* * *

شع الهوى في ناظريها.. فاحتواني واحتواها
وارتاح صدري، وهو يخفق باللحون، على شذاها
فغفوت استرق الرؤى والشاعرية من رؤاها
وأغيب في الدفء المعطر.. كالغمامة في نداها

* * *

عينان سوداوان أصفى من أماسي اللقاء،
وأحب من نجم الصباح إلى المراعي والرعاء،
تتلألأن عن الرجاء كليلة تخفي دجاها
فجراً يلون بالندى؛ درب الربيع، وبالضياء

* * *

سمراء يا نجماً تألق في مسائي ... أبغضيني
واقسي عليّ .. ولا ترقي للشكاة وعذبيني

خلي احتقاراً في العيون، وقطي تلك الشفاها

فالداء في صدري تحفز لافتراسك في عيوني!

* * *

يا موت.. يا رب المخاوف، والدياميس الضريرة

اليوم تأتي؟! من دعاك؟ ومن أرادك أن تزوره؟

أنا ما دعوتك أيها القاسي فتحرمني هواها

دعني أعيش على ابتسامتها وإن كانت قصيرة

* * *

لا! سوف أحيى، سوف أشقى؛ سوف تمهلني طويلا

لن تطفئ المصباح.. لكن سوف تحرقه فتيلا

في ليلة.. في ليلتين.. سيلتقي آها فآها

حتى يفيض سنى النهار فيغرق النور الضئيلا!!

* * *

يا للنهاية حين تسدل هذه الرئة الأكيل

بين السعال، على الدماء، فيختم الفصل الطويل

والحفرة السوداء تفغر، بانطفاء النور، فاها –

إني أخاف ... أخاف من شبح تخبِّئه الفصول!!

وغداً إذا ارتجف الشتاء على ابتسامات الربيع

وانحل كالظل الهزيل وذاب كاللحن السريع،

وتفتحت بين السنابل – وهي تحلم بالقطيع

والناي – زنبقة، مددت يدي إليها في خشوع

* * *

وهويت أنشقها فتصعد كلما صعد العبير،

من صدري المهدوم حشرجة فتحترق العطور

تحت الشفاه الراعشات ويُطْفَأ الحقل النضير

شيئاً فشيئاً.. في عيوني ثم ينفلت الأسير!!

١٩٤٨

سـوف أمضـي

سوف أمضي. أسمعُ الرِّيح تُناديني بعيداً
في ظلام الغابة اللفّاء.. والدَّرْبُ الطويل
يتمطى ضَجَراً، والذئبُ يعوي؛ والأفول
يسرقُ النَّجمَ كما تسرق روحي مُقلتاك
فاتركيني أقطع الليل وحيداً
سوف أمضي، فهي ما زالت هُناكَ.
في انتظاري.

* * *

سوف أمضي. لا هديرُ السيلِ صخَّاباً رهيبا
يُغرق الواديُ، ولا الأشباحْ تُلقيها القبورُ
في طريقي تسأل الليلَ إلى أين أسير —
كلُّ هذا ليس يثنيني، فعودي واتركيني،
ودعيني أقطع الليل غريبا.
إنّها ترنو إلى الأفق الحزينِ
في انتظاري.

* * *

سوف أمضي. حوِّلي عينيك لا ترني إليَّا!!
إن سحراً فيهما يأبى على رجلي مسيرا،

إن سراً فيهما يستوقف القلب الكسيرا،

وارفعي عني ذراعيك.. فما جدوى العناق

إن يكن لا يبعث الأشواق فيّا؟

اتركيني. ها هو الفجر تبدّى، ورفاقي

في انتظاري

١٩٤٨/٢/٣٠

هـوى واحـد

على مقلتيك ارتشفت النجوم ... وعانقت آمالي الآيبه...
وسابقت حتى جناح الخيال ... بروحي، إلى روحك الواثبه
أطلت فكانت سناً ذائباً ... بعينيك، في بسمة ذائبه

* * *

أأنت التي رددتها مناي ... أناشيد تحت ضياء القمر
تغني بها في ليالي الربيع ... فتحلم أزهاره بالمطر
ويمضي صداها يهزّ الضياء ... ويغفو على الزورق المنتظر

* * *

خذي الكأس بلي صداك العميق ... بما ارتج في قاعها من شراب
خذي الكأس لا؛ جف ذاك الرحيق ... ولم يبق إلا جنون السراب
وإلا صدى هامس في القرار: ... ألا ليتني ما سقيت التراب

* * *

خذي الكأس، إني زرعت الكروم ... على قبر ذاك الهوى الخاسر
فأعراقها تستعيد الشراب ... وتشتفه من يد العاصر
خذي الكأس إني نسيت الزمان ... فما في حياتي سوى حاضر

* * *

وكان انتظاراً لهذا الهوى ... وقلبي، وأشواقكِ العارمه؟
وإرسالُ طرفي يجوب العباب ... صداها.. فيا لك من ظالمه

إلى أن أهـلَّ الشـراع الضـحوك ذبـولاً علـى الزهـرة النائمـه

* * *

أتنسـين تحـت التمـاع النجـوم خُطانـا وأنفاسَـنا الواجفـة

وكيف احتضنا صدى في القلـوب تغـني بـه القبلـة الراجفـة

صدى لج قبـل احتـراق الشـفاه ومـا زال في غيهـب العاطفـة

* * *

ورانت علـى الأعـين الوامقـات ظـلال مـن القبلـة النائيـة

تُنـادي، بهـا رغبـة في الشـفاه ويمنعهـا الشـك.. والواشـية

فتـرتج عـن ضـغطة في اليـدين جمعنـا بهـا الـدهر في ثانيـة

* * *

"شـقيقة روحـي ألا تـذكرين" نـداءاً سـيبقي يجـوب السـنين

وهمـس مـن الأنجـم الحالمـات يهـز التماعاتهـا بـالرنين

تسـلل في فجـوة في السـتار إليـك وقـال: ألا تـذكرين

* * *

تعـالي، فمـا زال في مقلـتي سـناً مـاج فيـه اتقـاد الفـؤاد

كمـا لاح في الجـدول المطمـئن خيـال اللظـى والنجـوم البعـاد

فـلا تزعمـي أن هـذا جليـد ولا تزعمـي أن هـذا رمـاد؟

١٩٤٨/٢/١٦

لن نفترق

هبت تغمغم: "سوف نفترق" ... روح على شفتيك تحترق
صوت كأن ضرام صاعقة ... ينداح فيه.. وقلبي الأفق
ضاق الفضاء، وغام في بصري ... ضوء النجوم، وحطم الألق
فعلى جفوني الشاحبات، وفي ... دمعي، شظايا منه أو مِزق
فيم الفراق؟ أليس يجمعنا ... حب نظل عليه نعتنق؟
حب ترقرق في الوعود سنا ... منه ورف على الخطى عبق
أُختاه، صمتك ملؤه الريب ... فيم الفراق؟ أما له سبب؟
الحزن في عينيك مرتجب؛ ... واليأس في شفتيك يضطرب
ويداك باردتان.. مثل غدي ... وعلى جبينك خاطر شحب
ما زال سرك لا تجنحه ... آه مؤججة... ولا يثب
حتى ضجرت به، وأسأمه ... طول الثواء، وآده التعب:
"إني أخاف عليكَ" واختلجت ... شفة إلى القبلات تلتهب

* * *

ثم انثنيت مهيضة الجلد ... تتنهدين وتعصرين يدي
وترددين وأنت ذاهلة، ... "إني أخاف عليك حزن غد"
فتكاد تنتثر النجوم أسى ... في جوّهن.. كذائب البرد
لا تتركي، لا تتركي لغدي ... تعكير يومي، ما يكون غدي؟
وإذا ابتسمت اليوم من فرح ... فلتعبسن ملامح الأبد!

ما كــان عمــري قبــل موعــدنا إلا الســنين تــدبّ في جســد

* * *

أختــاه لــذّ علــى الهــوى ألمــي فاســتمتعي بهــواك وابتســمي

هــاتي اللــهيب فلســت أرهبــه، مــا كــان حبــك أول الحمــم

مــا زلــت محترقــاً تلقفــني نــار مــن الأوهــام كــالظلم

ســوداء لا نــور يضــيء بهــا كرقــاد حمّــى دونمــا حلــم

هي ومضــة ألقــى الوجــود بهــا جــذلان يــرقص عــاري القــدم

هــاتي لهيبــك إن فيــه ســناً يهدي خطــاي.. ولــو إلى العــدم

١٩٤٨/٢/٣٠

ســـراب

بقايا من القافلة

تُنير لها نجمة آفلة

طريقَ الفناءْ،

وتؤنسها بالغناءْ

شفاه ظماء —

تهاويلَ مرسومة في السراب

تمزّق عنها النقاب

على نظرة ذاهلة

وشوق يُذيب الحدود.

* * *

ظلال على صفحة باردة

تحركها قبضة ماردة

وتدفعها غنوة باكية،

إلى الهاوية.

ظلال على سلم من لهيب

رمى في الفراغ الرهيب

مراتبه البالية

وأرخى على الهاوية

قناع الوجود.

سنمضي.. ويبقى السراب

وظلّ الشفاه الظماءْ

يهوّم خلف النقاب،

وتمشي الظلال البطاء

على وقع أقدامكِ العارية

إلى ظُلمة الهاوية،

وننسى على قِمةِ السلمِ

هوانا.. فلا تحلمي

بأنّـــا نعودْ!

١٩٤٨/٣/٢٧

أريقي على ساعديَّ الدموع — وشدي على صدري المتعب
فهيهات ألا أجوب الظلام — بعيداً. إلى ذلك الغيهب
فلا تهمسي: غاب نجم المساء — ففي الليل أكثر من كوكب

* * *

وهل كان حلم بغير انتهاء — وهل كان لحن بلا آخر؟
لكي تحسبي أن هذا الغرام — أبيد الرؤى.. خالد الحاضر
وأنا سنبقى نعد السنين — مواعيد في ظله الدائر؟

* * *

على مقلتيك ارتماء عميق — وذكرى مساء تقول ارجع!
نداء بعيد الصدى كالنجوم — يراها حبيبان في مخدع!
يكاد اشتياقي يهزّ الحجاب — وتومي ذراعي: هيا معي!!

* * *

سأمضي.. فلا تحلمي بالإياب — على وقع أقدامي النائية
ولا تتبعيني، إذا ما التفت — ورائي إلى الشمعة الخابية
يرنحها في يديك النحيب — فتهتز من خلفك الرابيه

* * *

ستنسين هذا الجبين الحزين — كما انحلت الغيمة الشارده
وغابت، كحلم؛ وراء التلال — بعيداً.. سوى قطرة جامدة

ستنثرها الريح عما قليل   وتنشرها التربة الباردة

* * *

ورب اكتئاب يسيل الغروب   على صمته الشاحب الساهم

وأغنية في سكون الطريق   تلاشت على هدأة العالم

أثارا صدى همس الذكريات   ، إذ ما انتهى، همسة الحالم

* * *

غداً... حين يبلى وراء الزجاج   كتاب عليه اسمي الذابلُ

وتنفض كفاك عنه الغبار   ويخلو بك المخدع القاحل

سيلقاك وجهي خلال السطور   كما يسطع الكوكب الآفل

* * *

إذا ما قرأن "اللقاء الأخير"   تمنيت، في غفلة هاربة،

لو استرجعت قبضتاك السنين،   لو استرجعت ليلة ذاهبه!

.... ولكن شيئاً حواه الجدار   تحدى أمانيَّك الكاذبة.

* * *

تلفت، عن غير قصد، هناك   فأبصرت.. بالانتحار الخيال!

حروفاً من النار.. ماذا تقول؟   - لقد مر ركب السنين الثقال

وقد باح تقويمهن الحزين   بأن اللقاء المرّجى.. محال!!

١٩٤٨/٤/٥

لا تزيديه لوعة

لا تزيديه لوعة فهو يلقاك ... لينسى لديك بعض اكتئابه
قربي مقلتيك من وجهه الذاوي ... تري في الشحوب سر انتحابه
وانظري في غضونه صرخة اليأس ... وأشباح غابر من شبابه:
لهفة تسرق الخطى بين جفنيه ... وحلم يموت في أهدابه

* * *

واسمعيه إذا اشتكى ساعة البين، ... وخاف الرحيل - يوم اللقاء
واحجبي ناظريه؛ في صدرك المعطار ... وعن ذلك الرصيف المضاء
عن شراع يراه في الوهم ينساب ... وموج يحسه في المساء:
الوداع الحزين!! شدي ذراعيك ... عليه.. على الأسى والشقاء

* * *

حدثي.. حدثيه عن ذلك الكوخ ... ...وراء النخيل... بين الروابي
حلم أيامه الطوال الكئيبات ... فلا تحرميه حلم الشباب..
أوهميه بأنه سوف يلقاك ... على النهر.. تحت ستر الضباب
وأضيئي الشموع في ذلك الكوخ.. ... وإن كان كله من سراب..

* * *

كلما ضج شاكياً، في ذراعيك، انتهاء الهوى صرخت انتهارا..
فارتمي.. أين يرتمي صدره الجياش حزناً وحيرة وانتظارا؟
اغضبي.. وادفعيه عن صدرك القاسي.. وأرخي على هواه الستارا
أوصدي الباب خلفه.. واتركيه مثلما كان.. للدجى والصحارى!

١٩٤٨/٤/٨

عبيـــر

عطرت أحلامـي هـذا الشـذى ... مـن شـعرك المسترسـل الأسـود
الجو مـن حـولي، ربيـع حبـا ... مـن خـدره النـائي إلى الموعـد
هـذا عـبير الحـب فجرتـه ... يبحث عـن مجـرى لـه في غـد
نبـع أثـيريّ الخطـى، حـالم ... بالظلـة الخضـراء والمسـند
والعاشق السكران يحصـي علـى ... ثغرك مـا في الليـل مـن فرقـد
أوقدت مصـباح الهـوى بعـدما ... خبـا؛ ولـولا أنـت لم يوقـد
هبـت عليـه الـريح مجنونـة ... محلولـة الشـعر؛ خضـيب اليـد
الزيت من هذا الشـذى واللظـى ... مـن قبلـة في الغيـب لم تولـد
تطفو علـى العطـر خيـالاً فـلا ... ترسـب الا في الفـؤاد الصـدي

* * *

أهـم أن أهتـف: أنـت الـتي ... مثلتـها في أمسـي الأبعـد
وأنت مـن تحلـم روحـي بهـا ... علـى ضـفاف الـزمن المزبـد
تسـائل المـوج وتـومي إلى ... كـل شـراع علـها تهتـدي
أهـم أن أهتـف لـولا خطـى ... عـابرة في الخـاطر المجهـد
أطيـاف حسـناواتي اسـتيقظت ... هاتفـة: يـا ذكريـات اشـهدي
مـا نـال منـا غـير أسمائنـا ... تسـخر مـن آمالـه الشـرد
مكتوبـة بالنـار، في شـعره ... كالصـورة الخرسـاء في معبـد

١٩٤٧/١٠/٢١

عينـــان زرقـــاوانِ.. يـــنعس فيهمـــا لـــونُ الغـــدير
أرنـــو.. فينســـاب الخيـــالُ وينصـــتُ القلـــبُ الكســـير
وأغيـــبُ في نغـــم يـــذوب.. وفي غمـــائم مـــن عـــبير
بيضـــاء مِكســـال التلـــوّي تســـتفيق علـــى خريـــر
نـــاءٍ.. يمـــوت وقـــد تثـــاءب كوكـــب الليـــل الأخـــير
يمضـــي علـــى مهـــلٍ، وأسمـــع همســـتين.. وأســـتدير
فـــأذوب في عيـــنين يـــنعس فيهمـــا لـــون الغـــدير

* * *

حســـناء.. يـــا ظـــلّ الربيـــع، مللـــت أشـــباح الشـــتاءْ
ســـوداً تُطـــلُّ مـــن النوافـــذ كلمـــا عـــبس المســـاء
حســـناء.. مـــا جـــدوى شـــبابي إن تقضـــى بالشـــقاء
عينـــاك.. يـــا للكـــوكبين الحـــالمينِ بـــلا انتـــهاء..
لولاهمـــا مـــا كنـــتُ أعلـــم أن أضـــواء الرجـــاء
زرقـــاء ســـاجية.. وأن النـــور مـــن صـــنع النســـاء
هـــي نظـــرة مـــن مقلتيـــك؛ وبســـمة تعـــد اللقـــاء
ويضـــيء يـــومي مـــن غـــدي؛ وتفـــر أشـــباح الشـــتاء

* * *

عينـــاكِ.. أم غـــاب ينـــام علـــى وســـائد مـــن ظـــلال؟

ساجٍ تلثم بالسكون فلا حفيف ولا انثيال

إلا صدى واه يسيل على قياثر في الخيال.

إني أحس الذكريات يلفها ظل ابتهال...

في مقلتيك مدى تذوب عليه أحلام طوال،

وغفا الزمان.. فلا صباح، ولا مساء، ولا زوال!

إني أضيع مع الضباب.. سوى بقايا من سؤال:

عيناك.. أم غاب ينام على وسائد من ظلال!

١٩٤٨/١/٦

في ليالي الخريف

في ليالي الخريف الحزين،

حين يطغى علي الحنين

كالضباب الثقيل

في زوايا الطريق

في زوايا الطريق الطويل؛

حين أخلو وهذا السكون العميق —

توقد الذكريات،

بابتساماتك الشاحبات،

كل أضواء ذاك الطريق البعيد

حيث كان اللقاء

في سكون المساء

هل يعود الهوى من جديد؟

عاهديني إذا عاد.. يا للعذاب!

عاهديني .. ومرت بقايا رياح

بالوريقات؛ في حيرة واكتئاب

ثم تهوي حيال السراج الحزين.

انتهينا.. أما تذكرين؟

انتهينا.. وجاء الصباح
يسكب النور فوق ارتخاء الشفاه
وانحلال العناق الطويل،
أين آلام يوم الرحيل؟
أين لا "لست أنساك" واحسرتاه؟

* * *

في ليالي الخريف
حين أصغي، ولا شيء غير الحفيف
ناحلاً كانتحاب السجين
خاف أن يوقظ النائمين
فانتحى في الظلام
يرقب الأنجم النائيات
حجبتها بقايا غمام
فاستبدت به الذكريات
الغناء البعيد البعيد
في ليالي الحصاد،
أوجه النسوة الجائعات..
ثم يعلو رنين الحديد
يسلب البائس الرقاد!
في ليالي الخريف
حين أصغي وقد مات حتى الحفيف

والهواء —

تعزف الأمسيات البعاد

في اكتئاب يثير البكاء،

شهرزاد[1]

في خيالي فيطغى عليّ الحنين؛

أين كنا؟! أما تذكرين؟

أين كنا؟! أما تذكرين المساء؟!

* * *

في ليالي الخريف الطوال؛

آه لو تعلمين

كيف يطغى عليّ الأسى والملال!؟

في ضلوعي ظلام القبور السجين،

في ضلوعي يصيح الردى

بالتراب الذي كان أمي: "غدا

سوف يأتي. فلا تقلقي بالنحيب

عالم الموت حيث السكون الرهيب!"

سوف أمضي كما جئت واحسرتاه!

سوف أمضي.. وما زال تحت السماء

مستبدون يستنـــزفون الدماء،

سوف أمضي وتبقى عيون الطغاة

---

[1] قطعة موسيقية، للموسيقار الروسي ريمسكي كورساكوف.

تستمد البريق

من جذى كل بيت حريق

والتماع الحراب

في الصحارى، ومن أعين الجائعين،

سوف أمضي.. وتبقى فيا للعذاب!

سوف تحيين بعدي، وتستمتعين

بالهوى من جديد،

سوف أنسى وتنسين الاّ صدى

من نشيد

في شفاه الضحايا — وإلا الردى

١٩٤٨/٩/١٧

أغنية قديمة

في المقهى المزدحم النائي، في ذات مساء،
وعيوني تنظر في تعب،
في الأوجه، والأيدي، والأرجل، والخشب:
والساعة تهزأ بالصخب.
وتدق – سمعت ظلال غناء ...
أشباح غناء ...
تتنهد في ألحاني، وتدور كإعصار
بال مصدور،
يتنفس في كهف هار
في الظلمة منذ عصور!

* * *

أغنية حب ... أصداء
تنأى ... وتذوب .. وترتجف
كشراع ناء يجلو صورته الماء
في نصف الليل.. لدى شاطئ إحدى الجزر؛
وأنا أصغي.. وفؤادي يعصره الأسف:
لِمَ يسقط ظل يد القدر
بين القلبين؟! لم أنتزع الزمن القاسي

من بين يدي وأنفاسي،
يمناك؟! وكيف تركتك تبتعدين.. كما
تتلاشى الغنوة في سمعي.. نغما.. نغما؟!

* * *

آه ما أقدم هذا التسجيل[1] الباكي
والصوت قديم؛
الصوت قديم
ما زال يولول في الحاكي.
الصوت هنا باق؛ أما "ذات" الصوت:
القلب الذائب إنشاداً
والوجه الساهم كالأحلام، فقد عادا
شبحاً في مملكه الموت –
لا شيء – هنالك في العدم.
وأنا أصغي... وغداً سأنام عن النغم!
أصغيت.. فمثّل إصغائي
لي وجه مغنية كالزهرة حسناءِ
يتماوج في نبرات الغنوة، كالظل
في نهر تقلقه الأنسام؛
في آخر ساعات الليل،
يصحو.. وينام.

---

[1] الأسطوانة.

أأثور؟! أأصرخ بالأيام؟! وهل يجدي؟!

إنا سنموت

وسننسى، في قاع اللحد؟

حباً يحيا معنا.. ويموت!

* * *

ذرات غبار

تهتز وترقص، في سأم،

في الجو الجائش بالنغم،

ذرات غبار!

الحسناء المعشوقة مثل العشاق

ذرات غبار!

كم جاء على الموتى – والصوت هنا باق –

ليل .. ونهار!!

هل ضاق به مثلي، بالزمن

تقويماً خط على كفن،

ذرات غبار؟!؟

١٩٤٨/٧/٢٠

عينـــاك؛ والنـــور الضـــئيل مـــن الشـــموع الخابيـــات
والكـــأس، والليـــلُ المطـــلّ، مـــن النوافـــذ، بـــالنجوم؛
يحـــثنَ في عـــينيّ عـــن قلـــبٍ.. وعـــن حُـــبٍّ قـــديم؛
عـــن حاضـــرٍ خـــاوٍ، ومـــاضٍ في ضـــباب الـــذكرياتِ
ينـــأى؛ ويصـــغر، ثم يفـــنى إنـــه الصّـــمتُ العميـــقْ
والبـــاب توصـــده وراءك في الظـــلام يـــدا صـــديق!
كالشـــاطئ المهجـــور قلـــبي، لا ومـــيض ولا شـــراعْ،
في ليلـــة ظلمـــاءَ بـــلّ فضـــاءَها المطـــرُ الثقيـــلْ —
لا صـــرخةُ اللقيـــا تُطيـــف بـــه ولا صـــمتُ الرّحيـــل.
يمنـــاك والنـــورُ الضـــئيل.. أكـــان ذاك هـــو الـــوداع؟!
بـــاب، وظـــلٌّ يـــدين تفترقـــان — ثم هـــوى الســـتار،
ووقفتُ أنظر، في الظـــلام، وســـرتِ أنـــت إلى النـــهار!

* * *

في ناظريـــكِ الحـــالمين رأيـــتُ أشـــباحَ الـــدموع
أنأى مـــن الـــنجم البعيـــد، تمـــر في ضـــوء الشـــموع.
واليأسُ مدّ على شـــفاهك، وهـــي همـــس في اكتئـــاب؛
ظـــلاً — كمـــا تلقـــي جبـــال نائيـــات مـــن جليـــد
أطيـــافهن علـــى غـــدير تحـــت أســـتار الضـــباب،

لا تسألي: مـــاذا تريـــد؟ - فلســـتُ أملـــك مـــا أريـــدَ!

* * *

بـــاب وظـــلٌ يـــدين تفترقـــان – ليتـــك تعلمـــين

أن الشـــموع ســـينطفين، وأن أمطـــار الشـــتاء

بـــيني وبينـــك ســـوف تهـــوي كالســـتار.. فتصـــرخين،

الـــريحُ تعـــولُ عنـــد بـــابي، لســـت أسمـــعُ مـــن نـــداء

إلاّ بقايـــا مـــن حـــديث رددتـــه الـــذكريات

وســـنان هـــوّم كالســـحابة في خيـــالي..... ثم مـــات!

* * *

أنا سوف أمضي، سوف أنأى، ســـوف يصـــبح كالجمـــاد

قلب قضـــيت الليـــل باحثـــة، علـــى الضـــوء الضـــئيل،

عن ظلـــه في مقلـــتيَّ... فمـــا رأيـــتِ ســـوى رمـــاد!!

أنا سوف أمضـــي – ربمـــا أنســـى، إذا ســـال الأصـــيل

بالصـــمت، أنـــك في انتظـــاري تـــرقبين... وتـــرقبين؛

أو ربمـــا طافـــت بي الـــذكرى... فلـــم تـــذك الحـــنين

* * *

الـــزورق النـــائي، وأنـــات المجـــاذيف.. الطـــوال

تدنو على مهـــل ... وتـــدنو – في انخفـــاض وارتفـــاع،

حـــتى إذا امتـــدت يـــداك إليّ في شـــبه ابتـــهال

وهمست: "ها هو ذا يعودا" – رجعـــت فارغـــة الـــذّراع!

وأفقت في الظلمـــاء حـــيرى، لا تـــرين ســـوى النجـــوم

ترنـــو إليـــك مـــن النوافـــذ في وجـــومٍ.. في وجـــوم!

* * *

قـــد لا أؤوب إليـــك إلا في الخيـــال، وقـــد أؤوب

لا أمـــس في قلـــبي، ولا في مقلـــتيّ هـــوى قـــديم:

كفـــان ترتجفـــان حـــول الموقـــد الخـــابي.. وكـــزب

تتـــراقص الأشـــباح فيـــه.. وتنظـــرين إلى النجـــوم

حذر البكاء... و "كيف أنـــتِ؟" تهـــز قلبـــك في ارتخـــاء

- "عاد الشتاء.." -

فتهمسين: "وسوف يرجـــع في الشـــتاء!"

١٩٤٨/١٠/٨

ذراعـــا أبي تُلقيــانِ الظـــلالَ   على روحــيَ المســتهام الغريــب
ذراعـــا أبي والســـراجُ الحـــزين   يطـــاردني في ارتعـــاش رتيـــب
وحفـــت بي الأوجـــهُ الجائعـــات   حيـــارى. فيالَلجـــدار الرهيـــب!
ذارعـــا أبي تُلقيـــان الظـــلالَ   على روحـــيَ المســتهام الغريــب.

* * *

وطال انتظاري.. كـأن الزمـان   تلاشـــى فلـــمْ يبـــقَ إلا انتظـــار!
وعيناي مـلءُ الشـمال البعيـد   فيـــا ليـــتني أســـتطيع الفـــرار..
وأنـــتِ التقـــاءُ الثـــرى بالســـماء   علـــى الآل؛ في نائيـــات القفـــار،
وطال انتظـــاري كـــأن الزمـــان   تلاشـــى، فلـــم يبـــق إلا انتظـــار!

* * *

أألقـــاك، تـــأتي علـــيّ النجـــوم   وتمضي... وما غيرُ هـــذا الســـؤال
تغنيـــه في مســـمعيّ الريـــاح   وتُلقيـــه في نـــاظري الظـــلال..
وترنو علـــى جرســـه الأمنيـــاتُ   إلى ذكريـــات الهـــوى في ابتـــهال
أألقـــاك؟ تـــأتي علـــيّ النجـــوم   وتمضي، وما غـــير هـــذا الســـؤال

* * *

أصيخي! أمـــا تســـمعين الـــرنين   تـــدوّي بـــه الســـاعة القاســـية؟؟
أصيخي.. فهـــذا صـــليل القيـــود   وقهقهـــة المـــوت في الهاويـــة!
زمـــان.. زمـــان — يهـــز النـــداءُ   فؤادي.. فـــأدعوك؛ يـــا نائيـــة...

أصيخي! أمـا تسـمعين الـرنين   تـدوي بـه السـاعة القاسـية!؟

* * *

أمـا تُبصـرين الـدخان الثقيـل   يجرُّ الخطـى مـن فـم الموقـد؟!
تلوى.. فأبصـرت فيـه الظهـور   وقـد قوسـتها عصـا السـيد
وأبصرت فيه الحجـاب الكثيـف   علـى جبهـة العـالم المجهـد..
أمـا تبصـرين الـدخان الثقيـل   يجر الخطـى مـن فـم الموقـد؟!

* * *

ولا بد من ساعة... مـن مكـان   لـروحين مـا زالتـا في ارتقـاب!
سألقاك.. أيـن الزمـان الثقيـل   إذا ما التقينـا؛ وأيـن العـذاب؟!
سـينهار عـن مقلتيـك الجـدار   وتفـنى ذراعـا أبي كالضـباب..
ولا بد من سـاعة مـن مكـان   لـروحين مـا زالتـا في ارتقـاب!

* * *

وكيـف التلاقـي، وبـين المـنى   وإدراكهـن؛ الـدخان الثقيـل؟
تمـوج الأسـاطير في جانبيـه   ويحبـو علـى صـدره المسـتحيل
ونحـن الغريقـان في لجـه   سننسى الهوى فيه.. عمـا قليـل؟
وكيـف التلاقـي، وبـين المـنى   وإدراكهـن، الـدخان الثقيـل

* * *

لينهـد هـذا الجـدار الرهيـب   وتنـدك حـتى ذراعـا أبي!!
أحاطـت بي الأعـين الجائعـات: مرايـا مـن النـار في غيهـب
إذا اسـتطعت مهربـا مقلتـاي   تصـدى خيـالان في مهـربي
فأبصـرت ظلـين لي في الجـدار   أو اسـتوقفتني ذراعـا أبي

* * *

ســأبقى وراء الجــدار البغــيض   وعينــاي لا تبرحــان الطريــق
أعــد الليــالي خــلال الكــرى   وأرعــى بنجــوم الظــلام العميــق
فلا تيأســي – أن تمــر الســنون   ويطفــين في وجنتيــك البريــق
ســأبقى وراء الجــدار القــديم   وعينــان لا تبرحــان الطريــق

١٩٤٧/٧/٢٧

ذكــرى لقـــاء

قد انتصف الليل، فـــاطو الكتـــاب عـــن الـــريح والشـــمعة الخابيـــة
فعينـــاك لا تقـــرآن الســـطور ولكنـــــها العلـــــة الواهيـــــة
فأنـــت تـــرى مقلتيهـــا هنـــاك وذكـــرى مـــن الليلـــة الماضـــية
فتطوي على ركبتيـــك الكتـــاب وترنـــــو إلى الأنجـــــم النائيـــــة

* * *

هنا أنت بـــين الضـــياء الضـــئيل وبين الدجى في الفضـــاء الرحيـــب
وكم من مصـــابيح تفـــنى هنـــاك تـــنير الثـــرى والفـــراغ الرهيـــب

مصـــابيح كانـــت تـــذوب
وتنحـــــل في شـــــعرها:
خطانا، ولـــون الغـــروب،
وما ضـــاع مـــن عطرهـــا.

وتُلقي علـــى ذكريـــات الشـــتاء ســـتاراً مـــن الأدمـــع الراجفـــة
فتخبـــو مصـــابيحهن البعـــاد بطيئـــاً... كمـــا تـــبرد العاطفـــة
كما افترقت، يوم حـــان الرحيـــل يـــد صـــافحتها يـــد واجفـــة
كرجع الخطى في الطريق البعيـــد، كمـــا انحلـــت الرغبـــة الخائفـــة

* * *

وتصغي ولا شـــيء إلا الســـكون وإلا خطـــــى الحـــــارس المتعـــب
وإلا ارتعـــاش الضـــياء الضـــئيل وخفـــق الظـــلال علـــى المكتـــب

وأسـفارك الباليـة

كأشـباح مـوتى تسـير

حيـارى إلى الهاويـة

- وحلم ادكار قصـير -

وتنساب مثل الشـراع الكئيـب وراء الـدجى؛ روحـك الشـاردة

ترى وجههـا كالتمـاع النجـوم وتطويـه عنـك اليـد المـاردة

إلى أن يـذوب الضـباب الثقيـل وتنـهار ألوانـه الجامـدة

فهـا أنـت ذا تسـتعيد اللقـاء كمـا عـادت الجثـة البـاردة

* * *

وتمتـد يمنـاك نحـو الكتـاب كمـن يَنشُـد السـلوة الضـائعة

فتبكي مـع العبقـري المـريض[1] وقد خاطـب النجمـة السـاطعة:

"تمنيـت يـا كوكـب

ثباتـا كهـذا - أنـام

علـى صـدرها في الظـلام

وأفـنى كمـا تغـرب"

ويَغشـى رؤاك الضـياء القـديم بطيئـاً... كمـا سـارت القافلـة

ترى الباب مثل انعكـاس المغيـب علـى صـفحة الجـدول الناحلـة

ويغشـى رؤاك الضـياء القـديم يـنير لـك الغرفـة الآفلـة

ويغشـى رؤاك الضـياء القـديم فيـا لانتفاضـتك الهائلـة!

* * *

---

[1] الشاعر الإنكليزي جون كيتس مات مسلولا في الخامسة والعشرين من عمره، وآخر ما كتبه قصيدته التي يخاطب بها كوكبا في السماء.

ترى الباب ألقــى عليــه الأصــيل ظــلالاً مــن الكرمــة العاريــة

فما كــان غــير اعتنــاق طويــل عصــرنا بــه القــوة الباقيــة

وألقيــتُ عــبء الســنين

ورأســي، علــى صــدرها

فشــدت عليــه الــيمين

وأدنتــه مــن ثغرهــا...

وأيقنــت أن الحيــاة؛ - بغــير الهــوى - قصــة فــاترة

وإني بغــير الــتي ألهبــت خيــالي بأنفاســها العــاطرة...

شريد يشــق ازدحــام الرجــال وتخنقــه الأعــين الســاخرة

لـــيلان غامـــا، بـــالنجوم الآفـــلات علـــى سُـــهادي،
يومـــان. لا وعـــد ولا لقيـــا وتخفـــق يـــا فـــؤادي؟!
وغـــداً ســـيمتلئ انتظـــاري بـــالظلام ولا أراهـــا
وتجـــول عـــيني في الطريـــق وتســـتقر علـــى كتـــابي،
وأنـــا ســـأحلم بالشـــتاء واســـتفيق علـــى هواهـــا

* * *

ســـأم... ومصـــباح وحيـــد ران في أقصـــى الطريـــق
مـــرت وجـــوه العـــابرين بـــه... فلوّنهـــا قلـــيلا..
مـــرّت وغابـــت في الظـــلام، ولـــيس يـــبرح في حريـــق
ســـأم.. ونافـــذة يطيـــل فضـــاؤها الـــدرب الطـــويلا.
ســـأم ومـــرآة تثـــاءب في قرارتهـــا الوجـــوم..
الغرفـــة الجوفـــاء والأقـــداح والبـــاب القـــديم.

* * *

بالأمس كان هـــوى وكـــان... وكـــانَ – ويـــح الـــذكريات
"وافرحتـــاه.. أتصـــدقين؟" وقادنـــا نجـــم المســـاء
في ذلـــك الـــدرب البعيـــد وألـــف نجـــوى واشـــتكاء
تخبـــو وتنـــأى؛ والعنـــاق يعـــد أضـــواء الطريـــق.

بالأمس كـــان هـــوى وكـــان – وخـــيم الصـــمت العميـــق

* * *

دب المـــــلال إلى فـــــؤادك مثـــــل أوراق الخريـــــف...

"أهـــواك"؟ مـــاذا تهمســـين؟ أتلـــك حشـــرجة الحفيـــف

في دوحـــة صـــفراء يقلـــق ظلـــها روح الشـــتاء؟!

تتألقـــــان ولا لهيـــــب.. وتزحفـــــان ولا فضـــــاء

فـــلّ العنـــاق علـــى الجفـــون وحطـــم الـــدرب البعيـــد!

١٩٤٨/٥/٣

نهـــاية

"سأهواك حتى تجف الأدمع في عيني
وتنهار أضلعي الواهية.." "هي"

أضيئي لغيري فكل الدروب
سواء على المقلة الشاردة؛
سأمضي إلى مجهل لا أؤوب
فان عادت الجثة البارده،
فألقي على الأعين الخاويات
طيب السماء —
لعل الرؤى الخابيات،
إذا مس أطرافهن الضياء؛
يخبرن عن ذلك المجهلِ:
عن الريح... والغاب... والجدول
أضيئي لها يا نجوم!

* * *

"سأهواك حتى..." نداء بعيد
تلاشت؛ على قهقهات الزمان
بقاياه.. في ظلمة.. في مكان،

وظل الصدى في خيالي يعيد:

"سأهواك حتى سأهوى" نواح

كما اعولت في الظلام الرياح،

"سأهواك حتى .. س .." يا للصدى

أصيخي إلى الساعة النائية:

"سأهواك حتى.." بقايا رنين

تحدين دقاتها العاتيه،

تحدين حتى الغدا،

"سأهواك" ما أكذب العاشقين!

"سأهوا..." — نعم.. تصدقين.

* * *

ظلام... وتحت الظلام المخيف

ذراعان تستقبلان الفضاء

أبعد اصفرار الخريف

تريدين ألا يجيء الشتاء؟

لقاء وأين الهوى يا لقاء؟!

عويل من القرية النائيه،

وشيخ ينادي فتاه الغريق،

بهذا الطريق... وذاك الطريق،

ويمشي إلى الضفة الخالية

يسائل عنه المياه،

ويصرخ بالنهر.. يدعو فتاه،

ومصباحه الشاحب

يغني "سدى" زيته الناضب

"محال يراه!"

ويحنو على الصفحة القاتمة

يحدق في لهفة عارمه،

فما صادفت مقلتاه

سوى وجهه المكفهر الحزين

ترجرجه رعشة في المياه

تغمغم "لا لن تراه".

* * *

أحقاً نسيتِ اللقاء الأخير؟

أحقاً نسيتِ اللقاء...؟

أكان الهوى حلم صيف قصير

خبا في جليد الشتاء؟

خبا في جليد

وظل الصدى في خيالي يعيد:

"خبا في جليد... خبا في جليد — "

ويا رب حلم يهيل الزمان

عليه الرؤى والسنين الثقال

فتمضي ويبقى شحوب الهلال

يلون بالأرجوان

شحوب النجوم وصمت القمر،

ويومض في كل حلم جديد –

شحوب الهلال وظل الشجر

وطيف الشراع البعيد؟

١٩٤٨/٥/٢٦

الكوكب الوسنان يطفئ ناره خلف التلال،

والجدول الهدار يسبره الظلام

إلا وميضاً، لا يزال

يطفو ويرسب... مثل عين لا تنام،

ألقى به النجم البعيد

يا قلب.. ما لك، لست تهدأ ساعة؟ ماذا تريد؟

النجم غاب وسوف يشرق من جديد، بعد حين،

والجدول الهدار.. هينم ثم نام،

أما الغرام – دع التشوق يا فؤادي والحنين!

* * *

أأظل أذكرها.. وتنساني؟

وأبيت في شبه احتضار؛ وهي تنعم بالرقاد؟

شعت عيون حبيبها الثاني

في ناظريها المسبلين على الرؤى – أما فؤادي

فيظل يهمس، في ضلوعي،

باسم التي خانت هواي.. يظل يهمس في خشوع.

إني سأغفو.. بعد حين سوف أحلم في البحار:

هاتيك أضواء المرافئ وهي تلمع من بعيد..

تلك المرافق في انتظار..

تتحرق الأضواء فيها.. مثل أصداء تبيد.

* * *

القرية الظلماء خاوية المعابر والدروب،

تتجاوب الأصداء فيها مثل أيام الخريف

جوفاء.. في بطء تذوب،

واستيقظ الموتى.. هناك على التلال، على التلال

الريح تعول في الحقول. وينصتون إلى الحفيف —

يتطلعون إلى الهلال

في آخر الليل الثقيل.. ويرجعون إلى القبور

يتساءلون متى النشور!!

والآن تقرع في المدينة ساعة البرج الوحيد.

لكنني في القرية الظلماء.. في الغاب البعيد.

* * *

دعها تحب سواي: تقضي في ذراعيه النهار

وتراه في الاحلام يعبس أو يحدث عن هواه،

فغداً سيهوي ساعداه

مثل الجليد، على خطوط باهتات، في إطار؛

وعلى الرفوف الشاحبات رسائل

عادت تلف، على نسيج العنكبوت؛ بها الوعود

والريح تهمس، لن يعود،

ويلون المرآة ظلّ من سراج، ذابل

وحياله امرأة تحدق في كتاب..

بال، وتبسم في اكتئاب..

* * *

الكوكب الوسنان يطفئ ناره خلف التلال.

والجدول الهدار يسبره الظلام

إلا وميضاً، لا يزال

يطفو ويرسب مثل عين لا تنام؛

ألقى به النجم البعيد.

يا قلب؛ مالك في اكتئاب لست تعرف ما تريد؟!

١٩٤٨/٦/٢٠

لستِ أنت التي بها تحلم الروح، ولستِ الـــتي أغـــني هواهـــا،
كان حب يشد، حولي، ذراعيك، ويدني من الشفاه الشـــفاها؛
واشتياق كأنما يسرق الروح – فمـــا في العيـــون إلا صـــداها!
وانتهينا، فقلتِ "إني سأنساه" وغمغمت "سوف ألقى ســـواها"

* * *

أمس طال اللقاء؛ حتى تثاءبتِ، وشاهدتُ في يـــديك المـــلالا،
في ارتخاء النسيج تطويه يمنـــاك وعينـــاك ترمقـــان الشـــمالا،
في الغياب الطويل؛ والمقعد المهجور ترمي يدي عليه الظـــلالا،
في الشفاه البطاء تدنو من الكوب.. وترتـــد ثم تلقـــي ســـؤالا

* * *

التقينا – أهكذا يلتقي العشاق؟ أم نحـــن وحـــدنا البائســـان؟
لا ذراعان في انتظاري على الباب، ولا خـــافق يعـــد الثـــواني
في انتظاري؛ ولا فم يعصـــر الأزمـــان في قبلـــة، ولا مقلتـــان
تسرقان الطريق والدمع من عينيَّ؛ والداء والأسى مـــن كيـــاني

* * *

قد سئمت اللقاء في غرفة أغضى على باب اكتئاب الغـــروب:
الضياء الكسول، والمزهريات تـــراءى بهـــن خفـــق اللـــهيب

كالجناح الثقيل في دوحة صفراء في ضفة الغدير الكئيب

* * *

واحتشاد الوجوه مثل التماثيل احتواهن معبد مهجور،
سمرت قبلة التلاقي على ثغري... فعادت كما يطل الأسير
من كوى سجنه إلى بيته النائي – كما يخفق الجناح الكسير
للغدير البعيد – كالموجة الزرقاء جاشت فحطمتها الصخور!

* * *

عزّ حتى الحديث بين الأحاديث، وحتى التقاؤنا بالعيون،
في فؤادي الشقي مثل الأعاصير، وفي ساعدي مثل الجنون
التقينا؟ أكان شوقي للقياك اشتياقا إلى الضياء الحزين،
واحتشاد الوجوه في الغرفة الجوفاء؛ والشاي، والخطى، واللحون،

* * *

الخطى واللحون؛ من فجوة الباب تسللن والضياء الضئيلا،
والأزاهير تشرب النور في بطء ويعكسنه ابتساماً ذليلاً
كابتساماتي الحيارى وإطراقي برأسي وقد ذكرت الحقولا،
والغناء الطروب، والمعبر المغمور بالنور والشذى؛ والنخيلا

* * *

لستِ أنت التي بها تحلم الروح – ولكنه الغرام المضاع:
الخطى العابرات في النور والأنداء؛ والشط والضحى والشراع –
التقينا: يد تُمَدّ إلى أخرى، وللنور في الشفاه التماع
ترقص القبلة المرجاة فيه – ثم يدنو فمٌ وتطوى ذراع!

* * *

لستِ أنت التي بها تحلم الــروح — ولكنــه انتظــار اللقــاء:
انتظار التي تحلــم بهــا الــروح إذا لفهــا اكتئــاب المســاء،
واستبد الحنين، وانثالت الأصــداء مــن كــل ضــفة قمــراء
لا تراها العيون؛ في عالمٍ ناءٍ؛ ومن كل بــاب كــوخ مضــاء

* * *

إنها الآن في انتظاري؛ تجيل الطرف حيرى، على امتداد الطريق،
والمساء الكئيب قد ماج بالأصداء تنساب من مكان ســحيق:
"اتبعينا... فان في الشاطئ النــائي شــراعاً يهــيم بالتصــفيق
والحبيب المجهول ناداك؛ وامتدت ذراعــاه في انتظــار عميــق"

١٩٤٨/١٢/١٤

هل كان حباً

هل تُسمين الذي ألقى هياماً؟

أم جنوناً بالأماني؟ أم غراما؟

ما يكون الحبُّ؟ نَوْحاً وابتساما؟

أم خُفوقَ الأضلع الحرَّى، إذا حان التلاقي

بينَ عينينا، فأطرقتُ، فراراً باشتياقي

عن سماءٍ ليس تسقيني، إذا ما؟

جئتها مستسقياً، إلا أواما

* * *

العيون الحور، لو أصبحنَ ظِلاً في شرابي

جفت الأقداحُ في أيدي صحابي

دون أن يحظين حتى بالحباب.

هيئي، يا كأسُ، من حافاتكِ السكرى، مكانا

تتلاقى فيه، يوماً، شَفتانا

في خفوقٍ والتهابِ

وابتعادٍ شاعَ في آفاقه ظلُّ اقتراب

* * *

كم تمنى قلبيَ المكلومُ لو لم تستجيبي

من بعيدٍ للهوى، أو من قريبِ؛

آه لو لم تعرفي، قبل التلاقي، من حبيب!

أيُّ ثغرٍ مسّ هاتيك الشِّفاها

ساكباً شكواهُ آهاً.. ثم آها؟

غير أني جاهل معنى سؤالي عن هواها؟

أهو شيءٌ من هواها يا هواها؟

* * *

أحسدُ الضوء الطروبا

مُوشكاً، مما يلاقي، أن يذوبا

في رباطٍ أوسع الشَّعرَ التثاما،

السماء البكرُ من ألوانه آناً، وآنا

لا يُنيلُ الطرْفَ إلا أرجوانا.

ليتَ قلبي لمحةٌ من ذلك الضوء السجين؛

أهو حبٌّ كلُّ هذا؟! خبريني.

١٩٤٦/١١/٢٩

فرّ النهارُ من البيوتِ النائياتِ، إلى السحابِ...
من شُرفةٍ زرقاءَ تحلم بالكواكب والضباب،
من مقلتين على الطريق. ومقلتين على كتاب
الدربُ تحرقه النوافذُ والنجوم المُستسرة
سكرانُ تزحمه الظلالُ وتشرب الأوهام خمره
هيهات، لا تأتي.

وهمس "فيم تأتي؟" شبهُ فكرة

* * *

قد أذكرتني مقلتاكِ رؤىً رسبنَ إلى الظلامِ
زرقاءَ تسبح في ضبابٍ من شحوبٍ وابتسام:
الليلةَ القمراءَ تركض بين أشباح الغمام.
أفق يذوبُ على الحنين، يكاد يَغرقُ في صفائه
يطويه ظلٌّ من جناحٍ، ضاع فيه صدى غنائه
أهدابُكِ السوداء تحملني، فأومِضُ في انطفائه

* * *

من أنت؟! سوف تمرُّ أيامي وأنسجها ستارا
هيهات تُحرقه شفاهُكِ وهي تستعر استعارا؛

لا تَلمسيه.. فأنت ظِلٌّ ليس يخترقُ القرارا

* * *

مات الفضاءُ، سوى بقايا من مصابيح الطريقِ
مبهورةِ الأضواء، تنضبُ في جداولَ من بريقِ
صفراء تخنقها الظلالُ على فم الليل العميقِ

* * *

فيمَ انتظاريَ كالفراغ؟ وفيمَ يأسي كالرماد؟
لن يسمع الدربُ الملولُ – وإن أصاخَ – سوى فؤادي
أما فؤادُكِ...
ويح نفسي! أين أنت؟ ومن أنادي؟

في أخريـــات الربيــع

يا ضياءَ الحقول، يا غنوة الفلاح في الساجيات مــن أســحارهْ

أقبلي، فالربيع ما زال في الوادي، فبلّي صداكِ قبــل احتضــاره

لا تصيبُ العيونُ إلا بقايــاه، وغــير الشــرود مــن آثــاره:

دوحةٌ عند جدولٍ تــنفض الأفيــاءَ عنــها وترتمــي في قــراره

وعلى كل ملعــبٍ زهــرةٌ غينــاء فــرَّت إليــه مــن أيــاره

* * *

في المساء الكئيب، والمعبرُ المهجورُ، والعابساتُ مــن أحجــاره

مصغياتٌ، تكاد من شدّة الاصغاء أن تــوهِمَ المــدى بانفجــاره

أرمق الدربَ، كلما هبّت الريحُ وحفَ العتيــقُ مــن أشــجاره

كما أذهل الربى نوحُ فــلاحٍ يبــثُّ النجــوم شــكوى نهــاره

صاح: "يا ليلُ"، فاستفاق الصدى الغافي على السفح والذي في جواره

فإذا كلُّ ربوةٍ رَجعُ "يا ليل"...

ونــامَ الصــدى علــى قيثــاره!

أين منهنَّ خفقُ أقدامك البيضاء بين الحشيش فــوق اخضــراره

مثلَ نجمين أفلتا مــن مــدارينِ فجــال الضــياءُ في غــير داره

أو فراشين أبيضين استفاقا يســرقان الرحيــق مــن خمــاره!!

* * *

أنتِ في كل ظلمةٍ مَوعدٌ وسنانُ، مــا زال يومُــه في انتظــاره

ديـــوان شـــعر، ملـــؤه غـــزل بـــين العـــذارى بـــات ينتقـــل
أنفاســـي الحـــرى تهـــيم علـــى صـــفحاته، والحـــب والأمـــل
وســـتلتقي أنفاســـهن هـــا وتحـــوم في جنباتـــه القبـــل
ديـــوان شـــعر، ملـــؤه غـــزل بـــين العـــذارى بـــات ينتقـــل

* * *

لمـــا يحـــين النـــوح والشـــكوى كل تقـــول: مـــن الـــتي يهـــوى؟
وســـترتمي نظـــراتهن علـــى الـــ صفحات بـــين ســـطوره نشـــوى
ولســـوف تـــرتج النـــهود أســـى ويثيرهـــا مـــا فيـــه مـــن بلـــوى
ولربمـــا قرأتـــه فـــاتنتي فمضت تقول: مـــن الـــتي يهـــوى؟

* * *

ســـيرين مـــا لاقيـــت في حـــبي فيصـــحن: يـــا للعاشـــق الصـــب
ولقـــد تســـيل دمـــوعهن علـــى جنباتـــه، موصـــولة الســـكب
يـــا ليـــت قلـــبي مـــن قصـــائده لترى الحســـان الغيـــد مـــا قلـــبي
ســـيرين مـــا لاقيـــت في حـــبي فيصـــحن، يـــا للعاشـــق الصـــب

* * *

ديـــوانَ شـــعري.. رُب عـــذراء أذكرتُهـــا بحبيبـــها النـــائي
فتحسســـت شـــفة مقبلـــة وشـــتيت أنفـــاسٍ وأصـــداء
فطوتـــك فـــوق نهودهـــا بيـــد واسترســـلت في شـــبه إغفـــاء

ديوان شعري.. رب عذراء أذكرها بحبيبها النائي

* * *

يا ليتني أصبحت ديواني أختال من صدر إلى ثان

قدِ بتُّ من حسد أقول له: يا ليت من تهواك تهواني

ألك الكؤوس ولي ثمالتها ولك الخلود وإنني فان

يا ليتني أصبحت ديواني أختال من صدر إلى ثان

* * *

كمْ غادة شاهدت مخدعها ومضيت تسهر ليلها معها

قد هزها شوق لمعتسف أمس هواه يسيل أدمعها

فمضت تذيع إليك قصتها وتبثُّ هماً فلّ أضلعها

كم غادة شاهدت مخدعها ومضيت تسهر ليلها معها!

* * *

ستعيش بين النور والعطر وتفر من صدر إلى صدر

فترى الثغور تعيد هامسة ما فيك من فتن ومن سحر

والنهد يرمي الظل فيك على روض الخيال ومرقص الشعر

ستعيش بين النور والعطر وتفر من صدر إلى صدر

* * *

يسمعن فيك أغانيَ الريف مترنماً بحسانه الهيف

الماء يشكو للجرار هوى والنخل في صمت وتعزيف

والليل والأنسام عاطرة والزورق الغافي المجاديف

تلقي مسامعها إلى الريف يشكو غرام حسانه الهيف

* * *

سـأبيت في نـوح وتسـهيد وتبيـت تحـت وسـائد الغيـد

أوَ لسـتَ مـني؟ إنـي نكـد ما بـال حظـك غـير منكـود؟

زاحمـتَ قلـبي في محبتـه وخرجـت منـها غـير معمـود

أأبيـت في نـوح وتسـهيد وتبيـت تحـت وسـائد الغيـد؟

* * *

ديـوان شـعر، ملـؤه غـزل بـين العـذارى بـات ينتقـل

أنفاسـي الحـرى تهـيم علـى صـفحاته، والحـب والأمـل

وسـتلتقي أنفاسـهن بهـا وتحـوم في جنباتـه القبـل

ديـوان شـعر ملـؤه غـزل بـين العـذارى بـات ينتقـل

يـا نهـر، لـولا منحنـاك ومـا يشـابك مـن فـروع

لاقتافـت البسـمات، في عـينيَّ، آثـار الـدموع

* * *

حَجَّبْـتَ، بالشـأو البعيـد تسـد بابيـه الظـلال

وجهـاً تلاقـى في محيـاه الوداعـة والجمـال

* * *

مرآتـك السـجواء، منـذ جلوتهـا تحـت السـماء

مـا لاح فيهـا مثـل ذاك الوجـه.. في ذاك الصـفاء

* * *

إن أوقـد الليـل العميـق، نجومـه في جانبيـك

لماحـة الأضـواء، تغمـر بالأشـعة ضـفتيك

* * *

حـدثت عنـه الـنجم، والآهـات يقطعـن الخريـر

والـنجم يشـكو، مثلمـا تشـكو هـواك، إلى الأثـير

* * *

ناشـدت ألحـاظ الكواكـب، وهـي تخـترق الظـلام

ألاّ يـنمن - وإن تشـهين الكـرى - حـتى تنـام

* * *

"أنـــتن أسـعد مـا أظـلَّ الكـون، يـا زهـر النجـوم
أنـــتن أبصـــرتن ذاك الوجــه، في الليـــل البـــهيم"

* * *

حـــتى إذا مـــا رنَّــح الـــنجم الأخـــير ســـنا الصـــباح
فـــانقض، تحـــت القبـــة الزرقـــاء، محتـــرق الجنـــاح

* * *

وانســـاب في الـــوادي شـــتات الـــزارعين أو الرعـــاه
فـــالجو تنـــبض في نســـائمه النديـــة ألـــف آه

* * *

أصـــبحت فـــوق المعـــبر المهجـــور، أرقـــب منحنـــاك
فـــأبوح بالشـــكوى.. وتســـكت عـــن شـــكاتي ضـــفتاك

* * *

يـــا نهـــر (جيكـــور) الجميـــل، ومنتـــهى شـــكواك نـــور
لا الشـــمس مطفئـــة جـــواي، ولا الكواكـــب والبـــدور

* * *

لا الصـــبح يـــوهن لاعجـــات الليـــل والوجـــد المثـــار
في مقلـــتيَّ، ولا يهـــيض الليـــل أحقـــاد النـــهار

* * *

الفتنـــة الســـمراء تســـرقها مياهـــك بعـــد حـــين:
الشـــعر والعينـــان.. والثغـــر المفلـــج.. والجـــبين

* * *

فـــإذا الهجـــيرة أطلقتـــها زرقـــة الأفـــق البعيـــد

فالظـــل مقصـــوص الجنـــاح يفـــر مـــن عـــود لعـــود

* * *

والجوســـق المســـتوحد، المهجـــور، في غـــاب النخيـــل

تـــأوي إليـــه الغـــادة الســـمراء لاهبـــة الغليـــل

* * *

والدوحـــة اللفـــاء تحتـــبس الـــبرودة في الظـــلال

مهـــد لأطفـــال الحقـــول، وملعـــب رحـــب المجـــال

* * *

ســـارت إليـــك بطيئـــة الخطـــوات، ذابلـــة الشـــفاه

جاءتـــك ظمـــأى.. بالبنـــان الـــرخص تغتـــرف الميـــاه

* * *

كـــم عـــدت مخمـــور الفـــؤاد بموعـــد المـــد القريـــب

جـــذلان أقـــتحم الظهـــيرة بـــالتطلع والوثـــوب

* * *

التـــوت فـــوق الشـــاطئ الغـــربيٌّ، والســـعف الصـــموت

لا يجهـــلان تنهـــداتي وهـــي بينـــهما... تمـــوت

* * *

والغـــاب ســـاعيَ الحبيبـــةُ.. مـــن ظـــلالٍ عقرباهـــا

كـــم أنبـــآني أن طـــرفي بعـــد حـــين قـــد يراهـــا!

* * *

واليـــوم يســـقي مـــدك العـــاني أواخـــر كـــل جَـــزْر

لا ذاك يجلوهـــــا، ولا هـــــذا بمـــــا أرجـــــوه يجـــــري

* * *

واليـــوم إن ســـكر الخريـــر وعـــاد يحتضـــن الجـــرارا

لم ألـــق عـــذرائي.. فكيـــف الصـــبر يـــا نهـــر العـــذارى؟

فجر السلام

(١٩٥١)

كلمـــــة

هذه إحدى مطولات بدر التي لم تنشر في مجموعاته السابقة، وإن كانت قد نشرت مقاطع منها دون ذكر اسم الشاعر، ونشرت مرة أخـــرى في كـــراس خاص، كما نشرت مرة ثالثة في مجموعة هديل الحمام الـــتي أصـــدرها بـــاقر الموسوي، ولقد كتبت هذه القصيدة حوالي سنة ١٩٥٠، وهي لذلك تمثل شعر بدر خلال التزامه بالحزب الشيوعي.

والقصيدة هامة من حيث انها تمثل، بالإضافة إلى ذلك، مرحلة من مراحـــل تطور بدر الشعري والثقافي والسياسي.

ولما كان ما كتبه الدكتور إحسان عباس عن هذه المطولـــة يفـــي بغـــرض تفسيرها وتقييمها، فقد رأينا أن نقدم للقصيدة بدراسة الدكتور إحسان عباس، المعنونة فجر السلام، والتي هي فصل من كتابه: بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، ص (١٤٩ – ١٥٨).

ليس في قصائد بدر التي نشرت في دواوين أية قصيدة تحمل تاريخ السنوات ١٩٤٩، ١٩٥٠، ١٩٥١، ولكن على الورقة الأخيرة من ديوانه (أساطير) إعلان عن اقتراب صدور ديوان آخر عنوانه (زئير العاصفة) — ويوصف بأنه ديوان اجتماعي، وتحته إعلان آخر عن قصيدة (حفّار القبور) وأنها "قصيدة طويلة شائقة ستصدر في كرّاس"؛ وقد نشرت هذه القصيدة سنة ١٩٥٢، أما (زئير العاصفة) فلا نعرف ما حلّ به ولا أي قصائد يحتوي، ولكنه — حسب الإعلان — يمثل الكفة الثانية في ميزان السياب، فإن كان (أساطير) يصوّر الناحية الذاتية العاطفية في شعره فليكن (زئير العاصفة) ممثلاً للناحية الاجتماعية، وقد كان يحسُّ في قرارة نفسه أن صدور "أساطير" عن شاعر ذي رسالة إنسانية ضخمة سيقابل بشيء من الفتور في بعض المجالات، ولذلك قال في مقدمته: "لا تزال لدي مجموعة ضخمة من الشعر الاجتماعي الإنساني ستطبع في المستقبل القريب"[1]. وكل ما لدينا من قصائده في هذه الفترة قصيدتان طويلتان هما: (فجر السلام) و (حفّار القبور)، ويشير الأستاذ محمود العبطة إلى قصيدة طويلة ثالثة بعنوان (القيامة الصغرى) نشر منها مقاطع في جرائد بغداد[2]، ويقول أنها كانت أهم القصائد وأحبها إلى نفس الشاعر، وهو يعتمد في هذا الحكم على إجابة لبدر سجلها (عام ١٩٥١) عن أحب قصائده إليه فقال:

---

[1] أساطير: ٨.
[2] العبطة: ١٣.

"أحب شعري إليّ ملحمتي الشعرية (القيامة الصغرى) التي بقيت مبتورة لم تتم والتي أحاول جهدي إكمالها، وأحب كذلك قصيدتي (فجر السلام) و (مقتل الطغاة)، وعلى كل فالإجابة بصورة صحيحة عن هذا السؤال متعذرة ولكن هذه القصائد آخر ما كتبت... إلخ"[1]، وقد كانت هذه الإجابة مرهونة بظروفها أولاً لأنها كانت تشير إلى أن الشاعر قد سار في نهج جديد وأن جدّة هذا النهج كانت تحبب تلك القصائد إلى نفسه، لأنها – على حد تعبيره – "آخر ما كتب"، ثم هو يعلم حق العلم أن الذي سأله عن أحب شعره إليه كان صديقاً ذا ميول يسارية، ولذلك فإن التنويه بهذه القصائد – دون سواها – يرضي ذلك الصديق مثلما يرضي بدراً نفسه وهو في غمرة الحماسة لترعته اليسارية ولأثرها الموجّه، في شعره.

ولكن الشاعر – بعد سنوات – أخذ ينظر إلى قصيدة (فجر السلام) بشيء من التردد، وقد يلمس القارئ في صيغة حديثه عنها – وإن كانت تقريرية – جانباً من الندم الممتزج بالسخرية، وذلك حين يقول: "إن تلك القصيدة كانت من الشعر الشيوعي النموذجي، فقد شحنتها بأفكار حركة السلم: تحدثت عن أشكال السلام في البلدان الاشتراكية والبلدان الاستعمارية والرأسمالية والبلدان المستعمرة وشبه المستعمَرة... و لم أنس أن أتحدث عن الأم الرؤوم حصن السلام والاشتراكية فقلت:

هنــاك يــرين الســلام	كــأهداب طفــل ينــام
وحيث التقت وهي ترنو	عيــون الــورى في وئــام

[1] العبطة: ٨٨.

برغم اللـــظى والحديد   نَمَــت زهــرة الســـلام"[1]

وقد نشرت قصيدة (فجر السلام) في ذلك الحين — أخذها بعض الرفـــاق ونشروها دون أن يذكروا اسم ناظمها، وكان ذلك اقتراحاً من بدر نفســـه[2]، وقد عني المحامي عطا الشيخلي بتقديمها إلى القراء في كراس خاص، ثم طبعـــت مرة ثانية ضمن مجموعة عنوانها (هديل الحمام) — قام بجمعها ونشـــرها بـــاقر الموسوي (دون أن يذكر تاريخ الطبعة)، وصدرت هذه الطبعة الثانية بمقدمـــة، لعل السياب هو الذي كتبها، تصوِّر غاية حركة السلام ثم تورد توضيحاً لبعض أجزاء القصيدة.

وكانت خطة القصيدة ذهنية واعية تعتمد مبدأ التقابل بين جـــانبي الخـــير والشر، بين السلم والحرب، بين الإيجابية والسلبية: فالهول الذي تمثله الحـــرب يتطلب نغمة متفجرة، شديدة الوطأة، صخَّابة الجزالة، ثم تتلوها نغمة كالأغنية الرقراقة، تمثل وداعة الحياة وهناءة العيش في ظل السلام، ولكن الشاعر لم يستطع أن يحتفظ دائماً بهذا الشكل الصناعي على انسجام في التراوح بين الجانبين، ولم يبق لديه من الانسجام سوى النقلة من وزن البسيط (الذي يمثل جلبة الحـــرب والدمار) إلى أوزان أهدأ منه لتمثل سمات السلم في حياة بني الإنسان.

ففي الدورة الأولى صوَّر تكالب تجار الموت على أن يقطعوا يـــد الشـــعب الخيِّرة البناءة بإثارة حرب جديدة، وسرعان ما ترك هؤلاء التجـــار يجمعـــون حطبهم لإضرام النار، والتفت إلى حمى السلم الآمن، أو ما سمَّاه (الأم الـــرؤوم) فصوَّر العيون التي يغازلها الرجاء، والعذارى وهن يحملن الســـلال في مواســـم

---

[1] جريدة الحرية من مقال بعنوان "شعاراتهم الجماهيرية".

[2] المصدر السابق.

الحصاد، وشيخاً قد كسر حراب الطغاة ودفنها في الجليد واستنبت بدلها ضوء الصباح الجديد، وتأمل السلام وهو يضحك في الحقول والأغاني والمعامل والمدن الضاحيات، ورأى زهرته ترف رفيفها الجميل.

وفي الدورة الثانية صوَّر الحرب وقد فتحت شدقها الواسع تحاول أن تلتهم كل ما يقع في طريقها:

شدق يزيد اتساعاً كلما رفعت ستر الدجى خفقت من كوكب غربا

آلى على الأرض أن يجتثَّ عاليها سفلاً ويصفع من يأتي بمن ذهبا

ولا يريق دماً إلا وأضرمه ناراً وذرّى رماداً منه أو لهبا

تسعى به الريح في الآفاق ناسجة للشمس من جذوة أو من دم حجبا

وفيما هو يصوِّر ويلات الحرب وكيف أصبحت الأرض "كالأبرص المنبوذ" وتكدست فوقها الأجساد تنضح قيحاً، علّق نظره بأجساد النساء الجميلات وقد انمطّ ثديا كل امرأة منهن كالعجين الرخو، فقطع الوصف، وأخذ يتذكر ما كانت تلك المرأة تمثله من جمال:

كم عاشق كانت أمانيه أن يرتشف النور على جيدها

وبهذه الالتفاتة، وهي تصوِّر مبلغ حرص السياب على ما حرمه من حديث عن المرأة في مثل هذه القصيدة الغائية، فقدَ السياب ذلك التوازي الذي حققه في المقطع الأول بين هول الحرب ووداعة السلم في اتساق متعادل، وانحاز بنظره إلى جزئية صغيرة من خيرات السلم.

وفي الدورة الثالثة تحدَّث عن القنبلة الذرية وفعلها في تشويه الآدميين، وحاول أن يوازي بين الهول في أثرها والتهويل التعبيري، وسمَّاها "ظل قابيل":

إذا تضرم فاندك الفضاء جذى غضبى ونش الدم الفوار والعرق

وانقضَّ من حيث تهوي الشمس غاربة   ليل من القاصفات السود أو شفق
جن الرضيع الذي يحبو وهبَّ على   رجليه يعدو ويلوي جسمه العنق
من فرط ما طال واسترخى وقد صهرت   أعراقه الزرق نار فيه تختنق

وحين أطبقت الظلمة أطباقاً أطلت من الأفق الذي يفتحه الشروق أيدٍ تلوح بالسلام، وتوزع بين الناس نداء تتجمع حوله جميع رغباتهم، هو نداء أنصار السلام في كل مكان. وهكذا جاءت هذه الدورة الثالثة منسجمة مع الأولى في رسم صورتي الظلام والنور.

وبدلاً من أن يمضي الشاعر في رسم دورة جديدة، ترجم فحوى النداء إلى شعر، فقدَّم صورتين متناقضتين أحدهما عن الأب والأم والزوجة والابن والجيران (ولكل واحد مقطع خاص) وهم يعانون أثر القنبلة الذرية، والثانية عن صورة هؤلاء جميعاً وهم يمارسون شؤون الحياة في السلم، - وما أبعد الفرق بين الحالين - ودعا من يستطيع رؤية الفرق الشاسع بينهما إلى التوقيع على نداء أنصار السلام، لأن هذا التوقيع يوقف الدم والدموع عن الانحدار، وعندئذ يتجلى الشاطئ الضحَّاك، والقمر الطروب، وتتنفس الأضواء، وترفرف أجنحة حمامة السلام، والأطفال من ورائها يرمقونها بأعين نديّة بالإخاء.

ولكن هذا كله لا يتحقق إلا بالثورة على العبودية وتحطيم الأغلال، ولهذا صوَّر الشاعر في الدورة الختامية كيف بدأ ليل الاستعباد يزول، وثارت الأمم المستعمرة - والشرق في طليعتها - فحطمت الأغلال، ورفعت رؤوسها أمم كانت مثل سيزيف مشدودة إلى الصخر، كان يخدعها تجار الحروب فيعطونها الدراهم لتقتات باليسير، ويتحول القوت في عروقها إلى دماء تراق على مذابح

الحروب، فهؤلاء العمال بئر من الدم سيغرق فيها الجيل المقبل، وهكذا. وتبدو هذه الفكرة طريفة، ولكن تعبير الشاعر القاصر عن أدائها قد جعلها كالأحجية:

وابتاع بالدرهم المجبول من دمها ... فيض الدم الثرّ فيها شر تجار
واستأجروها لصنع الموت منه لها ... بالزاد يبقى دماً فيها لجزار
أعمارها مثل بئر للدم ابتلعت ... جيلاً سواها همن ابتاعه الشاري

وهذا يعني أن نداء السلم قد عمَّ الكون، ولذلك عاد الشاعر فكرر في ختام قصيدته تلك المقاطع التي عبر فيها عن أصالة هذا النداء وعن حمامة السلام التي نشرت جناحيها فلطما ظلماء الحروب ومهدا لطلوع الفجر — فجر السلام.

فالقصيدة تتكون من أربع دورات، في كل دورة شقان متقابلان — وبين الثالثة والرابعة يقع نداء أنصار السلام (وهو قائم على التقابل أيضاً بين صورتين)، وقد كان هذا الشكل صالحاً لهذه القصيدة، لأن الوعي الذهني هو الذي يرسم لها طريقها، لو أن الشاعر أحسن الالتزام بصناعة البناء، وخاصة في فترات الارتداد من دنيا الأهوال والمخاوف إلى أحضان الهدوء، ولكنه لم يفعل؛ كذلك فإن إيراد نداء أنصار السلام جاء دخيلاً على هذا المبنى الواضح (وإن التزم فيه الشاعر مبدأ التقابل)؛ إن التعاقب بين الخير والشر في بناء القصيدة هو خير ما فيها لأنه يضع الذهن في موضع المفارقة والمقارنة، وعن طريق ترسيخ هذا التأثير في نفس القارئ حاول الشاعر — واعياً — أن يقول كل ما يجعل الحرب كريهة لديه وأن يجعل السلم جميلاً في عينيه، أي أن القصيدة تراوح مستمر بين التقبيح والتزيين؛ وإذا استثنينا حرصه على التدرج في بناء الشق الأول — أي رسم صورة مخيفة للحرب — فإنا نجد أن قصيدته تشكو من نقص أساسي وهو عدم التمايز بين الدورات في طبيعة الموضوع الذي يعالجه، كما أن فيها معالجة

من يعييه التعبير، وهذا يظهر على أشده في فترات الهدوء، أما في تصوير الرعب والفزع فقد حاول أن يغطي بصوت الهدير اللفظي على قصور عباراته، فوفق إلى حد، إلا أن المدقق في أبياته يلمح معاناة شاعر مبتدئ متفاوت الصياغة، مضطر إلى الحشو، يحلق ويسف في البيت الواحد، ويركب ألفاظاً لا تؤدي ما يريده من معنى إلا بالتعسف في التأويل.

إن قصيدة "فجر السلام" – رغم ما يعتريها من سمات الضعف الفني – ومعها قصائد مثل "القيامة الصغرى" و "مقل الطغاة"، تومئ إلى تحول في الشكل في بعض قصائد ديوانه "أساطير"؛ لقد أدركه الشبع من ذلك الشعر الذاتي الذي يعرض فيه مواجده على الناس، وأخذ يحاول التوفيق بين فنه ومبدأه الذي يعتنقه، حتى خيل إليه في لحظة أنه لن يكتب من بعد بيتاً واحداً من الشعر الذي يشبه ما تضمنه ديواناه "أزهار ذابلة" و "أساطير"[1]. ولذلك صرّح للأستاذ العبطة (١٩٥١) بأنه يكره الشعر الذاتي بل أنه يعتبر الشعراء الذاتيين عملاء للاستعمار حتى وإن لم يشعروا هم بذلك. قال: "وأهم خطر يجب علينا أن نحاربه، أولئك الذين ينشرون الأفكار الانحلالية ويحاولون أن يخدعوا الجماهير بأن لا فائدة من نضالها، لأن الحياة شيء تافه لا يستحق كل هذا الاهتمام وأن البؤس مقدر على البشر"[2]؛ وأضاف أنه يرى ان الشعر السياسي – رغم قصوره – أفضل من الشعر الذاتي لأنا لو "نظرنا إلى الأمر نظرة عميقة لوجدنا من يقول: متى نتحرر من المستعمرين موازياً من حيث الفن لمن يقول متى أرى حبيبي، إضافة إلى أنه أنبل شعوراً وأوسع نظرة"[3].

---

[1] العبطة: ٨٨.
[2] العبطة: ٨٨.
[3] العبطة: ٨٩، وسنجد من بعد ان السياب تخلى عن هذا الرأي.

لهذا فإن قصيدة "فجر السلام ليست هامة في ذاتها، وإنما تكمن أهميتها في أنها خط فاصل بين عهدين، أو قل بداية عهد جديد يسميه الشاعر العهد الإنساني، ويؤكد فيه ضرورة الخروج من صدفة الذات لعرض المشكلات الإنسانية الكبرى. ومن الهام أن نتذكر بأن الموضوع الشعري رغم جدته وبعده عن الموضوع الذاتي القديم لم يتطلب شكلاً جديداً أو قالباً خاصاً من التعبير، وأن السياب لم يجد خيراً من البحر القديم والتعبير الجزل الهادر ليعبر بهما عن آلام الحروب وبشاعتها. وقد رأينا ان اختيار هذا الشكل لم يكن مسؤولاً عن سمات الضعف الفني الذي لحق القصيدة؛ وإذن فنحن أمام قضية هامة: في قصيدة "السوق القديم" استغل السياب شكلاً جديداً لموضوع أزلي واخفقت قصيدته، وفي "فجر السلام" ذات الموضوع الجديد استغل شكلاً قديماً واخفقت قصيدته. وعلى هذا لا يحق لنا أن نقول ان الشكل هو الحقيق بإنجاح القصيدة ولا ان الموضوع هو الذي يستطيع أن يجعلها فنية، وإنما هو تلك الموهبة التي تستطيع أن تسخر أي شكل ملائم وتستغله لموضوع ملائم، وان الجدة في الشكل لا تصنع شعراً جديداً كما ان الجدة في الموضوع تعجز عن ذلك.

وقد يقال دون عناء ان السياب كان يجرب، فمرة يضع الموضوع القديم في شكل جديد ومرة يعكس الآية، حتى إذا استقامت التجربة وصلحت، ظهر نجاحه، وهذا أمر لست أناقشه لأن معناه ان الشاعر وجد طريقه الصحيح، ومن أبدى مثل هذا الرأي كان عليه أن يفسر لَمَ يخفق موضوع جديد في شكل جديد فذلك أمر يدل بداهة على أن ممارسة الأمرين معاً ليست كفيلة بالتميز الفني في كثير من الأحيان.

ولنعد إلى قصيدة "فجر السلام": ان الطول الذي تتمتع به القصيدة وأخواتها في الفترة نفسها يشير إلى أن الشاعر لم يحاول تحولاً في الموضوع وحسب وإنما وجد نفسه ينتقل من دور القصيدة الأغنية ذات الطول المقتصد إلى القصيدة الطويلة، وقد شجعته قصيدة "السوق القديم" على هذه النقلة، فأضحت أكثر قصائده في هذه الفترة طويلة مسترسلة. حتى ليحس من يدرس نتاجه في هذا الدور أنه كان يريد أن يعرف بالقدرة على القصائد الطويلة: فجر السلام، القيامة الصغرى، حفار القبور، المومس العمياء، الأسلحة والأطفال، أنشودة المطر، وأن هذا الإحساس تملّك الشاعر حتى سنة ١٩٥٣ ثم تحوّل عنه تحوّلاً ظاهرياً وحسب، لأن كثيراً من القصائد التي نظمها في أوقات لاحقة إذا جمعت حسب موضوعها كونت كل مجموعة منها قصيدة طويلة.

وسر ذلك كله متصل بطبيعة السياب: فإن القصيدة لم تكن تتسع لانفعاله، فهو انفعال مديد، متشعب أحياناً، ثم هو قد نشأ معجباً ببعض القصائد الأجنبية الطويلة التي يسترسل فيها الشعور بين علو وهبوط كقصيدة "البحيرة" للامرتين، أو قصيدة "ثورة الاسلام" لشللي وغيرهما، ولعله كان يعتقد أن قصيدة "الأرض اليباب" هي التي كسبت لصاحبها تلك الشهرة وهي من القصائد الطويلة في الأدب المعاصر. يضاف إلى ذلك أن القصيدة العربية التي أحبَّها السياب لدى أبي تمام أو البحتري أو المتنبي لا تعد قصيرة، و لم يغب عن مخيلته أن الجزالة التي لمحها في القصيدة العربية امتحان عسير للشاعر كلما طالت القصيدة، وهو قد نشأ على إيثار هذه الجزالة وإن أعيته بصعوبتها في كثير من المحاولات؛ ووجدها تصحّ لشاعر معاصر يطيل القصيد دون أن يفقد تلك الجزالة، وذلك هو الجواهري الذي وجده السياب يتقمص النغمة القديمة بحذق ومهارة. و لم يستطع

السياب أن يدرك الفرق بين نغمة الجواهري — في مدى التعمّل الذي تجـرّه في أذيالها — وطواعية التعبير عند أشد القدماء احتفالاً بالصياغة، أعني أبا تمام. ولهذا كان بناء القصائد الطويلة هو المجال الذي يريد السياب أن يتفوق فيه على سواه من المعاصرين، سواء أكان نهجهم تقليدياً أو تجديدياً. وقد تحدثت من قبل عن المقدمات الطويلة التي لم يكن يستطيع أن يتحلل منها، وهي مقدمات تصلح أن يمهد بها للبناء الملحمي، ولم يكن السياب محروماً من النَفَس الملحمي، بل لعلـه هو الشيء الذي يميزه بين الشعراء المحدثين، والقصيدة الطويلة أقرب القصائد إلى الملحمة، وأشدها سماحاً بالحشد الكثير، وتلك نزعة كانت تترك السياب طليقاً في تحديد شكل القصيدة وفي نموها معاً. وكان السياب في هذه المرحلة، وربما في مراحل بعدها يحسّ أن انفعاله لا يستطيع أن يعيش في نطاق ضيق قصير، ولهذا أحس من بعد أنه أخطأ حين كان يعمد إلى أن يقول كل شيء، ولكنه قلمـا حاول النجاة من هذا الخطأ، لأنه لم يكن يملك إشباع ذلك الانفعال أو تسريبه في لمحات خاطفة أو في ومضات سريعة تومئ إلى المحتوى بلباقة خفيفة اليد.



مقدمة

لا أظن أن بي حاجة إلى شرح أهداف حركة السلام ومراميها وتبيان خطوطها العامة، فذلك ما تولاه الكثيرون من قبلي وما سيتولاه الكثيرون من بعدي، وما جاءت هذه القصيدة تعبر عنه بالمقدار الذي يستطيع أن يشرح به ويبين دون أن يفقد كونه شعراً، ولكن لي رأياً واحداً أود أن أقوله، رأياً يلمسه القارئ في المقطع الأول من هذه القصيدة.. إن الصراع بين الشر والخير، بين الموت والحياة، بين قابيل وهابيل، منذ أقدم الأزمنة، وقد تبلور الآن في هذه الحركة حركة السلام العالمي... فانقسم العالم اليوم لا إلى آشوريين ومصريين ولا إلى يونان وفرس، ولا إلى مسيحيين ومسلمين، ولا إلى دول متقدمة ودول متأخرة، ولا إلى شيوعيين ورأسماليين، كما كان يحدث دائماً، وإنما انقسم إلى شيء أعم من ذلك وأشمل وأحفل بالروح الإنسانية كما عبر عنها بوذا والمسيح ومحمد وجميع الأنبياء والمصلحين منذ أقدم العصور حتى الآن.. انقسم العالم إلى أخيار وأشرار. والأخيار كلهم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وأديانهم وعقائدهم السياسية، في معسكر واحد هو معسكر السلام، والأشرار كلهم في معسكر آخر هو معسكر أعداء السلام. فإن كنت ممن لا يريدون الموت لهم ولآبائهم وأمهاتهم وأطفالهم، والدمار والخراب لمساكنهم وحقولهم وجوامعهم وكنائسهم ولا يريدون الجوع وقنابل الذرة والجراثيم والنابالم، فأنت من هذا

المعسكر الخير، معسكر السلام وما عليك إلا أن تعمل في خدمة هذه القضية، في سبيل نفسك، في سبيل أطفالك في سبيل كل الناس الذين تحبهم، إن كنت ممن لم يعملوا في خدمة هذه القضية المقدسة، قضية السلام العالمي.

والآن أود إلقاء بعض الأضواء على أجزاء هذه القصيدة لأكون قد أديت الرسالة كاملة على أتم وجوهها:

فالمقطع الأول "لا شهوة الموت... فدولار" يتحدث عن يد الشعوب، هذه اليد الخيرة التي كانت – منذ البدء – مصدر السعادة والرفاه، والتي أزهقت وستزهق أنفاس الطغاة، ثم يتحدث عن تجار الموت والحروب ويتساءل: أما كفاهم أنهم يستغلون دماء الناس قطرة فقطرة، فيريدون الآن إهراق تلك الدماء مرة واحدة، في حرب ماحقة؟ نحن نعتقد ان في الإمكان أن يعيش النظامان الشيوعي والرأسمالي معاً، دون حاجة إلى الحرب.

... والمقاطع القصيرة التالية له واضحة لا تحتاج إلى شرح. أما المقطع الذي يليها "واندلاح من لجة الليل.. واكفهر الوجه فانقلبا": فهو يتحدث كيف أقبل من لجة الليل، الذي أصبح شاحباً لأن فجر الحرية والعدل والسلام قد أوشك أن يشرق، كيف أقبل من ذلك الليل، فمه مفغور، فم الحرب الذي يريد ابتلاع الحرث والنسل، والذي يذكر الناس بمقبرة تنظر منها عيون الموتى.. عيون ضحايا الحروب منذ أقدم الأزمان وكأنها تتساءل: من كان السبب في هذا المصير الذي انتهينا إليه؟ إنهم دعاة الحرب الذين يريدون أن يفرضوا عليكم الآن هذا المصير نفسه، ويعود المقطع المبتدئ بـــ (ظل لقابيل) إلى معاودة الحديث عن القنابل الذرية، ويصف تأثيرها على طفل رضيع، وعلى شيخ، وعن اليد المجرمة التي تهدد العالم بهذه القنابل.

ولكن لا داعي إلى اليأس.. فهناك أيد أخرى تطلُّ من الأفق المشرق تبشر الناس بالسلام، والأبيات "وتطل..." إلى "بأعين تندي اخاء" واضحة مفهومة.

عن المقطع التالي لها "ليل العبودية النكراء" فهي تصوّر كيف آذن ليل الظلم والعبودية على الزوال، لفعل الحركات التحررية الوطنية في آسيا وأفريقيا وفي فيتنام وبرما والملايو، وإيران وتونس والجزائر... وكيف أراد الظالمون، وقد رأوا صرح بغيهم يتفطر ويتصدع، أن يذيبوا أجساد الناس لكي يجعلوا منها طيناً أو غراء يلحمون به هذه الصدوع وكيف هبت أعاصير الشعوب فقذفت النار في أوجه مشعليها ورد كيد الظالم إلى نحره.

إن حركات الشعوب في سبيل استقلالها وتحررها الوطني وجلاء الجيوش الأجنبية من أراضيها، وعدم السماح للمستعمِر بأن يتخذ من بلدانها رأس جسر للحرب يقيم قواعده العسكرية ومطاراته الحربية فيه.. هذا كله جزء متمم لحركة السلام.

اللهم إشهد انني رأيت منكراً فآليت على أن أغيّره وأحاربه بيدي ولساني وقلبي!..

* * *

ب. السياب

لا شهوة الموت في أعـــراق جـــزّارِ ... تقوى عليها ولا سيلٌ مـــن النـــارِ

الموت أوهى يداً مـــن أن يشـــابكها ... وهي التي مـــدّت المـــوتى بأعمـــار

وهي التي لمت الأحقاب واعتصرت ... مما انطوى في دجاها، فيض أنـــوار

ومسّت الصخر فاخضلّت جوانبـــه ... بالسنبل الغـــضّ والريحـــان والنـــارِ

هذي اليد السمحة البيضاء كم مسحت ... جرحاً، وكم أزهقت أنفاس جبـــار

وأطلقت في الدجى الأعمى حمامتها ... بيضاءَ كالمشعل الوهـــاج في غـــار

كأنمـــا فجّـــرت مـــاء لظامئـــة ... أو أطلعت كوكباً يأتمّـــه الســـاري

سل تاجر الموت كيف اصطك من فزع ... لما رآهـــا؟ وكـــم أودت بتجـــار

وسمّرت[1] نعش طاغوت بما شـــرعت ... كفّاه من خنجـــر يـــدمي وأظفـــارِ

أما كفَاه الذي امتصت على مَهَـــلٍ ... أنيابه مـــن دم الغرثـــان والعـــاري

وما طفا عن شفاه الطفل من لـــبنٍ؟ ... أو حلمة المومس الشوهاء من عار؟

فانقضَّ من كهفه الداجي ليبعثهـــا ... شعواء كالبحر إن دوّى بإعصـــار؟

حتى إذا امتار من أعمارهـــا مـــدداً ... واقتات مما ستحيا، عمـــره الهـــاري

أهوى على ظهر من لم يقضِ[2] عصره ... عن سلعة تعـــبر الـــدنيا، فـــدولار

* * *

---

[1] سمرت: دقت المسامير فيه.

[2] يقضي: يموت

عيون وراء المدى تنام... وترجو الغدا
دفوق السنا، باسطاً لأحلى رؤاها يدا
ستجلبها.... واقعاً نقياً... كذوب الندى[1]
يُكفِّر عما جنت عصور طواها الردى
أيفزعها المجرمونَ بما أشرعوا من مدى؟[2]
كأن سياجاً يقامُ ليحجز عنها الغدا

* * *

وفي الحقل بين الظلال عذارى حملن السلال
لهن الهوى والغناء وللظالمين الغلال[3]
فبعد الشقاء المرير وغبَّ الليالي الطوال
دنا موعد للحصاد فغنينه... للرجال
أيحسدهن الطغاة على منة للخيال؟
على ضحكة للربيع وأنشودة للستلال؟!

* * *

وشيخ يربُّ الحفيد بأنباءِ قُطْرٍ بعيدْ
تحدى حراب الغزاة وغيّبها في الجليد
فأنبت منها سنابلَ ضوء الصباح الوليد
هنالك يبني الحياة كما شاء جيل سعيد
عمالقة بالفعال ورواد كون جديد[4]

---

[1] ذوب الندى: الذائب منه.
[2] المدى (بكسر الميم) السكاكين: جمع مدية.
[3] الغلال: المحاصيل.
[4] الحديث عن الشعوب التي تحررت.

وآلهـــة يخلقـــون....   آلهـــة مـــن عبيـــد!!

* * *

هنـــاك يـــرين الســـلام   كأهـــداب طفـــل ينـــام

ويضـــحك مـــلء الحقـــول   وفي أغنيـــات الغـــرام

وينـــبض حيـــث المعامـــل يجـــرحن قلـــب "الظـــلام"

وفي المـــدن الضـــاحيات   ينـــدس وســـط الزحـــام

وحيـــث التقـــت – وهـــي ترنـــو – عيـــون الـــورى في وئـــام

بـــرغم اللظـــى والحديـــد   نَمَـــت زهـــرة للســـلام!!

* * *

وانداحَ من لجة الليل التي شـحبت   شدق[2] يزيد اتساعاً كلمـا اقتربـا

كأن مقـبرة طـال الزمـان بهـا   وازلزلت فهي تبدي جوفها الخربـا

تعلقت أعظم المـوتى بـه ورنـت   ألحاظها الحور فيما يشبه الغضبا

كأنما صرّت الأسنان مـن حنـق   شيئاً، وسخرية منـها بمـن نكبـا

كأن كل قتيـل، رغـم سـكرته   بالصمت، يسأل أماً أثكلـت وأبـا

وزوجة وبـنين اسـتقتلوا وأخـاً   من كان فيما لقينا من ردى سـببا

شدق يزيد اتساعاً كلمـا رفعـت   ستر الدجى خفقت من كوكب غربا

آلى[1] على الأرض أن يجتث عاليهـا   سفلاً ويصفع من يأتي بمـن ذهبـا

ولا يريـق دمـاً إلا وأضـرمه   نـاراً وذرّى رمـاداً منـه أو لهبـا

تسعى به الريح في الآفاق ناسـجة   للشمس من جذوة أو من دم حجبا

فـالجو مقـبرة كـبرى.. معلقـة   تستعرض الشمس في ذراتها الحقبـا[3]

---

[1] الى: أقسم.

والأرض كالأبرص المنبوذ هرّأهُ ... داءٌ وعانى عليه الجوع والتعبا

تكدست فوقها الأجساد ناضحة ... قيحاً[4] ودوّى عويل الناس واصطخبا

من كل رافعة جيداً كأن يداً ... جبارة، جاذبته الطول فانجذبا

وانمطّ مثل عجين الرخو مرضعها[1] ... لصق الثرى واكفهر الوجه وانقلبا

* * *

وهي التي بالأمس كانت كما ... رجى خيال، للهوى الأولِ

يموج في مرآتها ظلها ... سوسنة بيضاء في جدول

وكان نهداها إذا رنحت ... ريح الصبا من ثوبها المخمل

يشف تكويراهما عن سنا ... يطفو بطوقيها إلى المجتلي

* * *

كم عاشق كانت أمانيه أن ... يرتشف النور على جيدها

كان يغذيها إذا قطبت ... بالروح والآمال في عيدها

يا زهرة عاشقها لم يذد ... من زعزع هبت لتبديدها

لو كان يهواك... ارتمى دونها ... سداً.. ونجاك بتصعيدها

* * *

ظل لقابيل ألقى عبء ظلمته: ... فحماً يسود البرايا حوله القلقُ

فحماً تصدى له الباغي بمقلته ... يذكيه منها لظى يخبو ويأتلق

إذا تضرم، فاندك الفضاء جذى[5] ... غضبى، ونش الدم الفوار والعرق

---

[1] المرضع: الثدي.

[2] الشدق: الفم.

[3] الحقب: الأحقاب، الأزمان.

[4] القيح: الصديد، الخراج.

[5] الجذى: جمع جذوة، وهي الجمرة.

وانقض-من حيث تهوى الشمس غاربة- ليل من القاصفات السود أو شفق[2]

جن الرضيع الذي يحبو وهبَّ على رجليه يعدو ويلوي جسمه العنقُ

من فرط ما طال واسترخى وقد صهرت أعراقه الزرق ناراً فيه تختنق

كأن كفيه مذراتا ثرى.. ودم لا ما يمد ابن عام: لفه الغسق

ولألأ البدر، فاستدناه وانبسطت يمناه بالشوق.. حتى أظلم الأفق

وأزلزت لثة[1] الشيخ التي هرئت من شدقه الأدرد المفغور تندلق

تنساح كاللعنة السوداء يطلقها بعد الردى، نسله المطموس والحنق

يا ربما سرّت الموتى بأن هلكوا قذائف كعيون الجن تنطلقُ

شدت عليها يد عجفاء يدفعها حقد ويقتات من أعصابها فرق

شلّت يداً طالما التفّت أصابعها ثم ارتخت عن وليد بات يختنق

واستجهضت كل انثى وهي تعضبها واستدفأت باللظى والمُدْن تحترق

وقوّست من ظهور كي يطاولها قزح يلج ارتفاعاً وهي تنسحق

* * *

وتطل من أفق يفتحه الشروق إلى الحفافي

أيدٍ تشير على الرقاب المشرئبة: لا تخافي

لن يفصد الجلاد عرقاً من عروقك لارتشاف

* * *

أيدٍ تلوح بالسلام... كأن موشكه الضحايا

---

[1] اللثة: لحم الأسنان.

[2] هذا البيت والبيتان اللذان بعده، تصف طفلا شوه جسمه انفجار القنبلة الذرية، فجن، وأصبح – وهو لم يبلغ أوان المشي – يركض ورقبته التي طالت وانمطت تلوي جسمه ذات اليمين وذات الشمال، كما أصبحت كفاه وكل واحدة منهما كالمذارة، وليست كف طفل عمره عام؛ يرى القمر؛ فيمد يده إليه يريده أن يدنو.

تكتـــال منـــهن البقـــاء – كــــأن أحضـــان الصـــبايا
أودعنـــها الأطفـــال – لمـــا ينطفـــوا[1] – حـــذر المنايـــا

* * *

ولكـــم تناقلـــت المعـــابر والـــدروب صـــدى نـــداءِ[2]
تتشـــابك الرغبـــات، مثـــل الغـــاب؛ فيـــه علـــى رجـــاء
هـــو معـــبر الأجيـــال، مـــن خطـــر يهـــمّ، إلى نجـــاء

* * *

تعـــوي الـــذئاب، ومـــا يـــزال يجـــيش كالـــدم في العـــروقِ
ينـــد العـــواء، ويـــدفع المقـــل الغضـــاب عـــن الطريـــق
ويظـــل يطفئهـــا كمـــا انطفـــأت بقايـــا مـــن حريـــق

* * *

ويظـــل يخفـــق بالســـلام، كأنمـــا نشـــرت جناحـــا
فيـــه الحمامـــة... يلطـــم الظلمـــاء، فـــانفطرت ولاحـــا
مـــن شـــقها الألـــق[3] الحبـــيس وظـــل ينطـــف... ثم ســـاحا

* * *

صـــوّرْ لنفســـك في الخيـــال أبـــاك في وســـط الحريـــقِ
يـــدعوك بالصـــوت الأبـــح؛ وقـــد تخـــبط كـــالغريق
ويمـــد مـــن خلـــل الـــدخان يديـــه.. يبحـــث عـــن طريـــق

* * *

وانظـــر لأمـــك وهـــي ترقـــد في التـــراب علـــى قفاهـــا

---

[1] لم ينطفوا: لم تتكون نطفتهم بعد.
[2] نداء السلام.
[3] الألق: الضياء. ينطف: يقطر.

تتجـــاذب العقبـــان ثـــديها ويفقـــأ ناظراهـــا
وتلـــقّ مـــن دمهـــا الكـــلاب، وينخـــر الـــدود الشـــفاها

* * *

وتمـــل[1] زوجـــك، وهـــي تـــركض بـــين أشـــباح الجيـــاع
شـــعثاء[2] تلـــهث؛ والريـــاح تصـــكها دون انقطـــاع
حملـــت قميصـــك في ذراع، والرضـــيعة في ذراع...

* * *

أو جثـــة ابنـــك وهـــي تزحـــف دون رأس في الـــدماء
أو مرضـــع ابنتـــك الممـــزق وهـــو يســـحق بالحـــذاء
ورفـــات[3] موتـــاك الـــرميم وقـــد تنـــاثر في الهـــواء

* * *

وإذا رأيـــت عيـــون جيرتـــك[4] الرضـــية كالمحـــارِ
تـــرتج غضـــبى في قـــرارة جـــدول ضـــحل القـــرار
أفـــلا تطـــاردك العيـــون... أمـــا تبصـــك[5] في احتقـــار

* * *

صـــور لنفســـك في الخيـــال. أبـــاك في ليـــل الشـــتاءِ
وكأنمـــا ردت عليـــه صـــباه؛ أخيلـــة الصـــلاء[6]

---

[1] تمل: انظر.
[2] شعثاء: منفوشة الشعر.
[3] الرفات: الأجساد الميتة البالية.
[4] الجيرة: الجيران.
[5] تبصك: تنظر إليك.
[6] الصلاء: الموقد.

مـــــا زال يقــــرأ، والصـــــغار يضـــــاحكونك في الخفــــاء

* * *

وانظــــر لأمــــك وهـــي تنصـــت أي عجـــب[1] يزدهيهـــا

عـــادت إلى الصـــوت الرتيـــب؛ إلى الغـــوابر مـــن ســـنيها

وتمثلتـــــه فـــــتى.... يجمــــع ســـــاعديه، ويحتويهـــا

* * *

وابســـط لزوجـــك – وانتشـــلها وهـــي تلـــهث في الزحـــامِ –

كفـــاً ســـتختم – إذ توقـــع بالمـــداد، علـــى الســـلام

فُـــرَج[2] الجـــراح، فتوقـــف الـــدم والـــدموع عـــن انســـجام

* * *

الشـــاطئ الضـــحاك والأصـــداء والقمـــر الطـــروبُ....

ســـكران يغـــرق في جدائلـــها، وتهمســـه الطيـــوب

وتضـــمها... ويطـــل مـــن خلـــل العيـــون مـــدى رحيـــب

* * *

تتـــنفس الأضـــواء فيـــه... كأنمـــا سمعـــت غنـــاءَ

حلـــو الـــرنين، فراقصـــته، هنـــاك أجنحـــة تـــراءى

بيضـــاء... يتبعهـــا الصـــغار بـــأعين تنـــدى إخـــاءَ

* * *

ليـــل العبوديـــة النكـــراء صـــدّعه مهوى طواغيت واستبســـال ثـــوارِ

حـــتى إذا شمّـــر البـــاغي ليرأبـــه[3] شقاً، بأن يصهر الأجســـاد بالنـــار

---

[1] العجب: (بضم العين وتسكين الجيم) الازدهاء والغرور.
[2] فرج: (بضم الفاء وفتح الراء) جمع فرجة، وهي الفتحة.
[3] يرأب شقا: يلحم الصدوع التي فيه.

هبت أعاصير تذرو مـــا يؤججـــه ... في وجهه الراعب النضـــاح بالعـــار

واستيقظ الشرق عملاقاً تموج علـــى ... ينيه دنيا مـــن الأحقـــاد والثـــار

يرمي، ويرمي ويسعى نحـــو غايتـــه ... ب لجة من دجى غضـــبى وأنـــوارِ

تطفو عليها الضحايا أوتغـــوص إلى ... أعماقهـــا بـــين تيـــار وتيـــار

راياته الداميات الظافرات كـــوى[1] ... حمراء ينشقُّ عنها سجنه الضـــاري

ألقى بها السلم في وجه الطغاة ردى ... وفي صعيد الضحايا حمـــر أزهـــار

وحطموا أفوق الغل[2] الذي ســـحبوا ... كي يطرقـــوا منـــه تابوتـــاً لجبـــار

حيث اشرأبت على جرف الردى أمم ... شدت إلى الصخر، إلا بعض أحرار

وابتاع[3] بالدرهم المجبول من دمهـــا ... فيض الدم الثرّ منـــها شـــر تجـــارِ

استأجروها لصنع الموت منـــه لهـــا ... بالزاد يبقـــى دمـــاً فيهـــا لجـــزار

عمارها مثل بئـــر للـــدم ابتلعـــت ... جيلاً سواها بمن ابتاعـــه الشـــاري

* * *

وتطـــلُّ مـــن أُفـــقٍ يفتحـــه الشـــروق إلى الحفـــافي

أيـــدٍ تشـــير إلى الرقـــاب المشـــرئبة: "لا تخـــافي!

لـــن يفصـــد الجـــلاد عرقـــاً مـــن عروقـــك لارتشـــاف"

* * *

---

[1] الكوى: جمع كوة، وهي الفتحة من الجدار.

[2] الغل: القيد.

[3] معنى الأبيات هو: أن أصحاب المعامل التي تنتج الأسلحة قد اشتروا دماء تلك الأمم بدراهم هي فـي الأصل مبتزة من تلك الأمم؛ من عملها ومن دمائها ثم استأجروها لكي تصنع الأسلحة التي سـتجلب الموت لها: لماذا كانت الأجرة؟ دراهم معدودة يشتري العمال بها قليلاً من الطعام، ذلك الطعام الـذي يتحول إلى دم ينقله الجزارون إذا شنوا الحرب. ومن هذه الدماء يجمعون ثروة؛ تمكنهم من استغلال الأجيال المقبلة وامتصاص دمائها في مصانعهم. فكأن أعمار العمال الذين يشتغلون بصنع الأسـلحة اليوم بئر من الدم؛ يبتلع الجيل المقبل من أبنائهم وأحفادهم إلخ.. وكأن تجار الأسلحة قد اشتروا الجيل المقبل بدماء الجيل الحاني اشتروا حياة الأبناء والأحفاد نتيجة لسماح الآباء لهم بأن يستغلوهم.

ولكم تناقلت المعابر والدروب صدى نداءِ
تتشابك الرغبات، مثل الغاب، فيه، على رجاء
هو معبر الأجيال: من خطر يهم، إلى نجاء

* * *

ما زال يخفق بالسلام: كأنما نشرت جناحا
فيه الحمامة - يلطم الظلماء، فانفطرت ولاحا
من شقها، الألق الحبيس، وظل ينطف ثم ساحا

* * *

قيثارة الريح

(١٩٧٤)

مقدمـــــة

أصدرت وزارة الإعلام في العراق هذه المجموعة "قيثـــارة الـــريح" في سلسلة المطبوعات الفنية، ديوان الشعر الحديث رقم ٩، وذلك بمناسبة الذكرى السادسة لوفاة الشاعر.

قام بتحقيق المجموعة الأساتذة: زكي جابر، سامي مهدي، وخالد علي مصطفى، وهم من أصدقاء السياب والمعجبين بشعره، وقد سافر بعض أعضـــاء اللجنة المكلفة برعاية الاحتفال بالذكرى السادسة لوفاة الشـــاعر إلى البصـــرة، واتصلوا بزوجة الشاعر السيدة إقبال عبد الجليل، وبالسيد فؤاد عبـــد الجليـــل، المشرف على كل مخلفات الشاعر، وحصلوا على بعض مخطوطات الشـــاعر في أوراق متناثرة، منها دفتر خاص كما تقول مقدمة المجموعة، يحتوي على قصيدة "اللعنات" المنشورة هنا، ومجموعة "قيثارة الريح".

وقد صادفت اللجنة كثيراً من المتاعب في مراجعة القصيدة، منها مـــا يتعلق بعدم وضوح الكلمات، ومنها التشطيب. ولكن اللجنة عكفـــت علـــى عملها وأخرجت هذه المجموعة.

وهذه المجموعة تقسم إلى قسمين:

الأول: يضم قصائد من بواكيره، نظمها ما بين حزيران وكانون الأول من سنة ١٩٤٤، ما عدا قصيدة واحدة نظمت في نيسان، هي "أراها غـــداً". وهذا القسم تتمة للبواكير المنشورة في المجموعة الأولى التي أسميناها "بواكير".

الثاني: ويحتوي على قصيدتين الأولى "بين الروح والجسد" وما ينشر منها هنا هو بقايا قصيدة طويلة أرسلت إلى الشاعر علي محمود طه، ولكنها ضاعت. وما ينشر هنا لم ينشر معظمه من قبل، وإن نشرت بعض مقاطع هنا أو هناك. والثانية قصيدة "اللعنات" وتبلغ حوالي (٣٠٠) بيت. وهي أنضج القصائد، ويرجح المحققون إنها كتبت أيام التزامه السياسي في مطلع الخمسينات.

والمجموعة التي أقدمها هنا هي المجموعة التي أصدرتها وزارة الإعلام، لم أحذف منها سوى المقدمة. وما عدا ذلك فإنني تركت الهوامش كما هي، ولم أجد سبباً لمزيد من التفسيرات والشروحات.

آمل أن تلقي هذه المجموعة مزيداً من الوضوح على شاعرية بدر، وعلى تطوره الفني والسياسي.

٧٢/١٠/١٥

ناجي علوش

ذبول أزاهر الدفلى

"إلى روح وورد زورث"[1]

لَذع الأوام أزاهرَ الدِّفْلِ ... فذوت كما يذوي سنا المُقَلِ

كانت تعير النهر حمرتها ... فيضيء فيه الموج كالشُّعَلِ

كانت تعير النهر حلّتها ... فيسير في وشيٍ من الحُلَلِ

كم زينت بالأمس لبَّته ... بقلائدِ المرجان، والقبلِ

واليوم أُطفئ نورها وخبا ... فكأنها لم تَتْندَ أو تَمِلَ..

واليوم أصبح عِقدها بَدَداً ... فرأيتُ جيد النهر في عَطَلِ

ولكم مررت بزهرة ذبلت ... فبكيتُ، حين بكيتها، أملي

وسقيتُها بالراحتين كما ... تسقي السحابةُ تربةَ الطَّلَلِ

فتراعشت في غصنها وهوتْ ... ومضى النسيم بها على عجلِ

يا عينُ أينَ أزاهر الدِّفْلِ ... مُرِّي بجانب نهرها وسلي

لرجوت – لو دامت غضارتها – ... وَصلَ التي وعدتْ فلم تَصِلِ

قد كان وَشْكُ ذبولها أجلاً ... للملتقى ففُجعْتُ بالأجلِ

ولكنت آمل أن أقبّلها ... وأعبُّ خمرةَ حسنِها الثملِ

أمّا وقد ذلت، فلا أملٌ ... لي باللقاء فكيف بالقبلِ

أبو الخصيب – ١٩٤٤/٦/٧

[1] الإهداء في هذه القصيدة، كما في سواها للشاعر. [المحقق]

جدول جف ماؤه

"إلى روح وورد زورث"

المدّ هـاجرُ ذاك الجدول النائي ... والصمتُ معتادُه من بعد ضوضاءِ

إلا حفيفاً يهزّ الشوقُ سامعَه ... إلى ظلالٍ تنير الموجَ لَفّاءِ

يعلو فيعقبه صمتٌ فإن سئمت ... أنغامُه الصمتَ هبّت بعد إغفاءِ

تهدّلَ السَّعَفُ الفينان وافترشت ... أفياؤه الضفّة الظمأى إلى الماءِ

واسترسلتْ وَرَقاتُ التوت هاويةً ... في القعر ما بين أعشاب وحصباء

كأنهنّ ظلال الدوح قد نصلت ... من موجةٍ ضاحكتها الريح زرقاءِ

فغودرت حين آبَ الجزْر ثاويةً ... تلهو الرياح بها من كل هوجاء

يا هل رأيت جذوع النخل عاريةً ... من ائتلاقٍ سرابيٍّ[1] ولألاء

من كل دائرةٍ في الماء قد رسمت ... أخرى على الجذع من نور وأضواء

فلو سرَت في ضمير الموج وسوسةٌ ... لأظهرتْها الجذوع الشمُّ للرائي

يا من رأى شجرات الموز ذاويةً ... أوراقهنّ ظماءٌ بعد إرواء

يا ربما كانت الأمواج ساربة[2] ... من خلفهن، وما يشكون من داء

وا لهفتاه على الأمواج كم عكست ... خيال كلّ قَتولِ الطرف عذراء

وظلّ كلّ طَروب الظلّ راقصةٍ ... من الأزاهير، حمراءٍ وصفراء

---

[1] لم أجد خيرا من هذه الكلمات لوصف ذلك التموج الشعاعي الذي تعكسه حركات الماء على جذوع النخيل، ولا يدرك جمال هذا الوصف إلا من لاحظ تلك الانعكاسات "الشاعر".

[2] كانت (شابحة) وقد عدّلها الشاعر بخط يده. [المحقق]

فجاءها الصيفُ ثم الـــبين معتســـفاً واسترسل الجزرُ عوْداً بعد إبـــداء[1]

حتى نظرت وما للعـــين منتجـــعٌ من أوجهٍ وأزاهـــيرٍ ومـــن مـــاء

ومعبرٍ من جذوع النخـــل غيّـــرَه مـــرُّ الليـــالي بإيحـــاشٍ وإبـــلاء

يا ربما كـــان، والأيـــامُ ضـــاحكةٌ دربَ الجميلات والزُرّاعِ والشـــاء

يا ربما ردّ – يا نهرُ – الزمانُ لنـــا ما ليس نرجوه من أنـــسٍ وســـرّاء

لارتدَّ ينصبُّ فيك الماءُ لو رجعـــت إلى حفافيك بعد النـــأيِ حســـنائي

أبو الخصيب –١٢/٨/١٩٤٤

---

[1] لاحظ الشاعر ضعف هذا البيت فحاول أن يعيد صياغته، كما يتضح في المسودة، إلا أنه لـم يكمـل الصياغة الجديدة.

العش المهجـور[1]

"إلى روح وورد زورث"

بمنجـى مـن مراقبـة العيـونِ ومنـأىً عـن متابعـة الظنـونِ

وفي ظُللِ النخيل، حطـام عـش تلفّـع بـالأزاهر والغصـون

ترحّـل طـائراهُ فبـات خلـواً عميقَ الحـزن متّصـلَ السـكون

يكـاد نسـيجه عشـباً وزهـراً يبـوح بمـا يسـرُّ مـن الأنـين

يحـنُّ إلى الجـداول والـروابي وضـاحكةِ السـهول إلى الحـزون

لقد ذهب الـذي سـلاّه عنـها فعـاد إلى التشـوُّق والحـنين

كأن العشَّ حـين خـلا وأقـوى ومات به صـدى النغم الحنـون

غـديرٌ جـفّ غاربُـه وماتـت أغـاني موجِـه المـرِح المعـين

كـأن قَشاشَـه أوتـارُ عـود مكفّنـةٌ بهـا جثـثُ اللحـون

وأبدل مـن ظعـين قـد تولّى بمـا لم يُسـلِه حُـبٌّ الظعـين

إذا مَتَـع النـهار أوت إليـه ظلال النخـل ناعسـة الجفـون

ويطرقـه شـعاع النجم وَهْنـاً وضوء البدر حينـاً بعـد حـين

طُروقَ الـذكريات فـؤادَ صـبٌّ كـثير الشـجوِ منقطـع الـوتين

تمـرُّ بـه النسـائم هامسـاتٍ فتنتشـرُ فيـه عطـر اليـاسمينِ

وتـوقظ في جوانبـه الأغـاني عِـذابَ الجَـرس فاتنـةَ الـرنين

---

[1] جاء ذكر هذه القصيدة في رسالة إلى الشاعر خالد الشواف وتحدث عنها وعن الرسالة الدكتور إحسان عباس في كتابه (بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وفي شعره).

وكم غمرتْه أنفاسُ الخزامى / قد امتزجت بدمعٍ ندىً هتون

وربَّةَ وحشة تأوي إليه / إذا أوَتِ الطيور إلى الوكونِ

لَيُشْبِهُني فحالٌ مثل حالي / وشأن في الغرام حكى شؤوني

فقلبي لا يزال قرين شجوٍ / متى هفت القلوب إلى قرين

إذا الأحلام زُرن عيون غيري / تزور العبرة الحرّى عيوني

يكاد العشُّ إن هتفَتْ صدوح / يبادلها غناء شجٍ حزين

وليلٍ نام سامرُه اكتئابا / أثار له الخفيُّ من الشجون

وأذْكَرَهُ لياليَ ذاهباتٍ / فغصَّ من الكآبةِ بالدجونِ

١٩٤٤/٧/٢٧ – أبو الخصيب

ثورة الأهلة[1]

"أحببتها وهي تكبرني بسبع
فثارت أهلّة تلك السنين السبع..."[2]

أما زلتَ تصبو إلى قربها رويداً فما أنت من صحبِها
تخطّيتَ سبعاً – من المثقَلاتِ بما لست تدري – إلى حبها
تركتَ الأهلّة عن جانبيكَ حيارى تشكّى إلى ربها:
"أكانت سدىً كلُّ تلك السنين وقد هدَّنا السيرُ في دربها
أيطوي مداها إلى حبه فتىً ما رأيناه في ركبها"[3]
تخطيتَ سبعاً فكم من ضحىً وكم من مساءٍ وليلٍ بها
وكم نبضةٍ من فؤاد التي تشوّقتَ للعطف من قلبها

* * *

أما زلتَ مستسلماً للأنين رويداً، فعهدي بها لا تلين
وهل تسمع الشعر إن قلْتَهُ وفي مسمعيها ضجيج السنين
أطلّت على السبع من قبل عشـ ـرين عاماً، وما كنت إلا جنين
وأمسى – و لم تدرِ أنت الغرام – هواها حديث الورى أجمعين[4]

---

[1] لقد اختار الشاعر ثمانية أبيات من هذه القصيدة وضمنها في قصيدة أهواء المنشورة في مجموعة أزهار ذابلة.
[2] الحديث للشاعر، والمعنية به هي المعنية بقصيدة (اسم لباب) في ديوانه الأول "أزهار ذابلة".
[3] الأقواس من وضع الشاعر.
[4] كان البيت التالي مكان هذا البيت:
أيخفى الهوى عنك حتى الزمان وتنسيك أشواقك العالمين
يبدو أن الشاعر لم يجد فيه ما يعبر عن المعنى الذي يريد فحاول أن يبدله.

لقد نبّأوها بهذا الهوى فقالت: وما أكثر العاشقين

أما زلت في غفلةٍ يا حزين أحبَّتْ سواك ففيم الحنين

حرام عليها هنيء الرقاد أتغفو وما أنت في النائمين

حزيران ١٩٤٤ – بغداد

أمير شط العرب

"إلى روح وورد زورث"

الشـط راوحـه الأصيلُ ... فمضى على روْد يسيلُ
وأتاه بعد المدّ جز ... رٌ فهو موهونٌ كليل
المـاء غادر جانبيـ ... ـه وراح يحدوه الرحيل
فتجرَّدا من صفحة ... زرقاء زيّنها النخيل
يا عين طوفي وامرحي ... فمطافُكِ الشط الجميل
وامشي على ثبَج الميا ... هِ كما مشى النَّسَمُ البليل
فهنا شراعٌ خافق الـ ... ـجَنَبات ذهَّبَهُ الأصيل
وهناك صاريةٌ تلو ... حُ، وثَمَّ مجذافٌ يجول
وعلى السماء غلالةٌ ... حمراءُ نَشَّرها الأفول
حمراءُ توقد في ضلو ... عِ الموج ناراً لا تزول
وبدا نخيل الضفة الـ ... أخرى تحركه القبول
كم تحته من منزل ... لا يستريح به النزيل
سَعَفٌ وجذعٌ قام في ... جنباته تعِبٌ شَغول
ساجٍ يجفُّ به اليرا ... عُ[1] الغضُّ والسدْرُ القليل

[1] القصب (للشاعر)

وأمامه "بَلَمٌ"[1] حبيـ ... ـسٌ آدَهُ الحبسُ الطويل

وهناك في غاب النخيـ ... ـل يلفّه الظل الظليل

ثور يخور ونعجةٌ ... تثغو وأغنية تسيل

وَلتَسْمَعُ الطفلَ الصغيـ ... ـر يجيبه الشيخ الجليل

والغادة الجذلى يشا ... ركها الغلام بما تقول

وأمام عيني جدول ... عذبٌ مُقَبَّلُهُ ضئيل

متعانقٌ والشط فهو بجيُـ ... ـه العفُّ الوَصولُ

يشكو إليه هوى الجرا ... رِ فما يُبَلُّ له غليل

يا شطُّ ليتك سامعي ... أولَيت قلبك لي يميل

يا موج، يا ملاح، يا ... بِيضَ الزوارق، يا نخيل

يا رِيح، يا سرب الطيو ... رِ البيض يرشده الدليل

شاركن قلبي في المسرة ... .. لا رقيبٌ، لا عذول

أبو الخصيب – ١٩٤٤/٨/٣٠

---

[1] زورق شط العرب، تعمدت ذكره لأن لفظة "زورق" لا تعطي الصورة الصادقة لما أراه. ولمَ لا نذكر البلم وقد ذكر المصريون زورق فينيسيا (الجندول)، واستعمل الإنكليز لفظة بلم في لغتهم. (الشاعر)

أراهــا غــداً[1]

"على الرغم من أنك تكبرينني بسبع من السنوات فقد تجرأت وأرسلت هذه الزفرة مع من يقرأها عليك. ولكن وأسفاه، لا أعلم أأدى الرسالة أم خانها"[2]

أراها غداً، هل أراها غداً ... وأنسى النوى، أم يحول الردى

فؤادي، وهل في ضلوعي فؤاد ... لقد كدتُ أنساه لولا الصدى

كأني به خاذلي إن تمرّ ... على بعْدِ ما بيننا من مدى

مشى العمر ما بيْننا فاصلاً ... فمن لي بأن اسبق الموعدا

ومن لي بطَيٍّ السنين الطوال ... ستمضي دموعي وحي سدى

أراها فأذكر أني القريب ... وأنسى الفتى الشاردَ المُبْعَدا

أراها فأنفض عنها السنين ... كما تنفض الريح بَرْدَ الندى

فتغدو وعمري أخو عمرها ... ويستوقفُ المولِدُ المولدا[3]

أغضُّ – إذا ما بدت – ناظريَّ ... فهيهات تعلم كم سُهّدا

ولو أنها نُبِّئتْ بالغرام ... غرامي، لقربت المنشدا

---

[1] وردت القصيدة في رسالة على الشاعر خالد الشواف وقد نقل أبياتها الدكتور إحسان عباس في كتابه (بدر شاكر السياب – دراسة في حياته وشعره).

[2] الحديث للشاعر.

[3] البيت والأبيات الثلاثة التي تسبقه نشرها الشاعر ضمن قصيدة (أهواء) المنشورة في مجموعة (أزهار ذابلة).

وقالــت: أيعصــى نــداء المحــب حَرِمْتُ الهوى إن عصَـيتُ النــدا

سأنسى الجراحــاتِ والأمنيــاتِ ســوى أن عــيني تراهــا غــدا

بغداد ١٩٤٤/٤/٢١

يـا نهـر

يا نهر عاد إليك بعد شتاته ... صبٌّ يفيض الشوق من زفراته
حيرانُ يرمق ضفّتيكَ بلوعة ... فيكاد يَصْرَعُ شوقه عبراته
كم رافقتْك فآنستك خطاه في ... غدواته للحُب أو روحاته
أفأنتَ تذكره وتحفظ عهده ... أم قد نسيت عهوده وسماته
قد أنكرته فتاتُه وتبعتها ... وهو الذي يفديكما بحياته
لَيَوَدُّ من شَغَفٍ بمائكَ لو غدا ... ظلاً يداعب فيه جنّياته
متعلقاً بشراع كل سفينة ... ليجاذب الملاّح أغنياته
وتلوذُ أنوار النجوم بصدره ... وتراقصُ الأمواج من ضحكاته
يا نهر أين مضى الزمان بأنسه ... والمترَع المعسول من كاساته
وهل اهتدى الزمن الحقود فغال ما ... قد أودع المفؤود في خلواته
قُبُلاته في ضفّتيكَ صريعةٌ ... أفهل حفظت له صدى قبلاته
أمواجك اللائي شهدنَ غرامه ... وسمعنَ لوعته وبثَّ شكاته
عبثتْ بهن من الليالي غَدْرَةٌ ... وأضاعهُنَّ الجزرُ في سَفَراته
والدوح أسلم للبلى وَرَقاته ... وثمالة القبلات في ورقاته
والريح أسأمها انتظار إيابه ... وأملّها ترديد أغنيّاته
فرمت لطول عيائها مزمارَه ... وعفا بمسمعها صدى نغماته
يا ساقيَ الشجرات ما لكَ لا تُرى ... إلا كئيباً لَجَّ في حسراته

وتطوف ما بين الرياض أباحثاً ... عن غائبٍ حجَب البعاد سماته

ما للروابي أرَمَّتكَ شكاتها ... والمرجُ ألقى فيك شبّاباته

فسل الربى عن نورها وزهورها ... والمرج عن شعرائه ورعاته

ذهبوا فما في الروض إلا نائح ... متفرِّدٌ بدموعه وأذاته

حُلْوَ الخريرِ، ملاذَ كل معذَّبٍ ... ظمئ الفؤاد وأنت بعضُ سقاته

أبو الخصيب – ١٩٤٤/٦/٧

مجرى نضير الضفتين

"إلى روح وورد زورث"

مُقَلُ الظباء وأعين الشعراءِ ... صورٌ إلى المجرى الضئيل النائي

بكرت تتابع موجَه وظلاله ... ومساحِبَ الأنسام فوق الماء

ومنابت العُشُبِ النديّ تناثرت ... في القعر أو في الضفّة الخضراء

كُسيَت بسَلْسَلِ مائه أنصافُها ... وتلثّمت أنصافُها هواء..

ولكلّ عودٍ صورةٌ أو ظُلّةٌ ... تنسابُ فوق الصفحةِ الزرقاء

أو مؤنسٌ مِنْ فيئه مترجحٌ ... في القعر بين فرائد الحصباء

فإذا تنهدتِ الرياحُ تعلّقت ... - من خوفها - الأفياءُ بالأفياء

وتراعَش العُشُبُ النضير وماؤه ... مثل ارتعاشِ كواكب الظلماء

أو كالشراع تجاذبته نسائم ... أو كالفؤاد مُفاجَأً بلقاء

والقعر طافَ به ائتلاقٌ عاجلٌ ... ودوائرٌ جذلى من الأضواء

فكأنها جنُّ الفلاة تَمَثّلَتْ ... في خاطرٍ، وعرائسُ الدأماء[1]

من كل فاتنةٍ يُنَشّر ثوبَها ... لَعِبُ النسائمِ واهتزازُ الماء

* * *

عَينيَّ شَفّكما السهادُ وها هنا ... ما تصبوان إليه من نعماء

فِتَنٌ لها، عما انطوى وحُرِمْتُها ... من فاتن الأحلام، أي عزاء

---

[1] البحر. (للشاعر)

وطبيعـــةٌ تغْنيكمـــا بَســـماتُها | عـــن بســـمةِ التّياهـــة الحسنـــاء
نظراً إلى المجـــرى الضـــئيل النـــائي | وقد ارتدى حلـــلاً مـــن الـــلألاء
وغدا يتيه على السماء بمـــا سَـــبى | مـــن لونِهـــا وجمالِهـــا الوضّـــاء
وبما اكتسى من خُضْرَةٍ وغضـــارةٍ | وبما اجـــتنى مـــن ورافِ الأفيـــاء
وبما تحيَّـــر مـــن حَبـــابٍ فوقـــه | وانســـابَ في مرآتـــه الجلـــواء
وبشاعرٍ سَحَرَ الضـــفافَ غنـــاؤه | فمضـــتّ تهـــزّ قيـــاثرَ الأصـــداء

* * *

أوّاه لـــو رجَّعْـــتِ لي أصـــدائي | مثلَ الضفافِ متى سمعـــنَ غنـــائي
لهتفتُ: حبُّـــكِ شـــفَّني، فـــأجبْتِني | وأعَدْتِ لي قولي ورجـــع نـــدائي
وهمستِ: حبُّك شَـــفَّني وأريـــتني | صفو الحيـــاةِ ومنتـــهى أهـــوائي

بغداد — ١٩٤٤/١٠/١٧

لامس شعرها شعري

مرّت فلامس شَعرُها شعري ... فإذا الهوى بجوانحي يسري
مرت ولم أرها، سوى نبأ ... عَذْبِ البشائر ذاع في صدري
القلب يعرفها بِمِشْيَتِها، ... بالظل، بالأنفاس، بالعطرِ
يا ليت شَعْرَيْنا إذ اعتنقا ... عُقِدا فما انفرطا مدى الدهر
بل ليت مسرعة الخطى وقفتْ ... ووقفتُ حتى ساعة الحشر
أشكو الغرام لها فتبسم لي ... وتلين إن أسمعتها شِعري

* * *

أدعوك، واسمك لست أعرفه ... دعوات حُرٍّ ضاق بالأسر
آنستُ منك تطلُّعاً ملكتْ ... نظراته الجمّاح من فكري
أفَعَنْ هوى ما كان من نَظَرٍ ... أم كان لهواً عاجِلَ المَرِّ
بوحي بسرِكِ، لا، بل اتئدي ... أخشى الأسى إنْ بُحتِ بالسرِّ
فدعي الفؤاد يعيش مغتبطاً ... جذلان ما بين الرؤى الزُهر
يا ليتني وقد ابتعدتِ مدى ... قبّلتُ ما لامستِ من شعري
بل ليت ما لامَسْتِ منه غدا ... حمراءَ مشرقةً من الزَهرِ
تكسين شَعرَكِ من مفاتنها ... ثوباً من اللألاء والنشر

بغداد — ١٩٤٤/١١/١٧

"من وحي... أ..."

ضحى بَسَـمَتْ أشـعتُه وطابـا ... وأغصـانٌ أبَـتْ إلا اضـطرابا
وأزهـار يـذاب الطـلُّ فيهـا ... وريـحٌ تـنفض الطـلَّ المـذابا
وقلـبٌ دائـم الهَيَمـان أضـحى ... لفرط الشـوق يلتـهب التـهابا
وهل أنسى (لُبـابَ) إذا تنـاءت ... وكل النـاس يُـذكِرُني (لُبابـا):
متيَّمـةٌ تسـهدها الليـالي ... وتسـمعُها الخليّـاتُ العتابـا
وأخرى غيرهـا اجتـذبت فتاهـا ... إلى أحضـان مخـدعها اجتـذابا
ومجنـونٌ يهـيم بـألف ليلـى ... فـلا وصـلاً ينـال ولا اقترابـا
وفاتنـة تطلّـعَ كـلُّ طـرف ... لهـا ظمـآنَ يسـألها الشـرابا
سريت وراءها وسـرت ورائـي ... نجوب الـروضَ عَـوْداً أو ذهابـا
طـروب كـلّ مكتئـب رآهـا ... فلـيس يُحـسُّ همـاً واكتئابـا
وصـاحبة لهـا تبعـت خُطاهـا ... كعابٌ غضّـةٌ صـحبت كعابـا
ولمـا أنْ رأتـني بـادرتني ... بأنظـارٍ لقيـتُ بهـا العـذابا
وجاذبـتِ الرفيقـةَ سـاعديها: ... فأذعنـت انعطافـاً وانجـذابا
وكـان تهـامسٌ فارتـاع قلـبي ... وأغرق في الظنـون وقـد أصـابا
أجالت طرفهـا فـرأت فراشـاً ... يُنيـل الـريحَ أجنحـةً رطابـا
طروباً عـاد يلـثم كـلّ غصـن ... وينتـهب الأزاهـير انتـهابا

فمــن متـــآلفين هـــوى وشـــوقاً ومنفـــــردٍ أبى إلا اغترابـــــا

أتابعـــــه بعـــــينيَّ اشـــتياقاً وتلحظـــه بعينيهـــا ارتيابـــا

فعادت وهـــي غاضـــبةٌ حســـود فديتُ بروحـــيَ الغيـــدَ الغضـــابا

نظرتُ لها وقـــد بســـطتْ يـــديها لقـــنصِ فراشـــةٍ فـــدنوت قابـــا

فقلـــت أتصـــبح الحســـناءُ تجـــني علـــى واه لتُعْـــذَلَ أو تُعابـــا

تصيدين الفراش، كفـــاك صـــيداً قلـــوبٌ بـــات أســـلمها مصـــابا

سلي عينيك إن حاولـــت علمـــاً أمـــا دعَتـــا فـــؤادي فاســـتجابا

بغداد — ١٩٤٤/١١/٢٦

ثـورة على حـواء

عـبس الفـؤادُ وكـان يبتسم ... وهـوَت علـى جنباتـه الظُلَمُ

وأرى الخيـالَ يكـاد يخـذلني ... فَـأرَشْ خيـالي أيهـا الألم

وافسـح لـه الآفـاق نائيـةً ... لا الـوهم صَـوَّرها ولا الحلم

قـد لَفَّهـا ليـلٌ غلالتُـه ... قُبْرِيـةٌ ونجومُـه الـرِّمَم

مـا في جوانبـها مـن امـرأةٍ ... رعنـاءَ مِـلءُ فؤادِهـا حِمَمُ

* * *

إني عـدوُّكِ يـا مُغَـرَّرَةً ... سكرتْ بخمـرةِ شـرِّها الأمـم

مـا فيـكِ إلا كـلُّ مُتْلَبَـةٍ ... مـا فيـكِ إلا الحـزنُ والنـدم

ولأنـتِ يـا محبوبتـاه أسـى ... للقلـب يحطمـه فيـنحطم

ولأنتِ - مهما كنـت - سـافلةٌ ... إن شـاء ذلـك أو أبى الخـدم

خدموا جمالكِ وهو - لو علموا - ... دَنَـسٌ بثـوبِ الطهـرِ ملتـثم

إني أشـكُّ بكـلِّ غانيـةٍ ... لا بـل أكـاد، أكـاد أتهـم

وأقـول جهـراً أنـتِ عـاهرةٌ ... وليغضـبنَّكِ ذلـك - الكَلِـم

حطمتِ قلـبي في الهـوى سَـفَهاً ... فمـتى، وأيـن، وكيـف أنـتقم

* * *

ويمثّـلُ التـذكارُ لي صُـوَراً ... زهـراً معطَّـرةً فأبتسـم

كفّـاً تصـافحني مهنئـةً ... فكأنمـا نبضـاتها نغـم

وأكـاد مـن شَـغَفٍ أقبّلـها ... وأكـاد حـين نصـولها أجِـمُ

فــأعود أغتفــر الــذنوب لهــا ... ويــروعني مــا خطّــه القلــم..
فأكــاد أمحــوه فيمــنعني ... فكــر يُــريشُ جناحــه الألم

* * *

وأعــود أذكــر مــن مآثمهــا ... مــا ردَّ قلــبي وهــو مضــطرم
كيف الرضــا والــنفس جامحــة ... وجــراح قلــبي لــيس تلتــئم
عَبَــدَ النســاءَ معاشِــرٌ جهلــوا ... مــاذا يُخبِّــئ ذلــك الصــنم
يُخفــي الخساســة في تكــبره ... لا ســرٌّ قدرتــه كمــا زعمــوا
وأشــكُّ بالعــذراء تظهــرُ لي ... عذراءَ مــا علقــتْ بهــا التــهم
وأقــول: وجــه البــدر مؤتلــق ... ولقــد تُجلّــلُ ظهــرهُ الظُّلَــمُ

* * *

يا مَــنْ غُــرِرتُ بحبــها زمنــاً[1] ... اليــوم أعقــب حبّــكِ النــدم
قد كنت أجهل أنَّ مــن لبســت ... طهــر الهــوى بــالعهر تتســمُ
لله مــا أوحيــت مــن نغــم ... أمــن الخيانــة ذلــك الــنغم
أورثــتني شــكاً بكــلّ هــوى ... وبكلّ مــن تســعى بهــا قــدم
حتى غــدوتُ ومــا أرى امــرأةً ... إلا وثــار الحقــدُ يضــطرم
لِي عنــد كــلّ جميلــة تِــرَةٌ ... فمــتى، وأيــن، وكيــف أنــتقم

بغداد – ١٩٤٤/١١/٤

---

[1] أنظر قصيدة المحبوبة المدنسة. [الشاعر]. هذه القصيدة منشورة في مجموعة أزهار ذابلة. [المحقق].

بين الرضا والغضب

حواءُ عفوَكِ إنْ جرى القلمُ بغَويِّ شعرٍ ملؤُه تُهَمُ
قد كنت في ما قلت معتسفاً فلبئس قولاً ذلك الكَلِمُ
عجباً أجرِّد منك عاهرةً يا عفةً شهدت لها الأمم
لا لومَ فالحرمان أنطقني ومحا خساسةَ قوليَ الندم
أسكرتِ روحي بالهوى زمناً فسما الخيال وصفَّق النغم
وهجرتِ فامتلأ الفؤاد أسىً وعَفا الغناء ونُفِّر الحلم
وكئيبة النغمات[1] أسرجها ولوى إليكِ عنانَها الألم
وردتْ عليكِ فساء موقعها وارتدَّ قلبك وهو يحتدم
والحزن لا يخشى إذا جمحت يوماً قواه وليس يحتشم
حواءُ ليتَ هواكِ طال مدى أو ليت جرح هواكِ يلتئم
أبت الخيانةُ[2] أن تملِّكَهُ قلباً بطهر هواه يتّسِمُ
لا تعذلي شِعري فليس له ذنبٌ إذا هو جاء يضطرِم
لومي التي غدرت بصاحبه[3] وجفتْه وهو من الأسى حُطَم
وظلالِ هدبكِ، وهي أجنحةٌ للحب في خديك ترتسم،
لو نِلتُ منك العطف ما جزعتْ نفسي فجئتُ إليكِ أتَّهم

* * *

[1] القصيدة السابقة "ثورة على حواء". (الشاعر)
[2] و [3] أنظرة قصيدة "المحبوبة المدنسة". (الشاعر)

إني امــرؤ يرجــو لــديك مــنىً ولســوف تُـدنيها لــه الهِمــم

إن تمنحيه رضــىً لقيــتِ رضــى أو توســعيه قلــىً فمنــتقم

إن رمــتِ روحانيــةً وُجــدتْ عنــدي ومِــلءُ رياضــها نِعَــم

أوِ رمــتِ شــهوانيةً وُجِــدت عنــدي وفيهــا النــار والحمــم

* * *

وزعمــتِ ان الشــعرَ أجمعَــه لــو لم تكــوني - غالَــهُ العَــدَمُ

مــا هـــزَّت الأوتــار أنملــة إلا وكـــان لأجلــك الــنغم

كــذب لعمــركِ. تلــك أمنيــةٌ حســناء صــوَّرَها لــك الحلــم

أفتزدهــي الأنهــارُ إن وُصِــفَتْ أم تشــمخ الربــواتُ والقمــم

وتعيِّــر الصــحراء شــاعرها: لــولاي مــات بكفِّــك القلــم

إن تخلصــي لي بــتٌّ خالــدةً في الشــعر، هاتفــةً بــك الأمــم

وإذا نفــرتِ فَلَعْــنتي وُحِــدتْ للنــافرات وكلُّهــا ضــرم

بغداد — ١٩٤٤/١١/٨

بين الروح والجسد

(قصة شاعرين)

يستفاد من مختلف المصادر ان (بين الروح والجسد) ملحمة للشاعر تقع في ألف ونيف من الأبيات. وكان قد أرسلها كاملة مع السيد فيصل جري السامر (وهو يستعد للدكتوراه) فسلمها بمصر، كما ذكر، إلى المرحوم الشاعر المصري علي محمود طه المهندس.. ولم يعرف مصيرها بعد.

وفيما يلي مائة وعشرون بيتاً منها جمعت من مسودة للشاعر، ومن مجموعة (إقبال) التي صدرت له بعد وفاته، ثم من إحدى الصحف العراقية التي كانت تصدر يومئذ.

[المحقق]

شاعر الروح (١)

هذا الجريحُ وجُرْحه لا يضمد ... جار الغرام عليه فهو مسهَّدُ

صبٌّ أطار الصَّفوَ من أضلاعه ... قلبٌ يمرُّ به الهوى فيعربد

أوحى إليه الشعر من آياته ... سحراً تُحَلُّ به النفوسُ وتُعقد

باتت تحلِّق في الأعالي روحه ... نشوى، وبات خياله يتصعَّد

واهي الكيان كأنَّ خطباً هَدَّهُ ... ذاوي الشفاه لطولِ ما يتنهَّدُ

وهو المعطَّلُ من قوامٍ فارعٍ ... يسبي العيون ووجنةٍ تتورد

لم يُعْطَ من مال سوى أحلامه ... وكفى بها من ثروةٍ لا تنفد

ما زال صرف الدهر أبقى أمَّهُ ... تأسو الجراح بكفِّها أو تضمد

كم باتَ يلتمس الحنان فما رأى ... طيف الحنان وفاتَه ما ينشد

وأحبَّ من جاراته فتّانةً ... ما زال صائدُ طرفها يتصيَّد

عفَّ الغرام بحسبه من حبه ... نَظَرٌ يعفُّ عن الأثام ويبعد

تلك الدماء بقلبه المتضرِّم ... تغلي فتدفع جسمه للمأثمِ

ردَّ الهوى أحلامه مشبوبة ... ناراً، فحلَّل فيه كلَّ محرَّمِ

غضُّ الإهاب تظل تبرق عينه ... سحراً تلوذ به القلوب وتحتمي

وإذا العيون لمحنَ فارعَ قَدِّه ... ورشفن خمرة ثغره المتضرِّم

أوْحَيْنَ للقلب الجليدِ بحبه ... فأطاعهن إطاعةَ المستسلم

جمُّ الثراء سبى العذارى بالغنى ... والحسن حتى ما يجُدْنَ لمغرم

عاش الليالي وهو عفٌّ طاهرٌ ... يهديه روحُ العبقريِّ المُلهَمِ

حتى أحبَّ وضيعةً غدّارةً ... ألقته في جنبات ليلٍ مظلم

قد كان يحسبها مثالاً للتقى ... والطهر والخلق الرفيع الأكرم

حيناً وكذَّبت الليالي ظنّه ... وانجاب ثَمّة كل سرّ مبهم

ويلاه! ساء بكلّ خود ظنُّه ... وارتدَّ يحرق جسمه بالمأثم

ما زال يروي الشعر عن شيطانه ... مُتحلِّباً شرّاً صبيغا بالدم

وأحب غانيةً فهيأ سمَّه ... سرّاً، وخبّأ صارماً في المبسم

المحبوبة (٣)

حسناء تسفر عن محيّا شاحب ... ما زال يغلب كلَّ طرفٍ غالبِ

رَمَقَتْ صباها وهي في رَيعانِه ... بنواظرٍ عبرى وقلبٍ ناصب

ومضت تقطّع صمتها ووجومها ... بتبسماتٍ كالصباح الكاذب

لم تدرِ ما دَنَسُ الغرام وطهره ... وأرى السفينةَ أمرُها للراكب

في الريف، بـين نخيلـه المتغـانق — وعلى جوانب كـلِّ نهـر دافـق
عشبٌ يجاذبُـه النسـيم ظِلالَـهُ — وندى يصـفِّق[1] بـالأريج العـابق
وأزاهـر غَيْنـاءُ رفَّ نـديُّها — فرحاً بأجنحـة الفـراش العاشـق
ومتيَّمان تشـاكيا حَـرَّ الهـوى — حيناً، فَبَرَّدَ خـافقٌ مـن خـافق

* * *

الشـاعر الغرِّيـد لاقـى شـاعراً — هذا يُرى شَـبقاً وهـذا طـاهرا
لو كنت ثَمَّـةَ سـامعاً نجواهُمـا — لسمعتَ مُتَّقيـاً ينـاجي فـاجرا
ورأيت روحـاً ينـبري لنضـاله — جَسَـدٌ توثَّـبَ مسـتخفاً ثـائرا
وبقيتَ مضطرب الخواطر والهـوى — بـين الفضـيلةِ والرذيلـةِ حـائرا

[1] صفقت الخمر: مزجت بالماء. (الشاعر)

حديث (٥)

شاعر الروح:

حيَّتْكَ أنفاس الربيع الباكر ... ورعتك آلهة الهوى من شاعر
مَرَّتْ ليالٍ كنت فيها غائباً ... عني فأظلمت الحياةُ بناظري
واليومَ عُدْتَ فعاد لي صفو المنى ... وتجلَّت الدنيا بثوبٍ ساحر
فَلَتَتْلُوَّنَ علَيَّ ما هيَّأتَهُ ... من نغمة سكرى وشعرٍ ناضرِ

شاعر الشهوة:

أهوى مفاتنَ جسمكِ المستسلمِ ... وهوىً لذائذُه مُزِجْنَ بمأثم
جسد علَيَّ أراه باتَ محرَماً ... وعلى حقير الدود غيرَ محرَم
لأطوِّحَنَّ بكلِّ عرفٍ سائد ... ولأعْبَثَنَّ بكلِّ آيٍ محكم
ولأهتكنَّ على الفضيلة سترها ... وَلأصْغَيَنَّ لما يقول به دمي[1]

---

[1] في مجموعة (إقبال) نشر مقطع ميمي يتألف من خمسة عشر بيتاً مهداة إلى (روح الشاعر بودلير) وذلك على أساس أنها من ضمن ملحمة (الروح والجسد) كما يقول الناسخ. وقد لاحظنا في الأبيات الخمسة عشر أنها تبدأ بالبيتين الأول والثاني المثبتين أعلاه. كما لاحظنا أن البيت الثالث محذوف كليا. أما البيت الرابع فقد أبدل عجزه أدناه الأبيات الخمسة عشر كما نشرت في مجموعة إقبال:

لا تسهمنَّ وهات أنغام الهوى ... عذراء تقطر بالتصابي والجوى

لم يَلْقَ شعريَ منك قلباً راضياً ... فلقد سقته مآثمي حتى ارتوى

فلتهتفنَّ بكل نَغْمٍ ساحر ... مما تُفيض عليك أيام النوى

أو ما تُفيضُ عليك ساعات اللقا ... بين النخيل وعند ذاك الملتوى

شاعر الروح:

تأبى (أَلِيسُ)[1] عليَّ أن تتبسما ... فترد قلبي هانئاً متنعّما

يا صوتها الطَّرِبَ الحنونَ ولا أرى ... أني سمعت أرقَّ منه وأرحما

طُفْ بي، لأقبس من صداك قصائدي ... وأصوغَ في شعري حُلاك مُنَمْنما

أهوى مفاتن جسمك المستسلم ... وهوى لذائذه مزجن بمآثم

جسد علي أراه بات محرما ... وعلى حقير الدود غير محرم

فلأذهبن من الغواية مذهبا ... ولأصغين لشهوتي وتأثمي

ولأهتكن على الفضيلة سترها ... ولأغرقن معازفي بالعلدم

ولأشبعن رغائبا مشبوبة ... تهفو بأنفاسي وتخفق في دمي

ولا لهون بكل جسم دافئ ... ولأروين تعطش الحب الظمي

ولأجعلن المومسات مقابرا ... لمآثمي وبرود حب مضرم

ولأحقرن الروح! لست بقادر ... فارجع بروحك عودة المتندم

يا شاعرا نصر التراب على السنا ... أين الغناء من الخلود المبرم

الماء في الأغوار ليس بمطفئ ... ظمأ يشب بقلبك المتضرم

غاد السحائب بكرة فاستسقها ... ماء تورد من خضم مبهم

لعنتك أحجار الطريق لطول ما ... تسعى لتنعم بالهوى المتأثم

أطعمت جسمك للأثام ومومس ... ترمي الفتات لجسمها المتنهم

كم من بنين تركتهم في حجرها ... صرعى، فيا لك من غوي مجرم

وفتات جسمك سوف يقبر في غد ... والمومس الشهوى بلحد مظلم

هذا وأن الأبيات هذه مؤرخة بتاريخ ١٩٤٤/٢/١٢ كما ورد في رواية الناسخ الذي لم تشخصه المقدمة التي كتبها الأستاذ ناجي علوش لمجموعة إقبال. وإذا صحت رواية الناسخ فأننا نستنتج بتحفظ ان الأبيات هذه كتبت أصلاً لتكون قصيدة مستقلة، ثم فكر السياب إنطلاقا منها في كتابة ملحمته. ذلك ان الأبيات التي نرويها نحن (وهي بخط السياب) وإن لم تكن تحمل تاريخا، إلا أنها مثبتة بعد القصيدة عنوانها (عاشقان في الغاب) مؤرخة في ١٩٤٤/١٢/٢٥ علما بأن القصائد التي ننقلها هنا تحمل تواريخ متعاقبة، وأخرها هي أبيات الملحمة. ومما يقوي استنتاجاتنا هو أن السياب يشير في ما نرويه إلى (أليس) وهي فتاة أحبها بعد (لبيبة) التي ترد في قصائده باسم (لباب). [المحقق].

[1] أليس، فتاة زاملت السياب في الجامعة فأحبها [المحقق].

لو عاشقٌ دنــفٌ ســواي أحبــها مثلي، تركت له الهــوى فَتَنَعَّمــا

شــاعر الشهوة:

فاترك هواك فقد بُليــتَ بِمُــدنفٍ بمتــيّمٍ، متشــوّقٍ، متلــهّف
يهوى حبيبتــك الــتي أصــفيتها وداً كودِّ صديقك ابــن الأحنــف

شــاعر الروح:

أتُحبّ صــاحبتي، وحــبي طــاهرٌ وهواك حــبٌّ فــاجرٌ لم يَشْــرُفِ
نزَّهتها عــن قــول هجــرٍ قُلتــه كادت تغصُّ بــه لهــاة المِعــزفِ

شــاعر الشهوة:

هيهاتَ لست بتاركٍ هــذا الهــوى لا الصدُّ يورثني السُّلُوَّ ولا النــوى
وحلفتُ ما أنا تاركاً حــبي لهــا[1] ظمِئَ الفؤاد - يد الزمان - أم ارتوى

شــاعر الروح:

أمشاركي في حبٍّ مــن أحببتــه بئس الشريك، ولا سلمتَ من الجوى

شــاعر الشهوة:

أمشاركي في حبّهــا مــا ضــرّني أني رأيتك لي شــريكاً في الهــوى

---

[1] أليس الأصح رفع كلمة "تاركا".

مالي ومالـــك أن تظــلَّ رفيقهـــا　　　إن نلتُ بعـــد ســـويعةٍ تطويقهـــا
أهوي على تلك الشفاه فـــأرتوي　　　حيناً،وأرشف-كيف شئت-رحيقها
وأمدّ كفّي أينمـــا شـــاء الهـــوى　　　فأعود أقطف نورَهـــا وشَـــقيقَها

شـــاعر الروح:

زُورٌ لعمرك ما نطقـــتَ وخُدعـــةٌ　　　تـــأبى علـــيَّ محـــبتي تصـــديقها

شـــاعر الشهوة:

وأُطوِّع الخصـــر النحيـــل بضـــمّةٍ　　　من ساعدٍ، مـــا خلتُـــه ليُطيقهـــا

شـــاعر الروح:

لا تفجعـــنَّ فـــؤاد بـــاكٍ موجَـــعٍ　　　بتصـــورات زُوِّقـــتْ تزويقهـــا

شـــاعر الشهوة:

سأخفُّ بعـــد سُـــويعةٍ للقائهـــا　　　أوَ لا ترى كيف اعترضتُ طريقها

شـــاعر الروح:

رحماك! ما أبقيتَ لي مـــن ملجـــأ　　　إن كنت تطمح أن تكون رفيقهـــا

شـــاعر الشهوة:

طال الثـــواءُ وحـــان أن نتفرَّقـــا　　　فإلى اللقاء ويا لـــه مـــن ملتقـــى

فغداً أعــود محــدّثاً عــن قبلــة جنَّ الفؤاد لهــا وخصْــرٍ طُوِّقــا
ونــــواظرٍ متفتــــراتٍ نشــــوةً وصــــبابةً، متلــــذّذاتٍ باللقــــا

شــاعر الروح:

لا تَقْسُوَنَّ ورحمــة يــا صــاحبي فالقلب يوشك من ضنى أن يُحرقا
أمخلّفي أشكو لظى الحــب ارجــعِ لا تقسونَّ علــى الفــؤاد الموجَــع
بالماضــيات الزهــرِ مــن أيامنــا بالمهجة الحرّى، بفــيض الأدمــع
لا تعــدون علــى الــتي مَلَكْتُهــا روحي، ودونك غيرها فاســتمتعِ
لو شئتَ جاءتك الغــواني خُشــعاً ينظــرن نظــرة وامــقٍ متطلّــع

شــاعر الشهوة:

لو كان في وسع المشوق العاشــق تَرْكُ الهوى، لصرفتُ عنها خــافقي

ملاحظـة

إلى هنا تنتهي الأبيات المكتوبة بخـط السياب في الدفتر الـذي روينـا أغلـب قصائده هنا. أما الأبيات التالية فقد ذكـر السيد إلياس سروع — وهو شاب لبنـاني يعدّ رسالة جامعية عن السياب، وقـد زار العراق لأغراض هذه الرسالة — للسيد فؤاد طه العبد الجليل أنه نقلها عـن إحـدى الصحف العراقية التي كانـت تصـدر في الأربعينات. وبعد مطالعة هذه الأبيـات وجدنا أن الناسخ قـد وقـع في بعـض الأخطاء ولنا أن نتلافاها. هذا و لم يتأكـد لنا ما إذا كانت هذه الأبيات تلي الأبيات التي سبقت روايتها مباشرة أم لا. على أن تسلسل المعاني يوضح بأنها لا تليها مباشرة.

شـــاعر الروح:

أأحبُّ فاســقةً تواصــل فاســقا ... هيهات لست – وإنْ رمتني– عاشقا

أأحبُّ من شربَ الخنا من جسمها ... كأســاً تنوَّلُــهُ الشــراب الرائقــا

أأحبُّ من طــرق الخنــا أردافهــا ... لا كان قلبي – إن عصاني – خافقاً

شــاعر الشهوة:

أفأنت تعشق جسمها أم روحهـــا ... فالروح لم يــر شــارباً أو طارقــاً

* * *

ما زال ناظرها الحـزين الأســود ... يذكي بقلبــك جــذوةً لا تخمــد

وأرى ابتسامتها الشــجية لم تــزلْ ... تــوحي إليــك بحســرة تتجــدد

إن كان هَمُّك من سراجِك ضوءَه ... فدع السؤال (فكل)[1] زيتٍ يوقــد

وإذا عشقتَ من الكؤوس بريقَهـــا ... فاشربْ سناها واتــركنَّ رحيقَهـــا

ماذا يضــيركَ أن يكــون شــرابه ... صاباً، وحسبُك أن ترى تصــفيقَها

فلتأخذنَّ مــن الحبيبــة روحَهـــا ... ولتتــــركنَّ لآخــــرٍ تطويقَهـــا

ما زلت تضمن ودّهــا ووصــالها ... ماذا يضــيرُك أن يكــون رفيقهـــا

شــاعر الروح:

روح مطهـــرةٌ وجســـمٌ فــاجرُ ... لا قَــرَّ جفنُــك أيهــذا الــداعرُ

الروح والجثمان شــخصٌ واحــدٌ ... إنْ عَفَّ هذا (عَــفَّ) ذاك الآخــر

---

[1] لم ترد عند الناسخ. [المحقق].

هل روحها – إنْ نلتَ يوماً جسمَها ... فملأتَه دَنَساً وعاراً – طاهر
كلاَّ سأزجرُ عن هواها خافقي ... فيطيعني وهو الذليلُ الصاغر

شاعر الشهوة:

الروح ليس بمشبهٍ جثمانَه ... لا تَجْزِهِ بذنوب جسم خانه
يا ربَّ جسمٍ غارقٍ في قبحه ... قد ضمَّ روحاً زانه ما زانه
ولرب جسم مُعْجبٍ لك حسنه ... قد ضمَّ روحاً شانَه ما شانه
والجسمُ ثوبٌ من ترابٍ هَيِّنٍ ... لا بدعَ إنْ دَنَسٌ علا أردانَه

شاعر الروح:

الجسم لولا روحه لم يفسدِ ... فهي التي صرخت به أن يعتدي
وإذا الرداءُ تدنَّسَتْ أردانُه ... بمدنَّسٍ فالذنبُ ذنبُ المرتدي

شاعر الشهوة:

[أزعمتَ][1] أنَّ الروح [أُنزل][2] فاجرا ... أو طاهراً في الجسم يومَ المولدِ
قد كان روح (أليس) عفاً طاهراً ... ولسوف يصبح غير عفٍّ في غد

---

[1] وردت عند الناسخ أزمعت [المحقق].
[2] وردت عند الناسخ نـزل [المحقق].

شـــاعر الشهوة:

لا زلت [حرّان][1] الجــوانح متعبــا صَــبّاً تقــاربُ مُبغِضــاً متجنبــا
غَشَّــتْكَ روحانيّـــة خدّاعـــةٌ ما إن تنيلكَ عنــد خــودٍ مطلبــا
هنَّ الغواني هَمُّهُــنَ مــن الهــوى أن يســتفدن لــذاذةً أو مكســبا
لا أن يهــيم بهــن غِــرٌّ شــاعرٌ يرنــو فيرجــع باكيــاً ومشــببا

[1] وردت عن الناسخ حزان [المحقق].

جـــاءت

جـــاءت يجاذبهـــا النســـيم ثيابهـــا ... صـــبـاً يملّـــك ســـاعدينِ شـــبابها

أضحت تـــورّد خـــدّها أنفاســـه ... وارتدّ يرشف كيف شاء رضـــاها

ومضى يدغدغ صـــدرَها وبـــودّه ... أن لو يزيح عـــن النـــهود نقابهـــا

ترنـــو فيهلـــك غـــيرة حســـادها ... ويميت أو يحيـــي الهـــوى أحبابهـــا

شـــاعر الشهوة:

وافتك (ناعمـــةُ)[1] القـــوامِ تـــأوّدُ ... فـــإذا الجـــوانح جمـــرةٌ تتوقـــد

---

[1] وردت عند الناسخ نائمة. [المحقق].

إلى النـــار (١)

لا ترجفي يا بنان القـــارئ الآنـــا
لا انشقَّ بابٌ ولا صافحتِ شيطانا

لا ترجفي وانشري سفراً، صحائفه
دربٌ إلى النار لولاهنّ مـــا كانـــا

أفضى إلى عـــالمٍ نـــاءٍ، إلى ظُلَـــمٍ
كانت حياةً على الدنيا، وأزمانـــا

حاك الخيال المدمّى بعضها قصصـــا
: والواقع المـــرُّ أنبـــاءً.. وألحانـــا

عذراء؛ ما وطئتْ رجلٌ مـــدارجها
كالبحر قاعاً.. وغيبِ الله – شطآنا

وادٍ مـــن النـــار داجٍ: لا أُلمّ بـــه
"شيخ المعرّة" يستوحيه" غفرانـــا"[1]

ولا تخطّى بـــ (دانتي) بابـــه بصـــرٌ
خاض الجحيم دماً يغلي.. ونيرانا[2]

وادي حـــزانى ومظلـــومين تملـــؤهُ
أطيافُ أحيائنا الغضـــبى، وموتانـــا

ضجّوا لدى الله بالشكوى فرقّ لها
قلباً، وهزّ النجوم الزهـــر غضـــبانا

وانثال كالغيث – لو أنّ لظـــى ...
صوتٌ سرى زعزعاً، وانشقّ بركانا

"ويل الطغاة السكارى من عقاب غد
إن زلزل الكوكب المنكود إيذانا"[3]

فزمزمَ الحشـــدُ والنكبـــاء تنشـــرُهُ
حيناً، وتطويه كـــفُّ الله أحيانـــا:

---

[1] في المخطوطة فوق كلمة يستوحيه يستجديه بخط أكثر حداثة يختلف عن خط المجموعة.
[2] دانتي تقرأ "دنتي" لكي ينسجم الوزن.
[3] هذه الأقواس من وضع الشاعر السياب، وما سيلي أكثره من وضعنا.

-"ربّاه لو أن في طول انتظار غــد ... جدوى..لما أسمعْتكَ الريح شكوانا"[1]

"ما كان حتماً علينــا أن يُعــذّبنا ... طاغٍ، وأن يشهد الرحمن بلوانــا"

"النار أشهى.. فهات النار تصهرنا ... يوم الحســاب ومتّعنــا بــدنيانا"

"إن كان لا يدخل الجنّات.. داخلها ... إلاّ شقيّاً علــى الأولى وغرثانــا"

وكان أمرك أن نرضى بما صــنعوا ... فاحفظْ عبيدكَ.. فالشيطان مولانا"

[1] أصل البيت أجريت عليه تصحيحات بقلم مغاير. كان: رباه لو أن جدوى في انتظــار غــد مــا زال وسنان، لم تسمعك شكوانا.

ضحكة الشيطان (٢)

إبليسُ أصغى إلى الشكوى وعصبتُه، في غفلة من شهابٍ ساهم النـارِ
والليلُ داجٍ تكـاد العـين تحسـبُهُ قبراً تمطّى علـى جثمـانِ جبـار
يا هولها في سكون الليل.. قهقهـةً كأنما انفضَّ عنها جَوْفُ إعصـار
دوَّى الصدى في الكهوف الجوف يقلقها فانقضَّ بالرعد منها كـلُّ منـهار
وهبَّ في مخـدع الآثـام طاغيـةٌ من نومه القانئ المختوم.. بالعـار
وبات يضحكُ حتى جُنَّ وانطلقتْ ساقاه عَدْواً وراء الكوكب الساري

* * *

إبليسُ:

"وأنت يا آدمَ المجبـول مـن حمـأ تُحييه من تحت أقدامي يد الباري"
"لا يبرح الحقد بي أفعى تعبُّ دمي عبّاً وتنفخ في صدري؛ إلى النـار"
"أطلقتُها أمسِ يـوم التين نافثـةً في أذن حوّائك الحمقاء أسـراري"
"واليوم يا قبحـه يومـاً يطـرّبني أشهى من الدم في سكّين جـزّار"
"واليوم لا فحّت الأفعى ولا لدغتْ ولا أُمْتُ، ولا أشرعتُ أظفـاري"
"إن كنت لا أترك الدنيا يعيثُ بهـا طاغٍ شرايينه الحمـراءُ أوتـاري"
"لو يرفع الغيبُ عن عينيك راحتـه أو يهمس الغدُ للماضي بأخباري"
"أو كنت تستوقف الموتى وقد ركبوا جياد (عزريـلَ) مـن دارٍ إلى دارِ"

"وتسألُ الميّت المحمـــول هيكلـــه ... من ضفّة (الكنج) ملفوفاً بأطمـــار"

"عن أمسه الراعب الخاوي وحاضرِه ... والناس ما بـــين أخيـــارٍ وأشـــرارِ

"لاجْتثّ أكفانه الصفراء عن فمِـــه ... وارتجَّ-بالآه تترى-صدرهُ العاري)

"وقال "أمّا عن الدنيا فما برحـــتْ ... أيام قابيل سكرى بالدم الجـــاري)

"(....) أدمـــع الثكلـــى لآلئـــه ... (....) إليها ذراعا جائعٍ عـــاري"[1]

"والعالم الحاطم الذرّات – يـــدفعها ... كيف اشتهى – باع أغلاها بدينارِ"

"واستنـــزف الشاعر اللاهي ملاحنه ... في مدح سكران أو تمجيد خمّـــار"

* * *

واحتّث إبلـــيس أفراســـاً مجنّحـــةً ... بالنار حمراءَ، والكبريـــت ملتـــهبا

رُقْشُ الثعابين في أفواههـــا لُجُـــمٌ ... والريح في منخريها تـــنفخ القصـــبا

قصف البراكين أحنى من حوافرهـــا ... وقعاً إذا أطلقتها تضرب الســـحبا

قد أُنعلتْ قلب ســـفّاح وطاغيـــةٍ ... فلو تمسُّ الحجار الجامـــد ارتعبـــا

من وقعهنَّ التظى ملء المدى شـــررٌ ... ينفضُّ برقاً على الآفاقِ أو شُـــهبا

وقال إبليس، والظلمـــاء راعشـــةٌ ... من تحته أمعنتْ نحو الثـــرى هربـــا

"الأرض لي.. ما عليها من ينازعني ... (...) الخطايا (...) للخنى نصـــبا[2]

أورثتها من يشاء الشرُّ من خـــدمي ... باتوا شكوكاً، وباتوا في يدي لعبـــا

كم أوقد الراهبُ القنديلَ من لهـــبي ... واستقطر الشيخ مما أهمس الخطبـــا[3]

ألقى على الأرض ظلّي تاجر جشعٌ ... يخفي به عن عيون الناس مـــا نهبـــا

قال اسجدوا خشعاً حتىّ إذا سجدوا ... عاف المصلّي وأمسى يجمع الذهبا"

---

[1] في هذا البيت تعمية مقصودة لم نستطع أن نتبينها ولعل الكلمة الأولى (مليككم) أو (وصيكم). والثانية (تهفو).

[2] الشطر الثاني من هذا البيت كلمتان تعمد الشاعر حذفهما ولم نستطع تبين الأصل المحذوف.

[3] إلى جانب لفظة "استقطر" في المسودة لفظة "استنـــزل" وقد فضلنا الأولى.

"يا سيّد النار" نادى مارد قــدحتْ عيناه ناراً، وقد أفضى بما رغبـا:-
"يا سيِّد الهوّة الحمراء مـن سـقر لا زلْتَ ربَّ الخطايا والخنى حقبا"
"حتىَ إذا انصبَّت الأزمانُ في أبـد ظمآن، أصبحْتَ ظلاً فيه، ملتـهبا"
"لي خنجرٌ طالما احمرَّت مضـاربُهُ حتى صدئْنَ احمراراً، وانحنى تعبـا"
"أهويتُ يوماً من الأيـام أصـقلُهُ بالربعِ من (أطلس) العاتي-ولا عجبا[1]"
فما يزال النجيع الرطـبُ منـدفقاً في كلِّ ركنٍ من الدنيا، ومنسكبا"
"حتى إذا ابيضَّ نصلٌ وانبرى حجرٌ أبصرتُ ظلاً على مرآتِه اضـطربا"
"أُنثى من الطين، لا حوّاء تشـبهها حسناً، ولا العالم الأعلى بما رحبا"
"أُنثى وبغـداد مأواهـا، وفاتنـةٌ بين السكارى، ونارٌ جاورتْ حطبا"
"لمياءُ ما تمتمتْ في الليـل سـاحرةٌ مثل اسم لمياءَ لفظاً يبعث الطربـا"
"غمّازتاها تطـيلان.. ابتسـامتها عمراً، وتستوقفان الكوكب الشحبا"
"طيفٌ تراءى على نصـلٍ تقلّبُـهُ يمناي جـذلان في آن.. ومكتئبـا"
"أرخيتُ من نشوةٍ كفّي وما حملتْ: الصخرَ والخنجرَ القتّـال واللـهبا"
"ثمّ امتطيتُ الغيوم الرائحات: لظىً يذكيه شوقي ويُطفيه السرى خببا"
"حتى سملتُ بأظفاري على خنـقٍ عينَ الصباحِ ومزَّقتُ الضحى غضبا"
"وانهار في دجلة الرعناء شـاطئها فارتاع "نوحٌ" يعدّ القار والخشـبا"

* * *

"..لمياءُ يا شهوةً في صدريَ احتدمتْ يا لذةً في سرير المـومس الـدامي"
"يا ومضة الخنجر المسموم في خلدي يا حيَّة وجْرها القتّال أحلامـي[2]"
"يا نصفَ عذراءَ يا قـبراً أوسِّـدُهُ أشباحَ أبنائيَ الصرعى، وأيّـامي"

---

[1] جبل أطلس في أفريقيا الشمالية – السياب – .
[2] في المسودة شطبت لفظة المسموم بالقلم الرصاص وكتب فوقها الماجور ورجحنا الأصل المحذوف.

"يا ملعب الدود يا سوطاً أسوقُ بهِ خيل الخطايا إلى ساحات آثامي.."

"يا رقية الشرِّ -- إنْ خَشْخَشْت مركبةً أوقرتُها بالبغايا والـــدم الظـــامي"

"يا مغزلاً في يد الفوضى نسجتُ على منواله الرخو ثوب العار والـــذامِ"[1]

---

[1] في المسودة شطبت لفظة الجون واستبدلت بالرخو، ويبدو أن الشاطب لم يكن السياب.

غضبة إبليس (٣)

وانقضَّ إبليسُ في الظلماء صـــاعقةً — من غيظةٍ ثم شــقَّ الجــوَّ مرتفعــا
واستركض الصافن المحموم يضـــربُهُ — بالدوح من غاب "أفريقيَّة" اقتُلِعــا
كأنَّ أغصانه الحمرا.. إذا التــهبت — ناراً وخرَّت تباعاً، كوكبٌ صــفعا
فارفضَّ في الجوِّ أقباســاً مروَّعــةً — تنهال حتى تصيح الأرض: وا جزعا
وامتدَّت القبضة السوداء وانتــزعت — من سرجه المارد المنكود.. فانتــزعا
وهـــزّهُ هـــزةً فكّـــت مفاصـــله — حتى استغاث ارتياعاً واشتكى وجعا
:-"مولايَ..مولايَ" نادى بعد حشرجة — "لا تأخذ البائس المضنى بما صــنعا"
"ما كان ذنبي؟ أجئتُ الله معتــذراً — عما مضى أم نشرتُ البرَّ والورعا"
"ما خنتُ إبليس" وامتدتْ إليه يَــدٌ — أخرى ودَوّى هزيمٌ ينشــر الفزعــا
:-"ما خنتَني؟ أيها الطين الحقير، بلى. — قد خنتَ عهدي وخنت الافعوان معا"
"لمياء سكرى بأقداحي، يضـــاجعها — طاغٍ شوى حلمتيها بعدما رضــعا"
"ولا تحـــدّثني عنـــها فتطـــربني؟! — أين الهوى من حديث بالدم اندفعا؟"

* * *

فأطرق المارد المنكــود وانحـــدرت — من مقلتيه الجذى دمعــاً فأخفاهــا
واجتثَّ من غيمةٍ ربداء معظمهـــا — وجفّف الـــدمع حينـــاً ثم خلاّهـــا
وقال:-"لولا يدٌ من سيدي اعترضتْ — أسمعتُه من لحون الشرّ.. أحلاهـــا"

"ما كانت الغادة السكرى سوى قدحٍ أسقي به السمّ، فانظر بعض قتلاها:"

"...هذا هو الشاعر الفاني تخلّدهُ أنشودةٌ تعبرُ الأجيالَ غنّاها"

"ما انفكَّ يشدو وما انفكت ملاحنُهُ يحفرنَ قبري وإن حجّبتُ معناها"

"حتى رآها، فغنّى بابتسامتها وأخفت الظلمَ عن عينيه عيناها"

"لا أنة الكادح الغرثان.. تلهمهُ شعراً ولا الأيم الغرثى، وطفلاها"

"سكران يصحو على كأسٍ فيثمله ما عَبَّ منها، ويستوحي بقاياها.."

"يستوقف اليوم، لا يدري إذا وقفتْ أنوارَه، فالتقى ليلى وناجاها"

"كم من قلوب حيارى تحتها انسحقتْ وكم شقيٌّ بعين اليأس يرعاها"

"عامان ذابا على قيثارِهِ.. غزلاً وقطّرا روحه الولهى وعبّاها"

"شدّ اليمين على كأسٍ، وطالعه من غورها الواقع الدامي فأرخاها"

"واستنطق الكأس والأشباح فارتجفتْ مذعورة ثم قالت كيف تهواها؟!"

"قم فانظر النور من شبّاك مخدعها يلقي على الشرفة الوسنى خطاياها"

"ظلاّن رانا على الأستار واقتربا حتى استحالا إلى ظلٍّ تغشاها"

* * *

فاجتاحت الجوَّ من إبليس قهقهةٌ كادت لها الأنجم الزرقاء تنتثر..

وقال: "عُدْ.. واجمع الأوتار في يده واتركهُ يشدو بما لم يروه وتر"

"وليصرف القلب عن لمياء يعصرهُ للبائسين.. فماذا أنت تنتظر؟"

"كم شاعرٍ قَبْله انسابت قصائده فاستقبلتْها قلوبٌ مسَّها الخدرُ..[1]"

"في غرفة خاف أن يجتاز مدخلها ضوء النهار فغشى جوّها الكدرُ"

"جدرانها الراعبات السود ما استلمت إلا لهاث الضحايا وهي تحتضر"

---

[1] يلي هذا البيت ٤ أبيات لا تؤثر على سياق المعنى وغير واضحة في المسودة اضطررنا إلى حذفها.

"ولا اكتست من ظلالٍ غير ما عكسوا ... ولا ارتوتْ من دماءٍ غير ما قطروا"

"يستقبل الليل لا أقدامه امتلكتْ ... أرضاً سوى ما يَمسُّ الأصبعِ الحذرُ"

"ولا ذراعاه والأغلال تشبحها ... تُطوى ارتياحاً ولا الساعات تُختصر"

"حتى إذا اكتظّت الآلام فانعصرتْ ... نوماً كما امتصَّ عبءَ الغيمةِ المطرُ"

"نادى به الحارس السجان يوقظه ... بالنار من فوَّهات النار تنفجرُ"

"وكم يدٍ يتأبى أن يلامسها.. ... ثوب البغي، ويأبى العار، والقذرُ[1]"

"أهوت عليه انتقاماً منه تلطمه ... على شفاه تمنى لحنها الوتر"

"تنزَّل الشعر منها للعييِّ فماً ... وللذي ارتابَ عزماً ليس ينكسر"

"وللضعيف سلاحاً، والطريد أخاً ... وللظلوم رقاداً ملؤه الهَذَرُ"

واجتازت الباب آهات يرددها ... مستضعفون احتوتهم مثله الحجر

حتى إذا صرَّ ذاك الباب منفرجاً ... عن فجوةٍ دسَّ فيها ضوءه القمرُ

وحدَّق الشاعر المفجوع.. لاح له ... نعش عليه اصفرار النور منكسر

تلطّختْ بالدم القاني جوانبه ... ولم تزل قطراتٌ منه.. تنحدر..

ولم يزل شاعر الأحرار تعصره ... آلامه السود حتى أقبل السحر

فقطّعتْ ضحكة جوفاء أطلقها ... ما لم يقطّعه من أعصابه السهر

* * *

والشاعر الثائرُ التركيُّ ما برحتْ ... تُلقي عليه الظلال السود قضبانُ[2]

إنْ مرّت الطير أسراباً به التمعتْ ... عيناه بالشوق واستبكاه تحنان

أو شعَّتْ الكوّة السوداء عن شفقٍ ... قانٍ، دماء الضحايا فيه ألوانُ

---

[1] في الأصل واشتهارها العار..إلخ.

[2] أعتقد أن الشاعر المقصود "ناظم حكمت" [المحقق].

نزا وأهوى على القضبان يجذبها ... ودمدمت منه كالآهات ألحان

كم بات يغفو على رؤيا مكررة ... ما غيّرتها على جفنيه أزمانُ

الليل في نصفه الثاني يلوّنه ... نصفٌ من القمر المكدود، نعسان

تثاءبت منه في البسفور أخيلة ... كسلى ورانت على الشطّين أحزان

وللسفينة في الأمواج وهوهةٌ ... يصدي لها الشاطئ الساجي، وإرنان

ثم التظى الماء والشطّان وانفجرا ... كما تشظّى ومجَّ النار بركانُ

وازّلزَلَ الأفق حتى كاد يلمسُهُ ... لو كان في الشاطئ المذعور، إنسانُ

وأومضت بالدم القاني كواكبه ... كما يحدِّق تحتَ الليل ذؤبان

وعبّت الموت عبّاً وهي مائلة ... سفينةٌ لم يزدها عنه ربّان

حتى إذا ما استقرّ الموج وائتلقتْ ... في أرجوانٍ من القمراء شطآن

وكدَّس القمر الدامي أشعَّته ... جسراً على الماء، تطفو منه ألوانُ

سارت عليه من الأشباح قافلةٌ ... شتّى: عظام تُغشّيهنَّ أكفان

ورجْرجَ الماء من بعد السكون صدى ... ناءٍ: سيندكّ مهما اجتاح طغيان"

* * *

حتى إذا ارتاح مما قال، بادرَهُ ... من موكب الجنَّة الصاغين.. ملحاح

"أين السُّرى، فيم نجتاز الفضا صعداً؟ ... والشرقُ وسنانُ لا يغشاه مصباحُ"

فقال إبليس: "إنّ الأرض لهي كما ... حدَّثتَ عنها فما للناسِ إصلاحُ"

"أما السماء فقد سدَّت مسالكها ... من خصمي الظافر الجبّار أشباح"

"ما زال فيها يحفّ الأنبياء به ... حفّاً وتُزجي له التسبيح أرواحُ"

"واللعن حظّي إذا ما آية تُليتْ ... أو رتِّلتْ باسمه المرهوب أمداح"

"لأجعلنَّ سماء الله لي هدفاً ... أحتلّ آفاقها القصوى وأجتاح"

آليتُ ألاّ يرى الله المقيم بها إلا صريعاً على الغبراء ينداحُ
فولْوَل الماردُ الملحاحُ واختلجت عيناه ذعراً وإن غطّتْهما راح:
"يا سيد الشرّ، والحكّامُ مائلةٌ أكوابَهم ،من دماء الفتية الراح"
"أطلقت أفعاك في الظلماء فانطلقت غرثى على الكوكب الأرضيّ تجتاح"[1]
"في كل حقل تهزُّ الريح سنبله جيش وفي كل قصر للردى ساح"
"في النهر نار وخلف الليل فوّهةٌ "حمراءُ، والشطّ بالبارود نضّاحُ"
"اليوم قد هبَّ شعب الصين من أسر فالليل ينجاب، والأغلال تنزاح
"في ثغرها غنوة حمراء ينقلها من ثغر (هومير) للأسماع فلاّح"
"هبَّتْ وفي يدها الكأس التي صرعت سقراط يسقي بها الطاغين كدّاح"

* * *

حتى إذا ما انتهى من قوله، اتقدتْ أحداق إبليس تختار الشياطينا
حتى استقرت على (بلزاب) فانغمدت في قلبه الخائف المذعور سكينا
وانهال إبليس بالألفاظ صاخبة كالنار مسرى وكالإعصار تلحينا
:-"عار وأنت الذي لم يثن ركبته لله، إنْ صرت عبد الآدميّينا"
"وطأت خديك للثوار يسحقها حافٍ وعارٍ وخذّلت السلاطينا"
"ورحت تزعم أن الناس ما برحوا صرعى على باب طاغٍ من موالينا"
"إذا سألتك عن أحوال مملكة نبأتَ دون اكتراث:-مثلما شينا..
"أما استقرَّت على اليونان ذات ضحى عيناك أو وطأت أقدامك الصينا؟
"واهتزَّ ظلّك في الأنهار فاصطخبت بالناس غرقى ودمّرن البساتينا"
ولا سمعت عن اليونان من نبأ نطوي به ما انتهزنا من ليالينا

---

[1] اضطررنا إلى حذف أربعة أبيات بعد هذا البيت لعدم وضوحها لعلها تتحدث عن ثورة الصين الشعبية.

وما الذي جد في الدنيا، وهل وطن منها ارتخى عنه ظلُّ المستبيحينا

"وقد تمرّ على اليابان تقصفها بالصاعقات وتفتضُّ البراكينا

"فكيف لم تدر أن الصين ثائرة تمشي على النار تجتاح الميادينا

فقال بلزاب عندي ما ستسمعه فاستعمل الرفق في التأنيب واللينا

:-"أمّا السماء فلن نرقى معارجها والأرض كالنار تغلي تحت أيدينا"

"فلنثنِ أفراسنا عنها نؤمَّ.. لما ركناً من الأرض حتى الصبحِ يؤوينا"

"نستطلع الرأي عما سوف نصنعُه" فقال إبليس:-هيَّا..نأتِ" شيرينا.

على شيـــرين (٤)

ولاح شيرين في الظلمـــاء تحسـبه ... أكداس غيمٍ تغطّي جانب الـــوادي
صاغ الجليـــدُ لـــه تاجـــاً لآلئـــهُ ... نار الرعاة وظلّ الكوكب الهـــادي
واصطكّت الريح تعوي في مغاوره ... كالمستغيث وقد شـــدَّت بأصـــفادِ
وسدّت الأفـــق الشـــرقي أخيلـــة ... سودٌ كموتى أفـــاقوا دون ميعـــاد
تدنو فينحلُّ عنـــها مـــا يخالطهـــا ... من عتمة الليل إذ تكسى بأجســـاد
حتى استقرّت على شيرين وانتصبتْ ... ما بين تلك الذرى في زيّ أكـــراد
واختال إبلـــيس بالجلبـــاب قانيـــة ... ألوانه يشـــتهيها كـــلُّ.. جـــلاّد
وقال: "يا معشر الجنّ انتحوا جهة ... تغزونها واتركوني بـــين قـــوّادي"

* * *

ثم انثنى يرســـم الـــدنيا بأصـــبعه ... فوق الجليـــد ويمحوهـــا ويبتســـم
حتى استقرَّت على حـــالٍ فلونّهـــا ... من نار عينيه يرنو وهـــي تضـــطرمُ
ولم يزل تتقـــرّى الطـــينَ راحتُـــه ... حيناً، ويهمس إنّي ســـوف أنـــتقم
وتارة يلمـــس اليونـــان.. متقـــداً ... بالغيظِ يرنو إلى بلـــزاب أو يجـــمُ
فقال بلزاب: "إنّ الأنجم انطفـــأت ... خلف الجبال وكادت تسطع القمم"
"فلنسبق الفجر نقضي قبل مطلعـــه ... حاجاتنا من حـــديث ملـــؤه الألم"
"أما عن الصين فالجوّ الفسيح لظى ... داجٍ وملء الصحاري والحقول دمُ

جرى جداولاً فاقتات الجياع على حافاتها والضحايا شأنها الكرم

"وارتجَّ فيها خيال من يدٍ حطمتْ غلا من العار يصدا فوقه القِدَمُ"

"وانجاب عنها ظلامٌ كان ينشره غربانك السود حين اجتاحه الضَرَم"

"أما الشمال ففي أقصاه ما شحبت من عاطلين يدٌ، أو جائعين.. فمُ"

"آساه بالرحمة الثوّار واختصروا عمر الشقاء بما شادوا وما هدموا"

أما الجنوب فحتى الآن تمهره من كلِّ طاغٍ بأختام الردى قَدَم"

"وَهي فما عاد يقوى أن يخوض وغى جيشٌ هو الجوع والإعياء والسَقَمُ"

وآوت (الكايَ) في أقصى جزائره دارٌ بها الظالم المقهور يعتصم

أذكى بريق المنايا في لآلئه نار الوغى ثم ولّى وهي تضطرم

كم ليلةٍ باتَ والمصباح يغسلها بالنور يرنو إليها.. وهو مبتسم

ونقّطتها عيون الدود يعكسها قبرٌ على الجثة العجفاء ينهدم

ما درّها الأحمر القاني سوى حُلُمٍ باق عليهن من ثغر الرضيع دم

"وما الوميض الذي فيها سوى رئةٍ يهتزُّ فيها خيالٌ للردى.. نَهِم

* * *

هيهات هيهات لا أنسى ضحىً غرقتْ آفاقُهُ في لهاث العسجد النائي

في قريةٍ في شمال الصين لوَّنها أيلول، فاستقبلتْها صفحةُ الماء

وأومض الدرب حتى ذاب آخره ثم اختفى غير ذكرى تُقلقُ الرائي

وأقبَلَتْ من بعيدٍ فيه مركبة تطوي الحقول النشاوى ذات ضوضاء

تنسابُ جذلى وفيها اثنان سائقها وأجنبٌ جاء يسعى خلف أبناء

ما سرّح الطرف حتى اهتزَّ من طربٍ وصاح يشفع أقوالاً بإيماء:

"يا روعةَ الجوسقِ النائي تعانقهُ بيض الأزاهير في استحياء عذراء"

"أيلول والزهر قبل اليوم ما اجتمعا ... في جوف وادٍ ولا في قاع بطحاء"
فغمغمَ السائق الجذلان مرًّ.. على ... عينيه كالليلة القمراء.. تذكار
:"هذا دم الصين! هذا جهد قائدها ... ذاك ابتسام الضحايا! تلك أثمارُ"
"تفاحةٌ بعد أخرى لفَّ حمرتها ... عن لحظ أيلول فلاّحون أحرار"
والعدل إن عمَّ أرضاً فهي عابقةٌ ... بالزهرِ، ملأى وكلّ العام آذارُ"
"بالأمس كنا نجرُّ النير تحمله ... أعناقنا ثم تعيا ثم تنهارُ"
"وكلّما انهارَ جيلٌ قام يخلفه ... جيلٌ أو انزاحَ طاغٍ لاح جبارُ"
"ناعورة ثورها المعصوب ناظره ... شرع الطغاة، ومجرى مائها العارُ"
"والجيل للجيل كالأقداحِ فارغةً ... تهوي، وملأى ستهوي وهو دوّارُ"
"حتى انتبهنا على الرايات نشّرها ... مصبوغة بالدم المسفوك ثوّارُ"
"تلقي على الموقد المهجور أخيلةً ... فانزاح ظلّ الردى واهتزّت النارُ"
"واحتاحت الأرض تطوي باع سيّدها ... بالغلّ عنها ويمشي خلفها الثارُ"
"ثم اجتمعنا على البشرى وجيءَ به ... كنعجةٍ ساقها للذبح جزارُ"
"تنفّس الرعب في عينيه فانطفأت ... في ذلك الزئبق المذعور أنوارُ"
"يهوي على ركبتين اصطكّتا فرقاً ... ويستغيث وماء العين مدرارُ"
وقال: "لم أجنِ ذنباً.." ثم طاف به ... طرفٌ على الأوجه العجفاء ينهارُ
فطالعتْه عيونٌ من مغاورها ... وأعظمٌ برزتْ جوعاً، وأطمار
كأنما الكون تابوت أُعدّ له ... من كلّ عينٍ عليه انحطّ مسمارُ
وصاح قاضٍ من الثوّار نحنُ لكم ... عونٌ على الظالم الباغي وأنصار
هذا أوان التشفّي لا نجاء لمن ... خان الشعوب ولن يجديه إنكار
يوم الظلامات لا الشكوى بضائعة ... ولا القضاءُ محابٍ فيه غدّارُ

فليطفح المرجل الغالي بما خنقتْ — من حقده العاصف المكبوت أظفار

مغموسة بالدم المنساب شدّ بها — شرعٌ أجير وسفّاكون أشرار

ولتقضموا من يدٍ كانت تمدّ على — آثامها من جراب البغي أستارُ

فما تشكّى امرؤٌ منّا ولا شخصت — إلا إلى المنزل المرغوب أبصار

"قال: "انطلقوا، لا تخافوا بأس من نسجت — أكفانه اللذة الحمراءُ.. والعارُ"

"وأثقل الأمسُ والأغلال حاضره — حتى انحنى فارتمى عن رأسه الغار"

فقالت امرأةٌ غرقى.. مفجعةٌ:- — "لم يطوِ شكواه شانٍ وهو مختار"

"نحن المدينون للباغي بما امتلأتْ — به صكوكٌ وضاقت عنه أسفار"

"ألفٌ وألفان موكولٌ بهنَّ.. دمٌ — للبائسينَ وآمالٌ.. وأوطار"

"نحن المدينون ما ينفكُّ يخنقنا — صكٌّ إذا ندّتِ الشكوى وإنذار"

"يا ضيعة الثأر والأفواه تلجمها — مستمسكاتٌ لدى الباغي وأسفار"

أختامها الحمر أفواه قد التصقت — بالقلب يروي صداها منه تيّارُ.."

"مختومةٌ كلّ ختمٍ صاحَ فيه فمٌ — ظمآن للدم، في الأكباد حفّار"

"قد سطرتْها يد الباغي وخبأها — درج تخفّى فما افتضّتْهُ أنظار"

"فاستلّت الدرج من أحضان مخبئه — أيدٍ ونادى فمٌ: "فلتضطرم النارُ"

واستوقدَ النارَ من مصباحٍ ثاكلةٍ — ذو غلّةٍ من بنيها حقده النارُ

"حتى تذرّى رماداً كلُّ مستند — وازحزحت عن رقاب الناس أنيارُ"

يا ريحُ ذرّيه.. هذا البغيُ طاح به — من هذه الأمةِ الصفراء إعصارُ

"حتف المدينين لا ينشقّ باب غدٍ — إلا عليها، ولا تمتدُّ أعمارُ"

فولَول الناس بالشكوى كما انفجرتْ — من نعشها الأبيض المصهور أنهار؟

وأقبلتْ تخنق الجاني بحاضره — من أمسه الداعر الممسوخ أخبار

يا للكتاب المدمّى: كـاد كاتبـه ... يرميه بالزور لـو لم تبـق آثـار.

تطويه إطراقـة الثكلـى وينشـره ... لحظ اليتيم، ودمـعٌ فيـه يحتـار

حتى سمعنا دم الطـاغوتِ يهرقـه ... قاضٍ نزيـهٌ، وجـلاّدون أخيـار

واخضلّت التربة الجرداء، وزّعهـا ... بالحقّ فينـا، وبالقسـطاس ثـوارُ

* * *

أهوى بإبهامـه العـاتي وخاتمـه ... يمضي لمستأجريه الصيد ما كتبـوا

أو تحمل الخائف الموتور حيث بدت ... ألحاظ إبليس واستشرى به الغضبُ

وقال: "يكفيك" نادى بعد زمجرةٍ: ... "رفقاً فقد أزعجتنا هذه الخطـبُ"

"حدَّثت حتى كأنّ العالم انبسـطتْ ... أنحاؤه تحت عيني وهـو يلتـهب"

"قرّبت أطرافه القصوى سوى بلـدٍ ... يرتاد سمعي حديثٌ عنه مقتضَـبُ"

* * *

فازورّ بلزاب كالمفجوء وارتفعـتْ ... عيناه نحو الشمال المعـتم الخـالي

:"مولاي" نادى وقد أوما بأصـبعه ... بين الذرى:"تحت ذاك الكوكب العالي"

"شعبٌ خطا في طريقٍ ربّما بقيـتْ ... لـولاه أمنيـة عـزلاء في بـالِ"

"طافت رؤاها بـأفلاطون باهتـة ... ألوانها فـاكتفى منـها بـأطلال"

"إعتادت الشاعر الوسنان فائتلقَت ... أبواب أيتوبيـا الزرقـاء كـالآل

"حتى إذا امتدَّت الأيدي لتطرقهـا ... دابتْ فلم يبقَ إلاّ محـض أقـوال"

"وأقبل الفيلسوف الحرّ وانتزعـتْ ... كفّاه خيط الستار القـاتم البـالي"

فهـرس

ديوان

بدر شاكر السيّاب



